الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف- المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:D.PAP/3C/01/19

إشكالية الهوية الإنسانية في فلسفة إدغار موران

أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الفلسفة

تخصص فلسفة تطبيقية

إعدادالطالب

رشيد فروم

إشراف

أ. د: عبد السلام بوزبرة

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	حميدي لخضر	أستاذ التعليم العلي	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	رئيسا
2	بوزبرة عبد السلام	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	مشرفا ومقررا
3	زروخي الدراجي	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	ممتحنا
4	مقورة جلول	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	ممتحنا
5	دحدوح رشيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد مهري. قسنطينة2	ممتحنا
6	كيحل مصطفى	أستاذ التعليم العالي	جامعة 20 أوت 1955 . سكيكدة	ممتحنا

السنةالجامعية: 2023 / 2024

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرو أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا،إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"

قرآن كريم،سورة الحجرات ،الآية 13

"من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم،ومن أرادهما معا فعليه بالعلم".

الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

"إننا نفتقر اليوم إلى تحقيق مجتمع إنساني ،لذلك من الضروري تعزيز الوعي بأننا أولاد الأرض–الوطن ومواطنوها، فللبشر جميعا الأجداد نفسهم لأنهم أولاد الحياة والأرض".

إدغارموران :في الحاجة إلى مجتمع إنساني.

"ليس المستقبل قدرا محتوما ،بل يمكن أن ننتظر في الأفق حوارية فعالة بين الأخلاقيات والسياسة ،في جو من الديمقراطية وعبر المواطنة الأرضية".

إدغار موران :رؤية للمستقبل

« la Leçon que je dis c'est : La vie est une aventure inconnue avec ses aléas, avec ses incertitudes, avec ses possibilités, il faut accepter pleinement cette aventure et essayer de la vivre au mieux ».

Edgar Morin :concernent l'aventure de la vie.

شكر وتقدير

بداية، لايسعني في هذه السانحة إلا أن أتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عبد السلام بوزبرة الذي أشرف علي في هذه الأطروحة، وعلى سعة صدره، وحسن توجيهه ،ورقي معاملته طيلة فترة إعداد هذه الأوراق البحثية، كما أتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة المحترمين بجامعة المسيلة من قسم الفلسفة وخارجه، الذين أشرفوا على تكويننا في مرحلة الدكتوراه، دون أن أنسى جميع الأساتذة الأفاضل الذين لم يبخلوا علي بالنصح والتشجيع والمؤازرة والدعم النفسي والمعرفي، على مستوى جامعة المسيلة وجامعة عنابة وجامعة سكيكدة وجامعة قسنطينة وجامعة وهران وحتى من خارج الوطن (جمهورية مصر العربية) مع حفظ أسمائهم ومقاماتهم الجليلة.

شكرا جزيلا أخي وصديقي الأستاذ نبيل مسيعد رئيس قسم الفلسفة بجامعة عنابة الذي ر افقني طيلة مسيرتي الدراسة وشجعني على مواصلة الاستئناف، ولم يبخل علي بجهده ونصحه ودعمه المستمر..

أشكر جميع الأساتذة المحترمين أعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم بقبول تقييم هذا العمل .

شكرا لكل من دعا لي وحفزني في هذه المسيرة العلمية الشاقة ولو بكلمة...وأعتذر لمن كان له فضل علي، ونسيت ذكره ولكن مقامه في القلب مؤكد...

إلى كل هؤلاء أرفع قبعة الاحترام والتقدير...فشكرا جزيلا.

كم كان حلما جميلا... وقد تحقق ! فالحمد لله أولا وآخرا.

إهداء

إلى كل النفوس الجميلة التي تحبني...

إلى روح أبي الطاهرة، الذي كان سيسعد كثيرا بهذا اليوم...عليه رحمات ربي ورضوانه.

إلى معلمتي التي لم تعلمني حرفا واحدا، ولكنها جاهدت من أجل تعلمي...إلى أمي حفظها الله وأكرمها.

إلى زوجتي العزيزة التي رافقتني، وشهدت على معاناتي في هذه المسيرة البحثية، وتحملت معي مشاق الحياة والأسرة...دوام المحبة والود.

إلى أولادي قرة عيني: محمد أشرف، علي تقي الدين،ساجدة، مؤمنة، حفظهم الله وأصلح بالهم.

إلى أختي وأخوي الأعزاء وأزواجهم وأولادهم كل باسمه ...متعهم الله بالصحة والعافية.

إلى كل الأرواح التي فارقتنا إلى الحياة الأبدية، من الأهل والأحباب والأصدقاء...

إلى كل من عرفناه وعرفنا في طريقالفضيلة ...

إلى كل من ألهمني، وأيقظ في نفسي حماسة الاستئناف، تحت شعار "أن تصل متأخرا، خير من ألا تصل أبدا !

إلى كل هؤلاء: أهدي ثمرة جهدي، وسهادي، وصبابتي، وسقمي، وشوقي، ووجدي، ولوعتيواصفراري وأدمعي...

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة:

سؤال الهوية الإنسانية، هو سِؤال جوهري ومفصلي في تاريخ الفكر البشري عمومافقد ارتبط بحياة الشعوب و الحضارات الإنسانية،وسجالاتهاوصراعاتها الوجوديةعلى مر العصور، وقد كانت ملامح الجدل الهوياتي، بادية جذورها الأولى عند فلاسفة الطبيعة الأوائل، والذين عملوا على تفسير الكون وتأصيل ظواهر الطبيعة، وردها إلى مقولات أساسية كالوحدة والثبات والتغير والصيرورة،حيث برز في تلك المرحلة فلاسفة متميزين، خلدهم التاريخ، أمثال طاليس وبارمينيدس وفيثاغورس، وانكساغوراس، وهرقليطس وغيرهم، ألهموا بفكرهم الكثير من الفلاسفة اللاحقين حول موضوع الوجود، وأصل الكون، و حقيقة الإنسان ومصيره..الخ، كما كانت الهوية موضوعا للتفلسف في العصر المزدهر للفلسفة اليونانية في صورة المنطق الأرسطياالذي وضع مبادئ العقل الشهيرة (الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع)،كما تجدد طرح وإثارة مسألة الهوية البشريةتلميحا أو تصريحا، في الفلسفات الغربية والعربية الحديثة والمعاصرة وفي بيئاتها المتنوعة، خاصة في أزمنة الحداثة التي دفعت بكثير من المقولات الى الوجود، مثل العقلانية والفردانية والتقدم والحرية وغيرها، بيد أن هذه الفلسفات الحداثية وقعت في مأزق المركزيات والسرديات الكبرى، والدوغمائية وعواصف الإيديولوجيا التي كرست العقل الأداتي التقني المدمر، وهيمنة الأنظمة الشموليةوماصاحبها من بربرية متوحشة،تجسدت في تلك الحملات العسكرية التوسعية التي مورست على الشعوب المستضعفة خصوصا في القرن التاسع عشر، والتي عانت بفعل ذلك من حالات الاستلاب والقهر والاضطهاد،الأمر الذي أحيا عندها الرغبة في المقاومة والتحرر والمحافظة على خصوصياتها الثقافية ومقوماتهاالحضارية و سبل العيش الكريم، ولاريب أن هذا المأزق الفكري والتاريخي، قد أدى إلى ظهور تحولات فكرية معرفية ، ثقافية، اجتماعية و سياسية مع منتصف القرن العشرين،عرف بعصر ما بعد الحداثة الذي أعاد النظر في كثير من مسلمات الحداثة خصوصا فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية والاجتماعية والجمالية للإنسان.

لقد أساء الفكر الغربي الكلاسيكي، للمعرفة والإنسان معا، وذلك عندما كرس مبدأ الفصل والاختزال والتجزيء في محاولة فهم الظواهر العلمية، ووقع في نمطية التفسير السببي والحتمي لها، وقد انسحب هذا المنطق على الظواهر الإنسانية أيضا،رغم خصوصيتها وعمقها وتعقيدها،مما حال دون فهمها أيضا،وتشكلت بذلك أزمة الفكر الغربي والتي هي أيضا أزمة في معرفة المعرفة والأخلاق وطبيعة الطبيعة، وفي مشكلة الإنسان ذاته، ككيان معقد له أبعاد مختلفة ومتكاملة في ذات الوقت، سواء كانت بيولوجية أونفسية أوثقافية أوتاريخية أوحضارية،بحيث تربطه بأصله المشترك، وتحدد حقيقة هويته وكنهه ومصيره في العالم.

في هذا السياق، تأتي دراستنا لإشكالية الهوية الإنسانية من خلال ما يطرحه الفيلسوف الاجتماعي والعالم الأنتروبولوجي الفرنسي**إدغار موران Edgar Morin**(1921-) بوصفه رائدا من رواد الفلسفة الغربية المعاصرة، وناقدا متميزا لها في ذات الوقت، متجاوزا ومثريا لكثير من المقولات الحداثية وما بعد حداثية، من خلال فلسفته الشهيرة بفلسفة التعقيد، والتي من خلالها أولى اهتماما كبيرا، بل كرس حياته الفكرية وعلى مدار ما يناهز الثمانين سنة، لمشروع فكري لامع ومتماسك، يعتني بمسألة الظاهرة البشرية التي خصص لها إصدارات غزيرة ومتنوعة، ضمنها بعمق تصوراته الدقيقة حول إنسانية الإنسان، ومعالم فهم الهوية الإنسانية، مستضيئا بالتقدم العلمي والوثبة الفكرية التي حدثث في ميادين المعرفة العلمية والإنسانية،والتي انعكست على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية.

يسعى موران إلى اعتماد رؤية شاملة وعميقة للظاهرة الإنسانية تمكننا من إدراك الوحدة المعقدة لهويتنا، ولأجل هذه الصورة التكاملية كذلك، يدعو هذا الأخير إلى تجاوز النظرة الاختزالية التبسيطية للمعرفة العلمية والإنسانية، وإعادة النظر في واقع الإنسان وعلاقاته الطبيعية والثقافية والاجتماعية في الأفق الحضاري والإنساني.

تعتبر الفلسفة التعقيدية صلب الفلسفة المورانية، وهي الحجر الأساس الذي تبنى عليه كل أفكاره ومواقفه،فيما يتعلقبالقضايا المتنوعة التي عالجها في منجزاته الفكرية الغزيرة والمتنوعة،ومن بينها مسألة الهوية البشرية التي تتداخل مع كثير من حقول المعرفة، كالثقافة والأخلاق والسوسيولوجيا والسياسة الحضارية والأنسنة وغيرها.

وحسب رؤية فيلسوف التعقيد، فإن هناك ضرورة ملحة لإصلاح المنظومة المعرفية وقلب أسس التفكير في الكون وظواهره العلمية وغير العلمية، فلا مناص من تجاوز الإبستيمولوجية الكلاسيكية–إبستيمولوجيا التبسيط والفصل والاختزال–والتي تشبعت بمقولات الهوية والنظام والثبات، والتوجه نحو إبستيمولوجيا بديلة، تؤمن بمقولات التعقد واللانظام (الفوضى)،والصدفة والاحتمال واللايقين، وهو ما تبنته الإبستيمولوجيا التعقيدية،وبراديغم الفكر المركب.

يرفض إدغار موران الرؤية الاختزالية للعالم، والتي تعزز طغيان النزعة الفردانية التي تبدد كل فرص الفهم والتوافق والتكامل بين الذات والآخر،بين الإنسان والطبيعة وبين العلوم و المعارف بعضها ببعض،لذلك فهو يدعو إلى معالجة مسألة الهوية ضمن هذا السياق المركب،وفي أفق المجتمع الكوكبي والعالم المفتوح الذي يحول مجال التفكير والاهتمام بهذه المسألة من مجال المحلية إلى العالمية،ومن مجال الخصوصية إلى مجال الكونية المؤنسنة.

لذلك فهو يقدم رؤيته الفلسفية حول موضوع الهوية البشرية، التي تجمع بين جملة المكونات النفسية والبيولوجية والاجتماعية والتاريخية، يطبعها التحول وعدم الثبات، وترتكز على فكرة الجمع بين الوحدة والاختلاف،الخصوصية والكونية، في علاقة تركيبية حوارية تجمع المختلف في أفق كوكبي، دون أن تلغي نهائيا عناصر الاختلاف الموجودة في الثقافات الفردية والمحلية.

لقد ولى زمن الإنسان ذي البعد الواحد، وأصبحنا نتكلم عن الإنسان ذي الأبعاد المتعددة، فنحن بحاجة–كما يذهب موران – إلى فكر يعمل على جمع عناصر التعقيد البشري، الأنتروبولوجية والبيولوجية والثقافية والنفسية والاجتماعيةوغيرها، ذلك لأن مصطلح إنساني حسبه، معقد وغني ومتناقض في الوقت ذاته.

أمام الفيلسوف المتعدد إدغار موران نجد أنفسنا في عمق التاريخ وفلسفة الحضارة، في السوسيولوجيا وعلم النفس والتربية والأنتروبولوجيا، في الفلسفة والأدب والشعر والميثولوجيا في الفن والجماليات والسينما والمسرح، في العلوم البيئية والكونية والفيزيائية، في الرياضيات والبيولوجيا...الخ.

وفي توليفة فكرية و معرفية متناغمة،وضمن طروحاته ومرافعاته الفلسفية،يؤمن موران بعلاقة التداخل بين العقل واللاعقل (الجنون)،بين الدين والسحر والأسطورة،بين الشعر والنثر، بين الكلي والجزئي،بين المحلي والعالمي...الخ.

يواجه خطاب الهوية اليوم تحديات كبيرة، فهو إلى جانب ثقافة الاستمرارية والوفاء للماضي بحاجة إلى تنويع شروط وجوده وإثراء تجاربه، بثقافة التعدد والاختلاف والشبكة العلائقيةالمتفتحة، ومن هنا فقد لانكون أمام هوية واحدة، بل أمام هويات متنوعة وجماعات متقاطعة ومندمجة، حينها تتشكل الهوية الفردية إلى جانب الهوية الاجتماعية، وتتعايش الهوية التاريخية المحملة برصيد هائل من الخصوصية، مع مطلب الهوية الكونية، ومن ذلك يزداد التفكير في نموذج الهوية المستقبلية، والتساؤل عن مصير الهوية الإنسانية، في ظل التقدم الهائل والمتسارع في المجالات التكنولوجية والبيوتكنولوجية، التي تنقل البشرية بعنف إلى مرحلة الإنسانية العابرة و مابعد الإنسانية،إضافة إلى التحولات الإيكولوجية، والتحديات الثقافية والحضارية والعولمية التي تطبع المجتمع الكوكبي.

يعمل إدغار موران في مشروعه هذا،على دمج مختلف العلوم المتصلة بالكائن البشري و ربط بعضها ببعض، وتفصيلها وتأويلها، وبالتالي السعي إلىالتشبع بالفكر الفلسفي الذي يعنى بالإنسان، ولكن عبر تغذيته بالمكتسب العلمي والنفسي والفني والجمالي أيضا وهذه الرؤية الإبستيمولوجية التعقيدية العميقة التي تشخص الكوكب الأرضي كواحة فسيحة، و مختبر واسع ومفتوح، وتدافع على وحدة البشرية وتنوعها وتكاملها، كما تدرك جميع أبعاد الواقع الإنساني و(اللاإنساني)، ومختلف جوانبه المنفصلة التي تستوجب التركيب، وهي التي ترتبط بالحياة البيولوجية والنفسية والاجتماعية للإنسان، وبالوقائع الاقتصادية والتاريخية والفيزيائية والميثولوجية في الكوكب الأرضي.

مما لا شك فيه أن لموضوع الدراسة هذه أهمية كبرى في حقل الأعمال الأكاديمية والبحثية الراهنة بصفة عامة، وذلك بالنظر الى الانفتاح الكوني وسرعة التواصل الثقافي والتقارب السياسي والاجتماعي بين شعوب الكرة الأرضية، زيادة على التقدم التقني المذهل الذي اكتسح مختلف مجالات الحياة، مما أفرز كثيرا من الأسئلة المتعلقة بالظاهرة البشرية والشبكة العلائقية والهوية الإنسانية ومصير الإنسان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الساحة الفكرية بحاجة إلى معرفة أكثر بتفاصيل أخرى عن دعائم الرؤية الفلسفية لهذا الفيلسوف الموسوعي (إدغار موران)، في مسألة يظهر أنها لم تهضم بجهود البحث بعد –على الأقل على المستوى الوطني– وهي مسألة الهوية البشرية التي لاشك أنها تعطي عمقا أكبر، وبعدا أكثر تميز، لتدعيم نموذج الفكر المركب أو براديغم التعقيد الذي يطبع فلسفة إدغار موران بصفة عامة.

وعن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع ،يمكن أن نلخصها في مايلي:

–**دوافع ذاتية:** تمثلت في شغفنا الشخصي لبحث ودراسة المواضيع ذات البعد الثقافي والحضاري عموما،والمرتبطة بقضايا الفلسفة التطبيقية وأخلاقياتها وتجاذباتها الفكرية

وبمشكلة الإنسان عموما، ومصيره وتحديات الهوية الإنسانية وواقع مابعد الإنسانية،وبالتشاور مع الأستاذ المشرف الذي وجهني لهذا النموذج المتميز، وهو المفكر المتعددوالفيلسوف الاجتماعي والأنتروبولوجي الفرنسي، الذي لم ينقطع عطاءه الفكري لحد كتابة هذه الأسطر، وهو الذي تجاوز المئة سنة من العمر، وجدتني جد منبسط وأنا أكتشف فكره وطرحه المتميز، من خلال مصادره التي أمكنني الحصول عليها في البداية،الشيء الذي شجعني أكثر في مواصلة البحث في هذا الموضوع.

-دوافع موضوعية:

فرغم غزارة الدراسات والبحوث الأكاديمية التي أنجزت حولإشكاليات مختلفة في فكر وفلسفة إدغار موران، كموضوع التعقيد والفكر المركب، الثقافة، المعرفة،التربيةالأزمة...إلخ. إلا أن مسألة الهوية عنده -وحسب ما تيسر لنا من اطلاع - لمتأخذ حقها الكافي من البحث لذلك نأمل أن تكون دراستنا هذه قيمة مضافة إلى الحقل الأكاديمي الوطني والعربي حسب ما سطرناه من أهداف متوخاة من الدراسة .

زيادة على ذلكفإن مسألة الهوية الإنسانية، هي مسألة طالما شغلت بال الباحث العربي والغربي والعالمي عموما، فهي تستحق أن يبحث فيها من جوانب عدة لارتباطها بالقضايا السياسية والثقافية والاجتماعية والحضارية، وبقضايا الانتماء والمواطنة والأنسنة وحاضر الإنسان ومستقبله.

لذلك فإن دراستنا تهدف بالأساس إلى النقاط التالية:

-التعرف على حقيقة الهوية الإنسانية عند إدغار موران.

- معرفة الأسس و المنطلقات الفكرية التي ساهمت في بلورة الرؤية الفلسفية لإدغار موران بخصوص موضوع الهوية الإنسانية.

-التحقق من عمق المعالجة الإبستيمولوجية لمسألة الهوية البشرية،ومبرراتها،وما يمكن اعتباره نسقا فلسفيا متميزا،وزاوية طرح مختلفة لهذه الإشكالية، مقارنة بكثير من الرؤى التي عالجت الموضوع.

- التعرف على معوقات مطلب الهوية الكوكبية التي يؤمن بها إدغار موران، وسبل تجاوزها كمطلب إتيقي حضاري، ينسجم مع فلسفته الكوكبية والإنسانية.

وقد حددنا لموضوع بحثنا هذا، الإشكالية الرئيسية التالية:

-ماهي مرتكزات ومبررات الرؤية الفلسفية التي قدمها إدغار موران لمعالجة مسألة الهوية الإنسانية؟

ودعمناها بالأسئلة الفرعية التالية:

-ما طبيعة المأزق الفكري أو الإنساني الذي ميز فلسفة الحداثة الغربية، في رؤيتها للظاهرة البشرية؟

- كيف يمكن التأسيس لهوية بشرية ضمن إبستيمولوجيا تعقيديه وفي سياق فكر مركب؟

زيادة على التجاذبات الثقافية،والمشكلات التاريخية،والاعتبارات الدينية و الحضارية المثارة حول مسألة الهوية:

-ماحقيقة الهوية البشرية عند إدغار موران وماهي أبعادها الأخلاقية و الإنسانية؟.

- هل يمكن القول أن إدغار موران قد عالج المشكلة الهوياتية من زاوية فكرية مختلفة؟

-هل يمكن تحقيق مطلب الهوية الكوكبية، في ضوء المستجدات الحضارية والعولمية الراهنة وتحديات المستقبل في العالم المفتوح؟

- أي مصير للإنسان وللهوية البشرية وللبيئة والحياة، في ظل التحولات العلمية المتسارعة

والثورة التكنولوجية الفائقة والبيوتكنولوجية الجديدة؟

وقد عمدنا في معالجة وبحث إشكالية الأطروحة، بأسئلتها المتنوعة، إلى اتباع مخطط الدراسة المتكون من ثلاثة فصول نعرضها تباعا كالآتي:

الفصل الأول: والمعنون **بـ: تجاذبات مسألة الهوية البشرية في سياق أزمة الحداثة الغربية من منظور إدغار موران.**

وهو فصل مخصص بالأساس للدحض والتجاوز، عملنا فيه على تحليل المأزق الفكري والإنساني الذي ميز الفكر الحداثي الغربي أو الكلاسيكي، وما يمكن اعتباره في نظر موران جذورا لأصل المشكلة الهوياتية، لكونها مرتبطة بأزمة المعرفة والفكر والظاهرة الإنسانية ككل، سواء في جانبها الأخلاقي أوالحضاري.

وبحكم أن مسألة الهوية الإنسانية هي مسألة مركزية في موضوع أطروحتنا هذه، فقد فضلنا البدء في المبحث الأول لهذا الفصل، بمعالجة المفهوم بصفة عامة، والوقوف عند بعض الأفكار والمواقف التي تشير إلى الجدل الحاصل بخصوص مسألة الهوية في الفكر الغربي خصوصا.

ثم انتقلنا بعدها مباشرة إلى محاولة الإحاطة بمفهوم الهوية الإنسانية عند موران تحديدا.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن **موران**لم يخصص كلاما واضحا، مباشرا ودقيقا لضبط مفهوم الهوية، ولم يتطرق للهوية في عمومها، وإنما تطرق للهوية البشرية أو الإنسانية، من خلال أبعادها و خصائصها المتعددة التي يعرضها في معظم مصادره،والتي يعتقد أنها تعبر عن الهوية البشرية المنشودة، لذلك فهو ينظر إليها ضمن الإبستيمولوجية التعقيدية، بحكم كونها واحدة من إشكاليات الإنسان التي لم تعالج حسب قناعته– في سياق الفكر الحداثي الغربي(الاختزالي)– معالجة صحيحة ومتكاملة.

وقد حاولنا التعامل مع ما استطعنا الاطلاع عليه من نصوص في هذا الصدد، وعملنا على محاولة ضبط مفهوم استنتاجي للهوية البشرية انطلاقا من هذه الخصائص المذكورة.

أما في المبحث الثاني من ذات الفصل،فعمدنا إلىتشخيص أهم الأعراض الباثولوجية التي شهدها الفكر الكلاسيكي الغربي، مثل الفردانية والمركزية والعقلانية وغيرها،وكلها مقولات تعبر عن حقيقة الأزمة الإنسانية والمعرفية التي ورثتها الحداثة الغربية عن عصر الأنوار والتي تسببت في كثير من المشكلات الأخلاقية،مثل الاغتراب التقني والتشيؤ والعقلالأداتي...الخ، وقد أثرت بدورها على نموذج الإنسان الذي يقصده موران،وعلى مايتصوره عن الهوية الإنسانية المأمولة.

وختمنا هذا الفصل **بمبحث ثالث**، يتكلم عن أزمة التبسيط في الفكر الكلاسيكي، والتي يرى موران، أنها أعاقت عملية فهم وتفسير الظواهر العلمية والإنسانية، فهما صحيحا ومتكاملا باعتمادها على نموذج معرفي اختزالي، يفصل الموضوعات عن بعضها البعض وينظر إلى الظواهر نظرة تجزيئية مبتورة، قاصرة وعاجزة عن بلوغ حقيقة الظواهر المدروسة.

لذلك كان هذا النموذج محل انتقاد شديد من طرف إدغار موران بشدة، والذي قال في شأنه أنه كلما زادت معرفتنا بهذا الشكل السيئ،قل فهمنا للكائن البشري، ليبق الإنسان ذلك المجهول في هذا المأزق المعرفي الأخلاقي الذي يشير إليه فيلسوفنا.

هذا مادفعه، وشكل له منطلقا لاقتراح نموذج معرفي بديل ومتجاوز، أسماه نموذج الفكر المركب ضمن سياق الإبستيمولوجية التعقيدية، وهو مانعرفه في الفصل الثاني الموالي.

كان عنوان الفصل الثاني من هذا العمل هو:

-تأسيس الهوية البشرية في ضوء الإبستيمولوجية التعقيدية:

وقد خصصناه لفكرة التأسيس، فعملنا على تبرير المعالجة المورانية لإشكالية الهوية من الزاوية الإبستيمولوجية التعقيدية البديلة لإبستيمولوجيا الاختزال في الفكر الكلاسيكي، وهي الرؤية الفلسفية التي تميز فيها إدغار عن طروحات أخرى بخصوص مسألة الهوية عموما سواء كانت منطقية أو ثقافية أو دينية وغيرها، وقد تضمن ثلاثة مباحث:

افتتحنا هذا الفصل بالمبحث الأول الذي نتكلم فيه عن فلسفة التعقيد كضرورة منهجية لتجاوز مشكلة الاختزال وسوء فهم الظاهرة الإنسانية، كشفنا فيه بداية عن جدل الاستخدام اللغوي لمصطلحي التعقيد والتركيب(complexe) في اللغة العربية، بين من يستعملهما في سياق واحد وبين من يفرق يبنهما،وقد قدمنا رأينا النقدي المبرر في ذلك، بناء على ما اطلعنا عليه من نصوص عند موران أو غيره، ثم انتقلنا للكلام عن أهمية الفكر المركب كبراديغم إصلاحي بديل للمعرفة والفكر، ولفهم الظاهرة الإنسانية المعقدة، وفي فهم هذه الأخيرة، يمكن أن نتعرف على نموذج الهوية الإنسانية المركبة التي تتأسس في كنف التعقيد حسب إدغار موران.

ومنه انتقلنا إلى المبحث الثاني، لنقف من خلاله على تجليات ومعالم التأسيس الهوياتي عند إدغار موران، باعتبار أن تشكل مفهوم الهوية المنشودة عند إدغار موران،لا يتم إلا في مجالات الحياة المختلفة التي يتكون فيها الكائن البشري،ويحيا ويتعايش مع غيره من البشرومع بقية الكائنات والموجودات الأخرى في الكون،فكان مناخ التربية والتعليم ميدانا لصناعة هوية إنسانية متكاملة،سلاحها الفهم والتفهم والتواصل البشري والمعرفي،وهدفها هو إعداد جيل من البشر قادر على مواجهة كل التحديات المستقبلية المعلومة أو المتوقعة أو غير المتوقعة، و كانت الثقافة بمختلف فنونها وطبوعها وأشكال التعبير عنها، هي فضاء

لانبعاث الهويات المركبة التي تجمع بين الحياة الشعرية والنثرية، وبين متطلبات الروح والجسد والعقل والعاطفة،كما كانت البيئةهي الوسط الحيوي المعقد،الذي تنمو فيه هذه الهوية البشرية المندمجة اندماجا عضويا ووظيفيا مع جميع عناصر ومقومات الحياة في الكوكب الأرضي،إذ لا يمكن تحقق مقولة الهوية الكوكبية حسب إدغار موران، دون أن يكون هناك اندماج وتواصل عميق ومعقد مع هذا الكوكب الأرضي بمفهومها الإيكولوجي الشامل.

وخصصنا في ختام هذا الفصل، مبحثا ثالثا عنوانه: **إتيقا الهوية-رؤية مورانية**، تكلمنا فيه عن أخلاقيات الهوية كما يراها إدغار موران، وما يكتنفها من جدل، ومايعلق عليها من رهانات إنسانية وحضارية، بحيث يفترض أن تترعرع الهوية الإنسانية في رحاب الجماليات وتتفتح على فرص العيش المشترك في المجتمع-العالم، وترتقي في فضاء الأنسنة الذي يحقق إنسانيتها المأمولة.

وفي الأخير ختمنا هذه الأطروحة بفصل ثالث عنوانه:

مستقبل الهوية الإنسانية في جدارة الراهن وفي ضوء التحديات الكونية الجديدة من منظور إدغار موران: وهو فصل مخصص لاستشراف المستقبل والمصير الإنساني الذي يكتنفه الغموض واللايقين، وتوقع اللامتوقع-مثلما يكرر موران دوما-وهذه الرؤية المستقبلية مؤسسة على ماتنبئ به معطيات الراهن، من مؤشرات ثقافية وعلمية وتقنية متطورة، في مختلف مجالات الحياة، وما قوبلت به هذه المعطيات من توجسات وطموحات حذرة من القادم المجهول.

في سؤال المصير، نقف عند مستقبل الإنسان والهوية الإنسانية في هذا المجتمع الكوكبي المعولم، وفي ظل مختلف التحديات الثقافية والحضارية والتكنولوجية والبيوتكنولوجية الفائقة، ومتغيرات محلية وعالمية، مما يفرض فضاء مفتوحا لجدل الهوية البشرية الأرضية(الكوكبية)،التي يرافع عنها إدغار موران في سياق فلسفته التعقيدية.

خصصنا فاتحة هذا الفصل لمبحث حول مستقبل الهوية الإنسانية في ظل التحديات الثقافية والحضارية المتجددة ومآلاتها المحتملة وغير المحتملة،وعرجنا بداية على موضوع العولمة الرأسمالية و الثقافية السلبية كما سماها إدغار موران، والتي تعمل ضد تيار العولمة الإيجابية المأمولة في الأرض–الوطن، ثم تناولنا في مطلب آخر من ذات المبحث، مسألة الصراع السياسي والحضاري وتحدي مطلب الهوية الكوكبية، وانتقينا لذلك موضوع الصراع الإسرائيلي، العربي–الفلسطيني،الذي يشكل تحديا كبيرا لمطلب الهوية الكوكبية التي يؤمن بها إدغار موران،بحكم الخصوصية الدينية والعرقية والصراع الوجودي والتاريخي بين الاحتلال الإسرائيلي والشعب العربي الفلسطيني في الشرق الأوسط،وهو موضوع الساعة و الحدث العالمي الأبرز في أيامنا هذه.

أما في المبحث الثاني من هذا الفصل، فقد تناولنا في مطلبه الأول موضوع الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية وسؤال مابعد الإنسانية،بداية بمعالجة ماخلفته الثورة التكنولوجية من مشاكل إنسانية وأخلاقية، وما يشكل من تحديات مستقبيلة تنتظر الإنسان في عصر الثورة الرقمية السيبرانية،والمجتمع الشبكي المعولم، وثورة الذكاء الاصطناعي الفائق،وما خلفته هذه التقنية من جدل إعلامي وثقافي وسياسي،بين مستحسن لها ومحذرمنها،ثم تطرقنا إلى الموقف الذي يراه إدغار موران مناسبا في الموضوع، والترياق الحضاري والإنساني الذي يقترحهلمقاومة هذه التحديات،وبحكم أن النقاش الأخلاقي والمعرفي حول هذا الموضوع واسع ومتشعب،فقد ارتأينا التركيز فقط وبدرجة خاصة، على المسائل التي تلامس موضوع الهوية الإنسانية، وما يهم إشكالية بحثنا بشكل أو بآخر.

وفي المطلب الثاني والأخير من هذا **المبحث** ،توقفنا عند موضوع الثورة البيوتكنولوجية وتحولاتها المتسارعة،وسؤال الهوية البشرية في ظل الطفرة العلمية والتقنية الحاصلة في مجال الأبحاث المتعلقة بالعلوم الطبية والبيولوجية،كالهندسة الوراثية، الاستنساخ ،وتكنولوجيا النانو المطبقة في المجال الحيويوعلى الجسد البشري،ومطلب الإنسان الفائق،وهاجس الإنسان

المعدل أو المحسن،والأسئلة العلمية والأخلاقية المطروحة في هذا المجال، ومناقشة كل ذلك من خلال الرؤية الفلسفية التي قدمها موران حول قضية الحال،وتوقعاته بالنسبة لمرحلة الإنسانية العابرة للإنسان،أو مرحلة مابعد الإنسانية، ودفعه بفكرة الإنسانية المتجددة التي هي سلاح المستقبل، وسفينة النجاة في خضم مغامرة الحياة التي يطبعها الاحتمال واللايقين، وتوقع الأسوأ غير المتوقع.

أما في **المبحث الثالث والأخير في هذا الفصل والأطروحة ككل**،فقد وقفنا عند مسألة العلاقة القلقة بين الإنسان والبيئة، خاصة في ظل التوجهات الليبرالية والنيوليبرالية المتوحشة التي يعرفها العالم،والتي تشكل خطرا مستقبليا حقيقيا على الحياة في كوب الأرض، وليس غريب في رأينا، ووفقا للموقف الراسخ لإدغار موران، بأن يقترن مصير البيئة بمصير الإنسان،ومن ثم مصير الهوية الإنسانية، وذلك راجع للأسباب التي عرضناها سابقا،من كون علاقة التواصل بين الإنسان والبيئة بمختلف عناصرها ومقوماتها هي علاقة عضوية تكاملية، كما تقتضي الفلسفة التعقيدية عند إدغار موران، أن يكون الفكر المركب فكر مبيأمرتبط بالشروط البيولوجية والإيكولوجية التي يحيا فيها الإنسان، وينشىء فيها علاقاته المعقدة،لذلك نجد أن **فيلسوفنا**، يخصص كلاما كثيرا لمسألة خطر المشاكل البيئية على مستقبل الإنسان،وللتربية البيئية التي تصنع جيلا متصالحا مع البيئة،وللسياسة الحضارية التي من شأنها أن تحقق الرقيالحضاري والإنساني النموذجي في كوكب الأرض،وللوعي الإيكولوجي الذي يسمح بإصلاح ما أفسدته الحضارة الغربية البربرية،والتوجه بذلك نحو إنسانية متجددة،تحقق السلام والتفاهم الحقيقي في العالم،بين البشر أنفسهم،ومع كل عناصر الحياة في الكوكب الأرضي.

وأنهينا خطة بحثنا، بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها في معالجتنا لإشكالية الأطروحة، مع تقديم الأجوبة التي رأيناها مناسبة للأسئلة المطروحة في المقدمة، إضافة إلى إثارة بعض الأسئلة المنهجية التي يمكن أن تفتح المجال، لتقديم أحكام قيمية لمشروع إدغار موران بخصوص فكرة الهوية الكوكبية، والمجتمع العالم،والأرض الوطن..الخ، وإعطاء رأينا

التقديري حول ذلك، بناء على فهمنا المتواضع لرؤيته الفلسفية التي ضمنها هذا المشروع الأخلاقي والحضاري، ثم تقديم اقتراحات عملية لتوسيع مجال البحث حول النموذج الذي اخترناه لبحثنا هذا،وما نعتقد أنه يقدم الإضافات اللازمة لإثراء هذه الإشكالية، أو إشكاليات أخرى ذات الصلة،وقد اخترنا لذلك مواضيع محددة بعينها،مما يفيد من دون شك،الباحثين والقراء وجميع المهتمين بالموضوع، سواء في وطننا أوفي بقية الأوطان .

وحول **آفاق البحث،** وجدنا أن مشروع إدغار موران، يستحق الإشادة والتنويه، لما يتضمنه من بعد إنساني وأخلاقي، يمثل المشترك الإنساني الذي تتقاطع حوله معظم الرؤى الدينية والسياسية والحضارية المتفتحة على أخلاق التسامح واحترام الكرامة الإنسانية ونبذ الاحتقار والكراهية، وهذا من شأنه أن يحل كثيرا من مشاكل الهوية الإنسانية محليا وعالميا.

أما بخصوص المنهج المعتمد في هذه الأوراق البحثية، فقد اعتمدنا أساسا على منهجين هما:

-**المنهج التحليلي:** والذي استعنا به في بسط المفاهيم، واستقصاء المعاني ضمن مايطرحه إدغار موران من أفكار وحمولة معرفية معقدة ومترابطة ومعجم اصطلاحي متميز يطلب فهمه وحسن توظيفه بما يخدم عناصر هذا البحث والأهداف المتوخاة منه منهجيا ومعرفيا.

-**المنهج النقدي:** وذلك حسب ماتقتضيه منهجية الدراسة التي تعتمد أساسا على دحض وتجاوز ما شكل بالنسبة لإدغار موران إبستيمولوجيا اختزالية تبسيطية، أعاقت الفهم الصحيح للظاهرة البشرية ولقضايا الإنسان المعرفية والتربوية والبيئية والثقافية والحضارية وغيرها، مع الإشارة إلى أننا وجدناأنه من الضروري ممارسة المنهج النقدي كلما اقتضى الأمر،سواء بتقديم ملاحظات نقدية شخصية في بعض محطات العمل، أو عند الاستعانة ببعض المقاربات النقدية التي تثري الموضوع المدروس،لاعتقادنا بأن جودة الطرح الفلسفي تعتمد بالأساس على النقد .

بخصوص المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها،في إنجاز اطروحتنا،فقد ركزنا بالدرجة الأولى،على ماتوفر بين أيدينا من مصادر مترجمة إلى اللغة العربية، وماهو متوفر ومتاح في المكتبة الإلكترونية،فعمدنا إلى طباعته تسهيلا لعملية القراءة والاستغلال المستمر للنصوص،ثم حاولنا الحصول على المصادر غير المترجمة،لان الكثير منها غيرموجود في المكتباتالورقية (الوطنية خصوصا)،وغير متاح للتحميل أو القراءة إلكترونيا،إلا من خلال تطبيقات إلكترونية خاصة،مثل تطبيقE-book Reader،الذي أعاننا في الاطلاع على هذه المصادر والاستفادة منها حسب الحاجة،وحسب ما أمكن.

في هذا الصدد، نشير إلى أن الإنتاج المعرفي الغزير لإدغار موران، جعلنا نحاول تتبع محتواه، بغرض استغلال ماهو مهم ومفيد بالنسبة لموضوع بحثنا،سواء في ما يتعلق بمنجزاته التي ألفها في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين،مثل كتاب:نجوم السينما،روح الزمان بجزأيه،أو بالنسبة لمؤلفاته الجديدةالتي كتبها في أواخر القرن العشرين،أو في العقدين الأولين من القرن الواحد والعشرين، بغرض الوقوف على جديد مواقفه المتعلقة بمسألة الهوية البشرية،مع أن الفيلسوف موران،لم يخصص من منجزاته الفكريةدراسة دقيقة ومباشرة ومستفيضة في موضوع الهوية البشرية،إلا مصدرا واحدا،وهو الجزء الخامس في سلسلة كتابه العمدة،**المنهج** (المكون من ستة أجزاء)،والمعنون بـ: **المنهج-إنسانية الإنسانية،الهوية الإنسانية**،في حين ركز بشكل كبير على موضوع الهوية الكوكبية في كتابه: الأرض-الوطن، كما خصص فصلا كاملا مستقلا للكلام عن الهوية البشرية الواحدة والمتعددة،في كتابه الجديدالذي ألفه بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده،و المعنون بـ: **دروس قرن من الحياة**،أما باقي المصادر، فقد كتب فيها شذرات وإشارات هنا وهناك عن موضوع الهوية والحقول المعرفية المتعلقة بها.

تجدر الإشارة إلى أن البيبليوغرافيا المعتمدة في أغلب مؤلفات موران(التي أمكننا الاطلاع عليها)، تشتمل على فسيفساء من الموضوعات مدرجة في كتاب واحد، فتجده يتكلم في ذات

الكتاب، على موضوع التربية، الهوية،البيئة،الأخلاق، سياسة الحضارة، الأنسنة، الثقافة السينما، الأزمة،الإصلاح الاجتماعي، العولمة، الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية وما بعد الإنسانية...الخ، وكأنه بذلك يدعو القراء والباحثين لقراءة **كل** مايكتب، من أجل توظيف **بعض** ما يخص أبحاثهم.

ونجد هذا على سبيل المثال لا الحصر، في مصادرمتعددة مثل كتاب: تعليم الحياة– بيان لتعليم التربية، لنغير المسار،تحديات القرن الواحد والعشرين بجزئيه، السبيل لأجل إصلاح البشرية، عنفالعالم، من أجل سياسة حضارية،إلى أين يسير العالم، تربية المستقبل، وبدرجة أقل بقية الأجزاء الخمسة من كتاب المنهج.

أما بالنسبة للمراجع، فلم نجد من الكتب الورقية مايتكلم عن مسألة الهوية الإنسانية عند إدغار موران، لذلك وظفنا من هذه المراجع، ما يخدم موضوع بحثنا في العناصر التي تكمل تفاصيل البحث، كمشكلة الصراع الحضاري أو حوار الحضارات،أو الجدل الهوياتي في البيئات الثقافية الغربية وغيرها،أو موضوع البيئة،أوالتربية،أوالثقافة،أوالأنسنة أوأزمة الحداثة والمركزية الغربية والثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية..الخ، في حين لجأنا إلى ما وجدناه جديدا وراهنيا ومفيدا لفكرة البحث وإشكاليته على شبكة الأنترنت، من مواقع وصفحات إلكترونية،خاصة بالنسبة لموضوع الذكاء الاصطناعي وما أثاره من جدل حول موضوع الهوية البشرية، أو إلى الاستعانة بحوارات ومداخلات إدغار موران الحية والمسجلة صوتا وصورة، والتي عمدنا إلى متابعتها وتوظيفها في البحث، نظرا لجدتها وقلة أوانعدام من كتب عنها ورقيا(في حدود اطلاعنا)،على الأقل في الفترة التي كتبنا فيها هذه الأسطر.

أما بخصوص المعاجم والموسوعات الفلسفية فقد حاولنا تنويع مااستطعنا الحصول عليه منها، لشرح المصطلحات والمفاهيم التي تستحق الشرح، واستعنا ببعض المعاجم الأجنبية نظرا لطبيعة الموضوع والنموذج الذي نشتغل عليه، لضبط هذه المفاهيم في حقلها التداولي

الغربي بالدرجة الأولى، ونخصبالذكر، الموسوعة الفلسفية لأندري لالاند، والقاموس الفرنسي الشهير: **(Le Robert).**

بالنسبة للدراسات السابقة:

وبحسب ما أمكننا الاطلاع عليه وورد إلى علمنا خلال إنجازنا لهذا البحث، يمكننا القول بأنه لا توجد دراسات أكاديمية سابقة، تناولت صراحة إشكالية الهوية الإنسانية عند إدغار موران،وفي المقابل وجدنا أن هناك دراسات كثيرة أنجزت حول فكر هذا الفيلسوف المتعددمثل إبستيمولوجيا التعقيد ووبراديغم الفكر المركب و التربية وغيرها من القضايا ذات الصلة بالإنتاج الفكري الغزير لموران، في حقل البحوث العربية والجزائرية على وجه الخصوص.

ومن أبرز الدراسات الجامعية التي يمكن التنويه عليها في هذا الصدد، نظرا لجديتها وثراءها،وتقاطعها مع موضوع أطروحتنا في كثير من النقاط والزوايا الفكرية،نذكر: أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه،بعنوان(إبستيمولوجيا التعقيد عند إدغار موران)،لصاحبها داود خليفة،عن جامعة وهران،سنة 2016(علمنا من بعد أنه حولها سنة 2019 إلى كتاب لم يتسن لنا الحصول عليه لعدم تداوله في المكتبات الوطنية)، والتي أعطتنا ملمحا متميزا على منهجية تحليل وعرض الإبستيمولوجية التعقيدية عند إدغار موران، والدراسة الثانية هي:أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث،بعنوان(المعرفة والثقافة عند إدغارموران)،لصاحبها وحيد بلخضر،عن جامعة وهران2،السنة الجامعية 2020-2021، وهي أطروحة متميزة أيضا، أفادتنا خصوصا في الإحالات المعرفية التي تتعلق بموضوع الثقافة وتأثيرها على صناعة الهوية المتكاملة عند إدغارموران.

أما عن صعوبات البحث:

فيمكن القول أن اشتغالنا على النموذج (نموذج إدغارموران)،وتدارس إشكالية الهوية عندهبقدر ما وجه مجال بحثنا وحقله المعرفي والمنهجي، بقدر ما قيد حريتنا في الاستفاضة

في تفكيك إشكاليته وتدارسها بتوسع أكبر، إذ نجد أنفسنا في كثير من الأحيان، نبحث عن النموذج أكثر مما نبحث عن امتدادات الإشكالية، وتجاذباتها في الحقل التداولي الغربي أو العربي، خاصة مع عدم تيسر الحال لتدعيم خطة العمل بمقاربات أو مقارنات في الموضوع.

ونقطة أخرى مهمة في مايتعلق بصعوباتالبحث، وهي أن الحياة الفكرية الطويلة لإدغار موران، وإنتاجه الغزير والمتنوع، شكلا لنا انشغالا نفسيامستمرا، وصعوبةتقنية تمثلث في محاولة الحصول على كل جديد لهذا الفيلسوف الراهني والمتابع لقضايا اليوميوكذلك الشأن بالنسبة لحواراته، ومداخلاته الجديدة التي أمكننا الحصول عليها من الشبكة العنكبوتية، **فقد** نسمع أو نقرأ عن جديده في شبكة الأنترنت وفي مواقع التواصل الاجتماعي دون الحصول عليه،لذلك نبقى في حالة ترقب دائم،عسى أن يحمل جديده، شيئا متميزا نثري بهموضوع بحثنا.

ونختم في الأخير بالصعوبات الشخصية التي أعاقت مسيرتنا البحثية،والمتمثلة فيالمهمة المعقدة،للتوفيق بين ثالوث العمل والدراسةوالعائلة، ناهيك عن الحالة الصحية التي لم تسمح لنا في كثير من الأوقات، بالاستمرار في إنجاز هذه الأطروحة بشكل منتظم، ولولا فضل الله، لما أمكننا تقديم هذا العمل المتواضع في هذا الوقت، وقد تمنينا أن نقدم أحسن منه سواء في الجانب المنهجي أو المعرفي، ولكن كما يقال:العين بصيرة واليد قصيرة، وليس **بالإمكان أفضل مما كان.**

الفصل الأول

تجاذبات مسألة الهوية البشرية في سياق أزمة الحداثة الغربية من منظور إدغار موران.

المبحث الأول: في ضبط مصطلح الهويةوجدل المفهوم

المبحث الثاني: الأعراض الباثولوجية للحداثة الغربية

المبحث الثالث: أزمة التبسيط وعيوب الاختزال في الفكر الكلاسيكي .

المبحث الأول: في ضبط مصطلح الهوية وجدل المفهوم

رغم ان الهوية التي يتكلم عنها إدغار موران،هي الهوية الإنسانية،وليس غيرها،إلا ان ضبط مفهوم الهوية بصفة عامة، ومعرفة التأصيل اللغوي والجدل الاصطلاحي حول هذا المفهوم هي خطوة لازمة قبل محاولة ضبطه عند موران،كمرحلة أخيرة في هذا العنصر.

المطلب الأول : ضبط مفهوم الهوية لغة واصطلاحا:

أولا : الهوية لغة : كلمة Identité وردت عند لالاند في موسوعته الفلسفية، مقابلة للفظ العربي ماهية ،في صورة ماهو موجود موجود، وماهو غير موجود غير موجود a=a ،وهذا يدل على تعيين المفاهيم المنطقية وثباتها، ففي سياق الممارسة الاستدلالية العقلية يمثل المصطلح الواحد مفهوما واحدا لايتغير.[1]

ذكر جميل صليبا في معجمه الفلسفي، نقلا عن كتاب تفسير مابعد الطبيعة لابن رشد أن اسم الهوية ليس عربيا في أصله،وإنما اشتق من حرف الربط **(هو)** الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، كأن نقول زيد هو إنسان،وهذا الاشتقاق اضطر إليه بعض المترجمين الذين نقلوا هذا المفهوم إلى العربية .[2]

هوية الشيء عند الفارابي هي، عينه ووجوده المشخص (الهو هو)، وخصوصيته المتفردة التي لايقع فيها إشتراك.[3]وكما جاء في قاموس Le Robert، أن مبدأ الهوية « Principe d'identité » يشير إلى: **(ce qui est ,est ;ce qui n'est pas, n'est pas)** وهو يدل على شخصية ماهو متطابق أو واحد، أو محدد، فعندما نقول الهوية الشخصية

---

[1]–أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة:خليل أحمد خليل،المجلد الأول،منشورات عويدات، بيروت، ط02 2001، ص ص609–610.

[2]– جميل صليبا،المعجم الفلسفي، ج2 ، دار الكتاب االبناني، بيروت ،د ط،1982، ص529.

[3]– سعاد تتبيرت، الهوية الرقمية للباحث الجزائري ودورها في تثمين نتائج البحث العلمي،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ جامعة البليدة2،مجلد 17 ،عدد خاص ،جانفي 2022 ،ص192.

فإننا نقصد طبيعة ما يبقى متطابقا مع نفسه دوما،أي ثبات عناصره التي تميزه عن غيره ومنه يمكن الاعتراف بها دون لبس، لذلك نجد استخدامات كثيرة للمصطلح تحت هذا المعنى مثل: صورة الهوية أو وثيقة الهوية،تعبيرا عما تعتمده الجهات المدنية والقضائية وغيرها في مهامها وتحرياتها عن الأفراد.[1]

ثانيا: الهوية اصطلاحا:

تشير الموسوعة الفلسفية السوفياتية إلى أن مصطلح الهوية يعبر عن تماثل ظاهرة أو موضوع ما مع ذاته،أو تساوي موضوعات عديدة ،كقولنا أن الموضوعين **أ وب** متطابقين من حيث الهوية إذا كانت كل الصفات والعلاقات التي تميز الموضوع"**أ**" مميزة أيضا للموضوع"**ب**"،والعكس صحيح ،ولئن كان قانون الهوية المنطقي يفضي إلى النتيجة القائلة بأن الأشياء ثابتة وغير قابلة للتغير ،إلا أن الواقع المادي الذي يعتريه التغير المستمر،يجعل من الهوية أمرا متعينا وليس مجردا، يحتوي على تمايزات كامنة، وتناقضات يتم تصنيفها وحلها خلال عملية التطور التي تخضع إلى شروط معينة، هذا يعني أن هوية الموضوعات نسبية، وكل هوية للأشياء هي هوية مؤقتة وانتقالية ،فيكون المطلق عندئذ ليس في ثباتها وتجريدها، بل في تطورها وتغيرها المستمر.[2]

ومن المعاني التي يعطيها المحدثون لمصطلح **هوية** نجد:الهوية العددية والتي تطلق على الشيء من جهة ماهو واحد، كقولنا أن الشيخ الرئيس هو:أبو علي ابن سينا، والهوية الشخصية التي تطلق على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص،إذا ظل هذا الأخير ذاتا واحدة رغم التغيرات التي تعتريه طيلة فترة وجوده، والهوية الكيفية أو النوعية،وهي التي

[1]- a.rey et J.rey-Debove, dictionnaires Le Robert, 107 avenue parmentier, paris, 2eme éditions, 1990, p 957.

[2]– روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية السوفياتية ، ترجمة: سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ط د س، ص ص 564–565.

تخص صفة موضوعين من موضوعات الفكر إذا كانا متشابهين رغم اختلافهما في الزمان والمكان.[1]

يعيب الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900)،على الاعتقاد الخاطىء الذي يتملك الإنسان حسب رأيه،بأن هناك ثبات مزدوج في الهوية، مرتبط بثبات الذات العارفة وثبات موضوع المعرفة ،وانطلاقا من تمسكنا بفكرة الثباتية كمايضيف،"**فلم يكن لنا إلا صياغة مبدأ الهوية الذي يلغي سيولة الذوات والصفات والموضوعات التي تتحول دون توقف،لكن الحقيقة هي عكس ذلك تماما،فلا يمكن أن نعترف بثبات الذات سواء ذاتنا أو ذوات الأغيار،لأننا في حالة اختلاف مزمنة لاتتوقف** ".[2]

المطلب الثاني: مساحة في مفهوم الهوية

تنزع بعض الرؤى الغربية إلى فكرة تشكيل سياسة كونية لمسألة الهوية قائمة على أساس العامل الثقافي، ذلك لأن الشعوب ذات الثقافات المتماثلة تتقارب أما الشعوب ذات الثقافات المتباينة تتباعد،فلقد أفرزت الحرب الباردة ماعرف بالهوية الثقافية أو المجتمعات الثقافية التي حلت محل الإيديولوجيات والتكتلات الأخرى التي أفرزتها تلك الحرب على مدار سنوات عديدة،وأصبحت بذلك الهوية الثقافية هي التي تحدد موضع الدولة في السياسة العالمية وتحدد أيضا من معها ومن ضدها .[3]

كان التفكير المانوي بوجود عالمين متضادين (عالم الخير وعالم الشر)، يتردد دائما عبر التاريخ الإنساني، وفي ظل التصدعات والصراعات والتحالفات التي عرفتها الدول

---

[1]-جميل صليبا،المعجم الفلسفي، ج2، مرجع سابق ، ص531.

[2] –عبد الكريم عنيات، الهوية والتفتح– دراسة فلسفية في مفهوم الهوية، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر02، المجلد 15العدد02، 2018 .

[3]– صامويل هنتغنتون، صدام الحضارات–إعادة صنع النظام العالمي الجديد، ترجمة: طلعتالشايب، ددالنشر، د بلد النشر، ط2، 1999 ،ص203.

خصوصا في نهاية النصف الثاني من القرن العشرين، ظهرت إلى السطح مفاهيم جديدة تترجم هذا الانقسام مثل: **عالم "نحن" و"هم"** ،حضارتنا والحضارات الأخرى البربرية الجماعة المفضلة والجماعة المصنفة على الهامش، الشمال والجنوب، العالم الحديث المتقدم والعالم التقليدي النامي أو المتخلف...الخ.[1]

وأمام هذا الوضع صار من الصعب إن لم يكن من المستحيل الحديث عن عالم واحد منسجم أو متوافق، وأصبحت البشرية تواجه حتمية الشرخ الهوياتي وتصادم الحضارات.

يرى **إدغار موران***،أن الذات الإنسانية أنوية (ثبات الذات رغم تحولها عبر مراحل العمر)،إلا أن هذا المفهوم لايجعلها أنانية، ذلك أن حالة الذات تنطوي على مبدأ الاندماج

[1]– صامويل هنتغنتون، صدام الحضارات–إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، مرجع سابق ، ص ص 53–54.

*– هو إدغار ناحوم(ناهوم) موران(Edgar Nahoum Morin)،فيلسوف وعالم اجتماعي وأنتروبولوجي فرنسي معاصر، ينحدر من أسرة يهودية، نزحت إلى فرنسا من مدينة سالونيكا اليونانية التي كانت تحت الحكم العثماني،ولد بالعاصمة الفرنسية باريس بتاريخ 08 جويلية 1921،والدته إيطالية توفيت وهو في سن العاشرة،يعد من أبرز المفكرين والفلاسفة المخضرمين،الذين ذاع صيتهم في العالم، وصنعوا مجد الفلسفة الفرنسية بداية من النصف الثاني من القرن العشرين،وإلى غاية هذين العقدين الأولين من القرن الواحد والعشرين،انضم إلى حركة المقاومة الفرنسية ضد النازية وإلى الحزب الشيوعي الفرنسي في الفترة مابين 1941 و1951 ،ثم استقال منه لاعتبارات فكرية، يوصف بالمفكر المتعدد وفيلسوف الراهن، فقد اهتم بدراسة التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة والأنتروبولوجيا ، واقتحم مجال السياسة والصحافة والسينما...الخ،تعد المسيرة الفكرية لإدغار موران والتي فاقت الثمانين سنة،حافلة بالإنتاج المعرفي الغزير و في مختلف التخصصات والحقول المعرفية،فقد كتب منذ منتصف القرن العشرين إلى غاية اليوم، أكثر من سبعين مؤلفا،تنوعت بين الفلسفة وعلم الاجتماع والسينما والسياسة والثقافة والتربية والبيئةوغيرها،وقد ترجمت أغلب مؤلفاته إلى عدة لغات في العالم،يعتبر كتابه العمدة (المنهج) ،من أهم منجزاته الفكرية التي خصص لها جهدا ووقتا معتبرين، في حياته التأليفية، وضمنه أهم معالم ومبادئ الفلسفة التعقيدية، ويتكون من ستة أجزاء،الجزء الأول:طبيعة الطبيعة، سنة 1977 ،الجزء الثاني:حياة الحياة،سنة1980،الجزء الثالث:معرفة المعرفة أنتروبولوجيا– المعرفة،سنة 1986،الجزء الرابع: الأفكار– مقامها،حياتها عاداتها،تنظيمها،سنة1991، الجزء الخامس،إنسانية الإنسانية الهوية الإنسانية،2001، الجزء السادس:الأخلاق ،2004، نال موران جوائز عالمية، وشهادات دكتوراه فخرية من أكثر من أربعة عشر جامعة عالمية،كما نال أوسمة شرفية مختلفة من دول عديدة في العالم،في إيطاليا واسبانيا،وفرنسا وسويسرا والبيرو وغيرها،ترأس"الوكالة الأوروبيةللثقافة"،في منظمة اليونسكو،التي أشرفت على طباعة كتابه الشهير "تربية المستقبل" سنة 1999، كرس جهدا معتبرا من حياته بالفكرية في البحث عن منهجية قادرة على تحدي التعقيد الذي يفرض نفسه اليوم على المعرفة العلمية،وعلى المشاكل الإنسانية عموما،كان على رأس من أسس جمعية الفكر المعقدAPC،والتي تهدف إلى دعم الأشكال المختلفة للفكر،ومواجهة التعقيد

مثلما تتضمن أيضا فكرة الاستبعاد،وهذا ما يساعدنا على الانضمام إلى جماعة معينة،فكلمة **نحن**،تعبر على العائلة أو الحزب او حتى على الزوجين،ويمكن للذات أن تهب نفسها لحب ذات أخرى ،وهو ما يحدث في العلاقة الأسرية بين الأم وطفلها،أو في العلاقات الغرامية بين العشاق،الذين يتعلق أحدهما بالآخر حد الفناء.[1]

وهكذا فإن مركزية الذات الأنوية ،لاتفهم في إطار الأنانية فقط ،بل في ميلها للإيثار،فنحن قادرين على منح"**أنا**" التي تخصنا، إلى الضمير "**نحن**"، والضمير "**أنت**"، ووفقا للتعبير الهيغلي،"أنا" في "نحن" و"نحن" في "أنا"، وفي خضم التنازع والصراع بين الضميرين أنا ونحن، واللذان يشكلان كيانين منفصلين أنطولوجيا،قد يحدث أن يهيمن الضمير"نحن"،فتتراجع "الأنا"، كما قد تهيمن الذات فتتراجع "نحن"، وهكذا يوجد في هذه العلاقة جدل قائم في كون أن للذات استعداد للتمسك بالأنا ، إلى حد أن تضحي الذات بكل شيء من أجل نفسها، مما يكرس سلوك العداء والقتل حتى بين الأصحاب وجميع الأفراد الآخرين، وبالمقابل هناك استعداد وإمكانية إيثار لهذه الأخيرة،قد تصل إلى حد التضحية بالنفس من أجل الآخرين.[2]

الذي يكتنف الكائن البشري والمجتمع والعالم،لايزال وفيا لرؤيته الفلسفية التعقيدية، ولايزال إنتاجه مستمرا إلى غاية كتابة هذه الأسطر،وله كتاب "الذكريات تأتي للقائي"،الذي ألفه سنة 2019، وكتاب "دروس قرن من الحياة"، الذي ألفه سنة 2021بمناسبة ذكرى ميلاده المئوية، يقيم موران حاليا وبشكل شبه دائم، بدولة المغرب رفقة زوجته المغربية صباح أبو السلام،وكثيرا ما يشرف على مهرجانات ثقافية عديدة هناك في السينما والمسرح والموسيقى وغيرها.

[1] – إدغار موران ،النهج :إنسانية البشرية –الهوية البشرية،تر:هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث–كلمة، الإمارات العربية المتحدة، ط1 ،2009، ص 91.

[2] –المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المطلب الثالث: خصائص الهوية البشرية عند إدغار موران :

أولا-هوية إنسانية مركبة ومعقدة:

الإنسان كائن معقد التركيب،هكذا يلخص إدغار موران رؤيته بالنسبة للهوية البشرية،التي يؤمن بها، فهو يرى أن الإنسان يجمع بين جملة صفات مركبة ومعقدة ومتناقضة، فهو ذلك الإنسان العاقل(Sapiens)،والمجنون (Demens)، وهو الصانع والتقني والشبقي*، والساحر والورع والأسطوري، والراقص، والمصاب بالعصاب،والبربري...الخ،وكلها صفات قد تظهر عند أفراد معينين، وتختفي عند آخرين، أوتتعاقب في الظهور، كما أنها يمكن أن تتبدد و تتكون من جديد بحسب اختلاف الناس واختلاف مجتمعاتهم وأزمنتهم.[1]

فبقدر ما يكون الإنسان عاطفيا ومجنونا ومولعا باللعب وهستيريا وحالما وشاعرا وناثرا وجماليا ومتخيلا (بكسر الياء المشددة)،فهو كذلك قادر على أن يكون في ذاته عقلانيا وموضوعيا ومتزنا،ومثلما يوجد هناك في الواقع، الإنسان العاقل والمصنع والناثر...،يوجد في المقابل إنسان الشعر و اللعب والإسراف والهذيان والجمالية والتخيل،وتعبر الثنائية التي تجمع العقل والجنون في الكائن البشري ذاته،عن ثنائية القطب الحياتية كما يصفها موران،وهذه الثنائية المتناقضة هي التي تنسج حياتنا الثنائية المتناقضة أيضا،فنحن نعيش من جهة حياة الجد والنثر والمنفعة والعقلانية،ونعيش في الآن نفسه،حياة اللعب والجمال والشعر،وبينهما لحظات معقدة من الامتزاج والتعاقب، والثنائية التي تجمع بين صفتي العقل والجنون في

*-يعبر مصطلح الشبق (libido) عن الشهوة أو الرغبة الجنسية التي تطلب الإشباع عن طريق الممارسة الجنسية، وتقر المنظمة العالمية للصحة،أن الصحة الجنسية هي مركب متكامل من الصحة الجسدية والعقلية والعاطفية والاجتماعية المرتبطة بالممارسة الجنسية، ينظر:صفحة (الطبي) على شبكة الأنترنت، رابط الموقع الإلكتروني https://altibbi.com تاريخ وساعة التصفح :2024/04/27 ، 6:15سا.

[1]- إدغار موران ،النهج :إنسانية البشرية -الهوية البشرية ، مصدر سابق،ص80.

الذات الواحدة،تعني بشكل أوضح أن العاقل يوجد في المجنون،مثلما يوجد المجنون في العاقل أيضا،ومابين السلب والإيجاب يحتوي أحدهما الآخر.[1]

يعتقد إدغار موران،أن هناك نوع آخر من الصفات الإنسانية،يقع وراء صفة العقل وصفة الجنون ،وهي التركيبة التي تضمهما معا وتتجاوزهما في الوقت نفسه ،فمن الصعب مثلا أن تضع حدود واضحة بين الإنسان المجنون والإنسان المسرف المبذر،ففي حالات البهرجة والاحتفال المحموم، والعربدة والثمالة التي تفقد العقل، وألعاب المجازفة والمخاطرة والعاطفة المتطرفة، يصل الإنسان إلى حالة من إحراق الذات، والمخاطرة بها إلى حد الموت،وهكذا يحمل الإنسان في داخله، على حسب موران،مبدأ الإسراف والتبذير اللاعقلاني،وليس فقط مبدأ الاقتصاد العقلاني.[2]

يرفض إدغار موران، تلك الرؤية الأحادية السائدة في القرن الواحد والعشرين، والتي تصنف الإنسان ككائن عاقل من وجهة نظر عقلانية، وكإنسان صانع من زاوية تقنية وإنسان اقتصادي،بالنظر إلى سلوكه النفعي،وإنسان نثري باعتبار حاجاته الضرورية الروتينية في الحياة، بل إن الإنسان كائن مركب يجمع بين الخصال التي تبدو متناقضة عند دعاة الاختزال والتجزيء،رغم كونها ضرورية ولازمة لفهم تعقيد الكائن البشري، فهو العاقل–المجنون،والواقعي –المتخيل،والمقتصد–المبذر،والنثري–الشاعر،والعامل–اللاعب...الخ.[3]

[1]– إدغار موران ،النهج :إنسانية البشرية –الهوية البشرية ، مصدر سابق ،ص171.

[2]–المصدر نفسه ،ص ص157–158.

[3]– إدغار موران، تربية المستقبل–المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر:عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، د ط ،2002 ، ص 54.

ينبغي فهم"**إنسانية الإنسان**"، في إطار ما يصفه إدغار موران بالتركيبة أو بالوحدة المزدوجة للإنسان (بيولوجية وثقافية)،"**وهذه الوحدة المزدوجة هي مايمنح الإنسان أصالته وتميزه،إنه كائن حي متفوق طور بطريقة مذهلة قدراته على الحياة**".[1]

إذ أن الحياة عنده هي انبثاق عن تاريخ الأرض، والإنسان هو انبثاق عن تاريخ الحياة الأرضية،ولا يمكن تصور العلاقة بين الإنسان والطبيعة بطريقة منفصلة واختزالية ، وبهذا المفهوم تصبح الأرض كلية مركبة مادية وحيوية وإناسية،وليست مجرد جماع كوكب مادي منفصل عن المحيط الحيوي والمجتمع البشري.[2]

إن الإنسانية كما يراها موران، هي كنه كوكبي وحيوي،والكائن الإنساني هو كائن طبيعي وثقافي معا،وإن كان مصدره من الطبيعة الحية والفيزيقية،إلا أنه يتميز عنها بخاصيته التي ولد بها ،وبالفكر والوعي الذي يفصله عن بقية الأنواع.[3]

والطبيعة البشرية،مثلما يضيف فيلسوفنا، تنضوي على وحدة متكاملة ومعقدة من الصفات،إذ أن الكائن البشري، هو كائن نفساني وبيولوجي وفيزيائي،كما أنه كائن ثقافي واجتماعي وتاريخي في الوقت نفسه،وهذا ماغفلت عنه برامج التعليم النظامي الحالي، فتسبب ذلك في صعوبة فهم الإنسان ذاته، وبالتالي فلا إمكانية لفهم هوية الفرد الذاتية، وهويته المشتركة مع الآخرين من بني جنسه، إلا من خلال إعادة بناء هذه الوحدة المعقدة للطبيعة البشرية.[4]

---

[1]– إدغار موران،فهم الشرط الإنساني رهان تربية المستقبل،تر:عزيز مشواط، مجلة رؤى تربوية، العدد29،مؤسسة القطانفلسطين ، ص126.

[2]– إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية ،تر: عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق ،المغرب، د ط، 2012،ص59.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]–إدغار موران، تعليم الحياة–بيان لتغيير التربية، تر:الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف،بيروت،ط01 ، 2016 ص 128 .

في رأي موران أننا نحمل المجتمع الذي نعيش فيه ككل،بداخلنا سواء ثقافته أوعاداته أو لغته، كما يوجد في دواخلنا زمننا الذين عشناه،ولسنا مجرد جزء غير ذي قيمة من هذا المجتمع،ولسنا مجرد لحظة فانية من الزمن الذي نعيش فيه،إننا نحمل نوع الإنسان من حيث كونه كائنا بيولوجيا بداخلنا ،كما أن سلالة الثدييات ،ومختلف الحيوانات والكائنات الحية،بل إن الحياة ككل بوصفها ظاهرة أرضية توجد بداخلنا،والحياة التي نحياها هي القاسم المشترك بين الأحياء جميعا، كما أن كل كائن هو عبارة عن جزيئات متكونة من اجتماع ذرات ،والتي هي ذاتها تآلف بين الجسيمات فيما بينها،وهذا ما يستلزم أيضا أن العالم المادي بأكمله،وتاريخ الكون يوجدان في جوتي(داخلي)، كما يقول موران[1].

وتظهر نزعة التركيب في الهوية الإنسانية عند إدغار موران، حتى بالنسبة للصفات الخاصة التي تطبع شخصيته أو يؤمن بها في فلسفته، ففي أحد الحوارات المصورة التي أجريت معه حول رؤيته الفلسفية بخصوص فكرة **الأمل أو التفاؤل**، رفض موران أن يوصف بأنه متفائلا (optimiste) على الإطلاق، أو يقال عنه أنه متشائما(pessimiste) بلا حدود فقد صرح قائلا: "أعرِّف نفسي كشخص(**متفائم***)opti- pessimiste،أي أنني أرى المخاطر والصعاب ، ومؤمن في نفس الوقت بوجود مخارج ممكنة لتجاوزها".[2]

ثانيا: هوية واحدة ومتعددة:

لقد خصص إدغار موران الجزء الأول من كتابه الجديد، الذي ألفه بمناسبة مرور قرن من الزمان على ميلاده،(دروس قرن من الحياة)، للتعبير عن خاصية مهمة جدا من

[1]–إدغار موران ، دروس قرن من الحياة، تر:خليد كدري، سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط01، 2022 ص28.

*–دمج بين كلمتين هما اسم فاعل:متفائل ومتشائم، في سياق إمكانية الجمع بين المتناقضات في فلسفة إدغار موران.

[2]–فلسفة الأمل عند إدغار موران ،حوار مسجل منشور على شبكة الأنترنت، الرابط:https://m.facebook.com تاريخ وساعة التصفح :2023/05/11 ،9:26 سا .

الخصائص التي يعتقد فيلسوفنا ونعتقد معه أيضا،أنها تشكل تصورا واضحا ومفيدا، لفهم مسألة الهوية الإنسانية التي يقصدها ويشتغل عليها في مؤلفاته العديدة،وهو جزء معتبر في الكتاب ورد تحت عنوان: **الهوية واحدة ومتعددة**،حيث يفتتح كلامه في هذا الجزء بسؤال: من أنا؟، ليجيب عنه مباشرة:أنا إنسان،وهذا هو اسم ذاتي (يقصد ذاته هو)،ثم يسترسل متحدثا عن كونه يحمل صفات كثيرة تتفاوت أهميتها بحسب الظروف، فيذكر جنسيته الفرنسية،وانتمائه الجزئي لاسبانيا بحكم إقامة عائلته هناك لمدة معينة ، ولإيطاليا من جهة والدته، ثم يعرج على أصوله اليهودية،السفاردية،*،وثقافته الأوروبية، ومواطنيته العالمية لأنه ابن الأرض–الوطن، كما يقول عن نفسه.[1]

من الصعب،كما يضيف موران، أن تستوعب كيف يمكن للإنسان أن يتمثل كل هذه الصفات مرة واحدة في الوقت نفسه،فذلك مرتبط بالظروف والأوقات التي تسمح بغلبة صفات على أخرى،فواقع الحال يكشف أن كل فرد إنساني يحمل هوية عائلته، أو هوية منطقته الجغرافية (قرية أو مدينة)، أو هوية عرقه،أو هوية وطنه، ثم في الأخير هوية قارته الكبيرة، وبهذا فكل منا يملك هوية معقدة، هوية واحدة ومتعددة في الآن نفسه.[2]

إن رؤيتنا المحدودة لطبيعتنا و للعالم والحياة،تمنعنا من رؤية الكونية التي في خصوصيتنا،والوحدة التي في تنوعنا،فالتنوع والتميز موجود عند البشر في شخصياتهم وفي ذكائهم أو ثقافتهم وغير ذلك، ولكن الجميع يعتقد أنه يمتلك الحكمة كلها أو الحقيقة كلها ويتغافلون عن كون هذه الحكمة، هي مشترك إنساني. [3]

*– كلمة سفارديم تطلق على يهود الشرق، نظرا لكون الأصول العائلية لإدغار موران تعود إلى مدينة سالونيكا باليونان والتي كانت تحت الحكم العثماني ،وهناك أيضا اليهود االإشكيناز المنحدرين من أصول أوروبية غربية.

[1]–إدغار موران، دروس قرن من الحياة،مصدر سابق، ص11.

[2]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3]- Edgar Morin, Mes Philosophes, librairie Arthème Fayard /Pluriel, France,2011,p28.

ينظر إدغار موران لموضوع الهوية البشرية في إطار الخاصية الثلاثية المركبة لحلقة:الفرد،المجتمع،النوع (Individu, Société, espèce)،فهناك علاقة تبادلية تكاملية بين هذه العناصر الثلاثة ،للفرد داخل مجتمعه،أو للفرد بالنسبة للنوع الإنساني الذي ينتمي إليه في الأصل،مما يجعلنا ننظر إلى مستقبل الإنسان في إطار من الاكتمال والتناقض.[1]

ترتبط وحدة الهوية البشرية ،حسب موران ،بمسألة الاشتراك في النوع أو المصدر المولد للجنس البشري،إذ أن الموروث الوراثي هو عامل مشترك بين جميع الكائنات البشرية،والذي يضم جميع الصفات المشتركة الأخرى،مثل الصفات التشريحية أو المورفولوجية أو الدماغ وغيرها،ورغم أن كل فرد من الأفراد يعيش حياته في ظل ثقافته المجتمعية،كشخص متفرد،إلا أن هذه الخصوصية نفسها،مشتركة بين الجميع،وكذلك الشأن بالنسبة للدماغ البشري،فرغم اختلاف حجمه وشكله بين الأفراد ،فإن الدماغ البشري يتميز جوهريا بتنظيم واحد مشترك،فللأفراد جميعهم المقدرات والاستعدادات الدماغية ذاتها ،والتي تتيح لهم إنجازات عملية متنوعة غير محدودة في الحياة.[2]

وهكذا تكون الهوية عند إدغار موران واحدة ومشتركة في بعدها البيولوجي، رغم تعددها في مجالها الثقافي والاجتماعي، ومايصدق على وحدة الدماغ البشري بين أفراد النوع البشري،فهو يصدق أيضا على عناصر أخرى مشتركة بين الناس رغم اختلاف بيئاتهم وأزمانهم، كاللغة والانفعالات والمتخيلات والأساطير وغيرها.

حتى بالنسبة للصفات النفسية للشخصية الإنسانية، فهي تجمع بين الوحدة والتعدد وهي تركيبة معقدة قد تجمع في الآن نفسه، بين الحالات الوجدانية الانفعالية،وبين الحالات العقلية المتزنة أو قد يحدث بينهما التعاقب في شكل سريع، وهكذا تصير الشخصية مزدوجة

[1]–إدغار موران ، المنهج – الأخلاق، تر: يوسف تيبس ، دار إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، د ط ،2021 ، ص164.

[2]–إدغار موران ،النهج :إنسانية البشرية –الهوية البشرية، مصدر سابق، ص ص74–75.

أو متعددة رغم كونها واحدة،فقد ينقلب الشخص الذي يوصف بثنائي القطب، وبشكل مفاجيء، من حالة التفاؤل والنشاط والحماسة، إلى حالة التشاؤم و الاكتئاب والخمول، كما يمكن أن تتحول نفحات العشق والهيام بين المحبين في اللحظات نفسها، إلى ثورة من العتاب والنقد والتجريح،فهنا نجد أن شخصين متناقضين يشغلان ذات واحدة نفسها ،وهي ليست علامة مرضية حسب موران،بل إن هذا التعاقب غير المتوقع بين الحالات العقلية والعاطفية والعكس في الأنا الواحدة،يعبر عن وجود شخصية منسجمة متكاملة، ذات صفات متفردة،تظهر وتحتفي لتظهر من جديد مرة أخرى، بحسب الظروف والمواقف.[1]

إن كل فرد هو عبارة عن عالم مصغر، يحمل في أناه الذاتية الموحدة، عالم الكل المتعدد الذي هو جزء منه،لذلك يقول موران بصريح العبارة: "أنا كل بالنسبة إلى ذاتي،وفي الوقت نفسه،لست شيئا تقريبا بالنسبة إلى الكل،أنا إنسان واحد من جملة ثمانية مليارات إنسان،أنا فرد فريد وعادي،مختلف عن الآخرين وشبيه بهم في آن معا،أنا نتاج أحداث ولقاءات قليلة الاحتمال،عشوائية،مترددة ،مباغتة وغير مرتقبة ،وفي الوقت نفسه،أنا هو ذاتي،فرد ملموس مزود بآلة فائقة التعقيد،و إيكو–ذاتية التنظيم*،هي جسدي".[2]

خلال التطرق لهويته الاسمية والمتنوعة هي أيضا،بين الاسم الحركي: **(موران)** الذي اكتسبه في بداية أربعينيات القرن العشرين، خلال انضمامه لحركة مقاومة النازية في فرنسا التي ولد فيها،,واسم **(ناحوم)** العبري، الذي يربطه بأصوله اليهودية، يصف موران ما يجده

[1]–إدغار موران، دروس قرن من الحياة ، مصدر سابق ، ص25.

*–ورد هذا المصطلح بلغته الأصلية Auto–éco–organisatrice ،والمراد به كما يذكر المترجم ،هو أن التنظيم الذاتي للجسد يعتمد على بيئته المحيطة ،إذ منها يستمد المعلومات والطاقة– انتهى كلام المترجم–،المصدر نفسه،الصفحة نفسها. (وهي كلمة من بين الكلمات التي تشكل القاموس الاصطلاحي المتنوع لإدغار موران، والتي يستعير أغلبها من الحقل العلمي ويدمجها أو يضيفها إلى حقل العلوم الإنسانية مثل كلمات: الهولوغرام، الارتجاع،الانبثاق،وكلمات أخرى مركبة مثل: سفينة فضاء الأرض، الأنتروبوليتيك، الأنتروبولوجيا الأخلاقية، الكوزموبوليتية...الخ).

[2]– إدغار موران ، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص28.

في نفسه من صراع داخلي نفسي،أثناء تنازع وتعاقب هذه الأسماء على وعيه،وفي وضعيات متداخلة أحيانا،إذ ينتصر الاسم العبري اليهودي على الاسم الفرنسي والعكس،بحسب الحالات والمناسبات والظروف،ولكنه في الأخير يقول أنه سعيد من حيث الهوية أنه ابن أبيه،وابن أعماله في الوقت ذاته،ليضيف مؤكدا هذه الفكرة:"**لقد عشت هويتي المتعددة،لا بوصفها شذوذا،بل بوصفها ثروة، تتعاقب هذه الهويات على أنحاء شتى، تبعا للأحوال الداخلية أو الخارجية في أناي، وفي (إدغار*) الذي يدمجها دمجا**".[1]

يؤكد إدغار موران على ضرورة نبذ وتجاوز مسألة الهوية المجزأة الأحادية أو المختزلة،وإدراك وحدة الهوية في إطار تعددها،وذلك مثلما يضيفو يوضح، من لوازم الصحة العقلية التي من شأنها تحسين العلاقات الإنسانية.[2]

إن الأنتربولوجيا الأخلاقية كما يصفها موران،ترفع الوعي الأنتربولوجي –الذي يعترف بوحدة كل ماهو إنساني في إطار تنوعه، كما يعترف بالتنوع في كل ماهو وحدة – إلى المستوى الأخلاقي الذي يجعلها تؤمن بإلزامية حماية الوحدة والتنوع الإنسانيين أينما وجدا، وتقوم الأنتربولوجيا الأخلاقية أيضا بربط الأخلاق الفردية بالأخلاق الكونية،هذه الأخيرة التي تقر أن كل إنسان، هو في هوية مع الذات و اختلاف معها، وتقبله في تشابهه واختلافه معا. [3]

ينصح موران بضرورة التنبيه على وجود مايسمى بعقدة الأزمة الكوكبية الشاملة التي تطبع القرن الواحد والعشرين،وهذه الأزمة هي التي تعرفنا بوضوح،على"**أن كل البشريعيشون**

*–نرجح أنه يقصد بالإشارة إلى هذا الاسم،(**إدغار**):ذلك الإنسان الذي بإمكانه تجاوز كل الهويات الداخلية التي تتنازعه سواء كانت عائلية أو قومية أو دينية،وبإمكانه إحداث التآلف بينها ،لتصبح كل هذه الهويات هوية واحدة متصالحة مع ذاتها ومع الكل .

[1]–إدغار موران ،دروس قرن من الحياة ، مصدر سابق ،ص20.

[2]–المصدر نفسه ،ص28.

[3]–إدغار موران ، المنهج – الاخلاق،مصدر سابق، ص164.

نفس المصير المشترك ،لأنهم أصبحوا ابتداء من الآن عرضة لنفس مشاكل الحياة والموت".[1]

هذا ما يجعل من مسألة التفتح على نفس المشاكل الكونية التي يشترك فيها جميع البشر،والاندماج في وحدة المصير المشترك لهم،ضرورة وجودية وأخلاقية أيضا، وفقا لقناعة إدغار موران.

ثالثا-هوية متحولة في كنف التضاد:

الهوية عند موران ،ليست ثابتة ،بل هي متحولة ومتغيرة،إذ أن الإنسان لايملك هوية فيزيائية ثابتة،لان جزيئاته في تحول مستمر،فهي تتعرض دوما للتلف لتحل محلها جزيئات أخرى،وهكذا الشأن بالنسبة للخلايا البشرية التي تموت وتولد مرة أخرى في الأعضاء والأنسجة وغيرها ،إلا أن جوهر هويته الشخصية(ذاتيته)، يبقى موحدا رغم تحول صورتها عبر الزمن وانتقال الفرد من مرحلة الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة.[2]

كما نقف على تحول هذه الهوية حسب موران، في حالاتها النفسية، فالذات الواحدة نجدها تتحول باستمرار وفي شكل غير مفهوم أو متوقع، بين الحالات الانفعالية العصابية أوالجنونية،والحالات العقلانية المتزنة المناقضة لها،بين حالات الفرح والتفاؤل إلى حالات الاكتئاب والتشاؤم، لذلك رأى أفلاطون بأن قانون العقل هو ابن المغالاة،وذهب نيتشه إلى اعتبار أن أي حياة عقلانية بالكامل هي حياة جنونية،إذ أن كل شيء عقلاني هو في الحقيقة شيء من اللامعقول متجذر في الزمن.[3]

[1]-إدغار موران، تعليم الحياة ،مصدر سابق ، ص129.

[2]- إدغار موران ،النهج :إنسانية البشرية –الهوية البشرية، مصدر سابق، ص91.

[3] – المصدر نفسه، ص153.

في كتابه الشهير **فلاسفتي(Mes Philosophes)**،-الذي سبقت الإشارة إليه-يشيد إدغار موران ،بأفكار الفلاسفة والمفكرين والأدباء السابقين ،من مختلف الحقب الزمانية،والذين يقول عنهم انهم ألهموا فكره،وغيروا نظرته للحياة بصفة عامة.

فيذكر مثلا أنه استلهم فكرة الميل إلى التمسك بحقيقتين متعارضتين في الآن نفسه،فيما وجده عند العالم الفيزيائي والرياضي بليز باسكالBlaise Pascal*(1623-1662)،الذي ينقل عنه قوله:"**إن مصدر كل البدع (الهرطقات)، هو في عدم تصور اتفاق حقيقتين متعارضتين**".[1]

وكذلك بالنسبة للفيزيائي الدنماركي،نيلز بور**Niels Bohr(1885-1962)،الذي يرى بأن هناك حقائق عميقة(غير تافهة)، لايمكن التعرف عليها إلا من خلال نقيضها،وهكذا يكون نقيض الحقائق العميقة يحتوي على حقائق عميقة كذلك،وقد استفاد موران من هذه الرؤية كما يقول عن نفسه،في إمكانية الجمع بين حقيقتين متناقضتين،باعتبار أن ذلك يجنبنا تلك الرؤية المانوية الاختزالية، والأحادية الجانب اتجاه الأشياء والظواهر،وعن نفسه يضيف بأنه تأكد في حياته، من وجود جزء من الحقيقة يملكها الخصم، ولا بد من الاعتراف بها،وهو يقول في ذلك أنه يرتبط أساسا بالصراع الداخلي الذي يجده في نفسه، وبالمتناقضات التي تتنازعه، وهو ماجعله يؤسس لفكرة الحواريةDialogique التي يعترف بأنه استلهمها من فيلسوف الصيرورة والتغير، اليوناني **هيراقليطسHéraclite**(540-475 ق م)،وهي في رأيه

* -فيلسوف وعالم فيزيائي ورياضي فرنسي،اشتهر بنظريته في الاحتمالات في الرياضيات،وهو اول من اخترع الآلة الحاسبة. ويكيبيديا: https://ar.m.wikipedia.orgتاريخ وساعة التصفح:2024/05/04 ،16:25سا.

[1]-Edgar Morin, Mes Philosophes op.cit. ,p22.

**-عالم فيزيائي دنماركي،مختص في برامج البنية الذرية،دعا إلى قبول الطبيعة الاحتمالية التي تطرحها ميكانيكا الكم،وقد عرف هذا التفسير باسم تفسير كوبنهاغن، نسبة إلى مسقط رأسه في الدنمارك.

تختلف عن الجدلية الهيغلية والماركسية التي تعتقد كل منها، بإمكانية التغلب على المتناقضات وتجاوزها،بينما يرى موران إمكانية الجمع بينها.[1]

وهذا ماينطبق حسب إدغار موران،على الهوية الإنسانية التي تجمع بين المتناقضات،في صورة متناغمة تفاعلية تعبر عن حقيقتها وتكاملها**.

يقول موران عن هيراقليطس، أن هذا الأخير علمنا،بأن التناقض علامة الحقيقة،في حين أن الفكر الكلاسيكي يعتقد أن التناقض هو علامة من علامات الخطأ.[2]

اشتهر هيراقليطس في زمانه بالبحث والتأمل في مختلف المواضيع الطبيعية والفلكية،استكمالا وتجاوزا لمنظومة الأفكار والآراء التي وردت عن فلاسفة الطبيعة الأوائل أمثال طاليس،وفيثاغورس وانكسماندريس وغيرهم.[3]

من بين آراء هيراقليطس في ذلك، أن الكائنات محكومة بقوة التضاد التي تحصل بينها،وهذا التضاد هو الذي يولد الصراع الذي يعبر فيالحقيقة عن التناغم والانسجام والائتلاف بين هذه القوى المتعاكسة،ومثال ذلك، مايحدث في موضوع الحياة والموت،والليل والنهار، والشتاء والصيف...الخ،إذأن كل فساد في علاقة التضاد المتناغمة بين هذه القوى المتعاكسة يؤدي إلى الفناء أو الموت، فالشمس لو لم تغرب في الوقت الذي حدده لها القدرليأتي الليل بعدها،لأحرقت أشعتها كل شيء وتسببت في الفناء،وهكذا الأمر بالنسبة للمتعاكسات الأخرى،والتي هي في تغير مستمر، وهذا التغير والتحول هو الذي يعطي للأشياء ديمومتها بأشكال مختلفة، فليس هناك ثبات في حركة الكائنات والأشياء،إنما الثبات

[1] - Edgar Morin, Mes Philosophes,opcit,pp22-23.

* –فكرة الهوية المركبة التي تجمع بين المتناقضات المتحولة والمجتمعة في آن واحد، هي واحدة من مقولات التعقيد او الإبيستمولوجية التعقيدية عند إدغار موران،فكل مايصدق على مختلف الظواهر العلمية والإنسانية في هذا السياق، ينسحب على مسألة الهوية كذلك: كفكرة التركيب،الوصل بين المتناقضات،التعدد، اللاثبات،اللايقين،الفوضى..الخ.

[2]- Edgar Morin,Mes Philosophes,,opcit,p23.

[3] –عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ،ط1 ،2010 ،ص 212.

الوحيد هو في الصيرورة الدائمة في الكون،وهذه الصيرورة هي التي تجعل هذه الأشياء والكائنات، مستمرة إلى الأبد بإفناء بعضها لبعض في الوقت نفسه، ومن هذا الإفناء تظهر حياة جديدة وهكذا.[1]

هذا وتخضع الصيرورة عند هيراقليطس ،لقانون خفي يتصف بالثبات ،ويكشف عن الترتيب والانتظام المحكم الذي يظهر في كل عملية تغير ،وهو إطار عام وثابت،تتغير من خلاله الأشياء بصفة لا نهائية ،وهذا القانون الثابت هو مايعرف عنده ب"**اللوغوس**".*

لقد تأثر إدغارموران كثيرا بمقولة هيراقليطس الشهيرة"**الحياة من الموت والموت من الحياة**" « **Vivre de Mort, Mourir de vie** »، حيث يقول موران معلقا على هذه الصيغة بأن الأمر قد يبدو مبتذلا وهراء،إلا أنه في واقع الحال،يعبر عن حقيقة لاغبار عليها،فالبشر يعيشون من موت الحيوانات أو النباتات التي يأكلونها،وهذا موجود أيضا في الدورة الغذائية الطبيعية بين الحيوانات والنباتات والإنسان،إذ أن كل حياة تتغذى على حياة أخرى،فآكلات اللحوم الكبيرة تتغذى على آكلات اللحوم الصغيرة،وبمجرد موتها تتغذى عليها الديدان والحشرات وتغذي بدورها،النباتات بأملاحها المعدنية،وهكذا يكون العيش بالموت ،والموت بالحياة.[2]

كما أن الكائنات الحية تعيش بموت خلاياها لتحل محلها، خلايا أخرى جديدة ، إذ أن هناك تجدد دائم في أجسام هذه الكائنات ومن بينها جسم الإنسان.

أما على المستوى الاجتماعي، فنجد أن المجتمعات فيما بينها، تبقى على قيد الحياة،لأن البقية الهرمة،تموت ليخلفها صغار السن،ويعمروا أماكنهم، وهكذا تستمر

[1] – عبد الله إبراهيم،المركزية الغربية ، مرجع نفسه ، ص213.

*–اللوغوس أو القانون الكلي للكون، ومن معانيه أيضا المبدأ العام ،أو العقل السائد في الكون ،عبد الله إبراهيم،المركزية الغربية ،مرجع سابق ،ص214.

[2]-Edgar Morin, Mes Philosophes, op.cit. p25.

الحياة،فالحياة والموت عدوان أساسيان ،ولكن الحياة تحارب الموت باستخدام الموت نفسه،فهما إذن متكاملان رغم عداوتهما.[1]

وهكذا يظهر جليا،أن إدغار موران تأثر كثيرا بهراقليطس وباسكال ونيلزبور وغيرهم والذين ألهموه مثلما ذكر، في تشكيل قناعته عن حقيقة الهوية الإنسانية التي يؤمن بها في فلسفته التعقيدية،وهو مايفيدنا أيضا في محاولة ضبط مفهوم متكامل لهذا المصطلح المركزي في موضوع بحثنا.

المطلب الرابع : نحو الإحاطة بمفهوم للهوية الإنسانية عند إدغار موران :

غالبا ما يرتبط مصطلح الهوية عند إدغار موران بكلمة إنسانية أو بشرية، ومن بين المعاني التي أعطيت لكلمة إنسانية في هذا الصدد، قول الفيلسوف المسلم ابن سينا(980-1037م)، أنها المعنى الكلي المجرد الذي يدل على ما تتقوم به ماهية الإنسان، فيكتمل معناها في النفس، كما تشير أيضا إلى ما اتصف به الإنسان من صفات تميزه عن غيره،وهي التي يتجه استخدامها عادة خصوصا في اللغة العربية، إلى الإشادة بالخصال المحمودة عند الإنسان كالرحمة والجود والتسامح وغيرها.[2]

وتدل الإنسانية أيضا على مجموع الخصائص المشتركة بين أفراد الجنس البشري كالحياة والنطق والغرائز وغيرها، والتي تحدد فصله النوعي وتميزه عن باقي الأنواع، وفي هذا الصدد يرى الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي،أوغست كونتAuguste Comte (1798-1857)،أن المثال الأساسي للتطور الإنساني فرديا كان أو جماعيا، يقوم في الأساس على

[1]- Edgar Morin, Mes Philosophes, op.cit. , p26.

[2]-جميل صليبا ،المعجم الفلسفي، ج 1 ، دار الكتاب االلبناني، بيروت، د ط،1982 ،ص158.

تغلب إنسانيتنا على حيوانيتنا، حتى أنه اعتبر أن الإنسانية في رقيها وتطورها،هي بمثابة الموجود الأعظم.[1]

في الأخير يمكن القول أن الهوية التي يقصدها إدغار موران في فلسفته، هي الهوية الإنسانية (البشرية)، التي تخص الإنسان كفصل نوعي، و هي الهوية الشخصية التي تخص الكائن الإنساني بجنسيه الذكر والأنثى*، تتصف بالإنسانية كقيمة أخلاقية عالمية متفتحة،(مستبعدة بذلك كل الصفات الأخرى التي تحول دون ذلك، أو الصفات الأخرى التي تصنف مجال الهوية، كالهوية المهنية و الهوية الرقمية،الهوية الإدارية والقانونية وغيرها) وهي هوية مركبة واحدة رغم تعددها،متغيرة متحولة، ومندمجة مع الهويات المختلفة،متحررة من قيود الخصوصية بأنواعها، الثقافية والعائلية والوطنية والإثنية والدينية، متطلعة لمقام الكوكبية في رحاب الأرض–الوطن.

وهي الهوية الإنسانية التي تجمع بين جملة صفات مركبة ومتناقضة،(عقلية نفسية،جمالية ،تخيلية...)، تعبر عن حقيقة تعقد الظاهرة البشرية في حد ذاتها، فهي واحدة رغم تعددها العائلي أو الاجتماعي،أو الثقافي أو الإثني أو القومي، وهي واحدة في الأصل البيولوجي (النوع الإنساني) والفهم الأنتروبولوجي للإنسان ككل(وحدة الجنس البشري) ،وهي واحدة في مصيرها المشترك الذي تتقاسمه مع جميع الهويات في المجتمع الكوكبي، أو الأرض–العالم،وإذا كانت هذه الهوية تولد وتنبثق ضمن شروط تاريخية و أنتروبولوجيةمعينة،

[1] –جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 159.

*– يظهر فيما أمكننا الإطلاع عليه من مصادر أو مراجع حول فكر إدغار موران، وموضوع إشكاليتنا بالتحديد،أن هذا الأخير لم يتطرق إلى مشكلة ثقافية وأخلاقية، يمكن اعتبارها من امتدادات الحداثة الثقافية الغربية، واشتد ريحها في العصر المعاصر،من حركة الجندر إلى حركة الجنس الثالث أو المثلية، التي تحولت إلى مسألة حقوقية وسياسية،برعاية رسمية من طرف كثير من الدول في العالم،وهي بلا شك مشكلة مهددة لموضوع الهوية الإنسانية انطولوجيا وأخلاقيا وحضاريا،حيث تطرح أزمة الهوية الشخصية،والخصوصية البيولوجية وغيرها،ولسنا نعرف إذا كان موران،قد تجنب عمدا الخوض في هذه المشكلة، أم أنها سقطت من أجندته الفكرية سهوا،مع العلم أن هذا الفيلسوف المتعدد، عرف عنه متابعته لقضايا الراهن، ولمشكلات اليومي التي يشير إليها عادة في منجزاته الفكرية الجديدة.

فهي تنمو وتنضج في الفضاءالإبستيمولوجي التعقيدي،كما أنها ترتقي وتنتعش في الأفق الإتيقي الحضاري الذي يضمن لها مناخا ملائما ،حتى تكون كوكبية منفتحة على الإنسانية.

المبحث الثاني: الأعراض الباثولوجية للحداثة الغربية

ويقصد بالأعراض الباثولوجية، مختلف المشكلات المعرفية والأخلاقية التي خلفتها الحداثة الغربية وريثة عصر الأنوار،ويمكن التعبير عنها بمأزق الفكر الغربي الذي أعاق فهم الظواهر العلمية ،مثلما تسبب في إساءة فهم الإنسان ذاته.

المطلب الأول: عيوب الفردانية وفكرة التمركز حول الذات:

1-نزعة الفردانية الغربية ومآلاتها الأخلاقية والحضارية.

الفردانية (Individualisme)،هي نزعة لتمجيد الفرد،والانعتاق من كل واجب تضامني، ودعوة لعدم التفكير إلا بالذات ،وسط الواجبات المتزايدة اتجاه الدولة ،ونظرية تعتقد أن المجتمع ليس غاية بذاته ، ولا وسيلة لغاية فوق الأفراد المكونين له، فليس لهذا المجتمع من هدف سوى سعادة الأفراد ومصلحتهم وكمالهم، كما يذهب أنصار هذه النظرية إلى ضرورة تشجيع الفرد بوصفه طاقة "وفعالية مفرطة تطرح نفسها أمام الآخر باستقلال فخور ،وبذهنية صراع وكفاح ترفض دائما التنازل وتدعي دائما الغلبة".[1]

لئن كانت الفردانية الغربية هي فضيلة كبرى في تاريخ الحضارة الغربية،مثلما يصفها موران، إلا أنها سرعان ماتحولت إلى فردانية مفرطة في الأنانية،طامسة لكل نية في التضامن مع الآخر،وقد كشفت عن حالات تخلف أخلاقية ونفسية مرتبطة بالتضخم في الذات الفردية نتيجة للتطور الاقتصادي التقني الواهم.[2]

---

[1]- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص659.

[2]-إدغار موران،جان بودريارد،عنف العالم، ترجمة: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،ط01 ،2005، ص83.

2-المركزية الغربية وجدلية المركز والهامش:

ترتبط ولادة العصر الحديث، بالحضور الغربي في ميادين المعرفةعموما ،ومختلف الإنجازات العسكرية والاكتشافات الجغرافية ،وبناء المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية..الخ،ومن دون شك أن مصطلح "حديث"،قد اقترن بالمحتوى الإيديولوجي الذي ساهمت الحضارة الغربية في انتشاره والدعاية له،باعتبار تميز رؤيتها للإنسان والعالم ككل،وهذا ما أفضى إلى نوع من التمركز حول الذات،كمرجعية لإضفاء أحكام القيمة،ومنطق الحقيقة على كل شيء، وتهميش الآخر في ذلك،بوصفه خال من أية قيمة إلا في إطار ما تقره المركزية الغربية.[1]

حول فكرة التطور، يرى إدغارموران بأننا نستخدم بطيب خاطر عبارة: "**التطور الإنساني**"، فكلمة: "**إنساني**"، تحيل إلى نموذج إنساني غربي،نعرف جيدا بأنه أسطورة منمذجة من المركزة الاجتماعية الغربية العالمية الهائجة(**sociocentrisme**)،التي تعني أن الغرب هو الذي يرعى المصالح العالمية البشرية، والتطور بطابعه التقني والاقتصادي أساسا يجهل ما هوغير محسوب، وماهوغير قابل للقياس كالحياة ونوعيتها،والجمال،والفرح والبؤس والعلاقات مع الوسط الطبيعي، وبعبارة أخرى، فهو لا يولي اعتبارا للثروات الإنسانية غيرالمحسوسة، مثل: الكرم، الأعمال المجانية، الكرامة، الضمير...الخ، وهي كنوز مهملة نتيجة التصور الأعمى الذي يحمله النموذج الغربي حول حقيقة التقدم أو التخلف.[2]

ويضيف موران قائلا أن المجتمعات الغربية التي أنتجتها الحداثة الغربية، لطالما اعتبرت نفسها مجتمعات متحضرة وراقية،في مقابل المجتمعات الأخرى الهمجية،مما تسبب

[1] – عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، مرجع سابق، ص12.

[2]– إدغار موران، جان بودريارد، عنف العالم ، مصدر سابق، ص82.

عندهم في هيمنة همجية بربرية،طغت عليها حسابات الربح والتدخلات التقنية،مضافة إلى الهمجية الداخلية الناتجة عن عدم فهم الغير واحتقاره.[1]

ورغم الرخاء المادي والرفاهية التي لحقت مجتمعاتنا المعاصرة ،يرى موران أننا لازلنا نفتقر إلى السعادة ،ومازلنا همجيين ندفع ثمنا باهضا على المستوى الإنساني ،ذلك أن العمى عن الذات وعدم فهم الغير أو احتقاره،ينعكس سلبا على رداءة العلاقات بين المجتمعات والشعوب،وحتى على مستوى العلاقات الضيقة كالأسرة والمنظمات وغيرها ،والتي تسممت نتيجة الكراهية المتبادلة والازدراء.[2]

وفي مقابل الرؤية المركزة حول حضارة بعينها،وهي الحضارة الغربية بنماذجها الثقافية المتعددة التي تجعل ماعداها هامشا،يدعو الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي،إلى ضرورة تحويل رؤيتنا للعالم بعيدا عن تركزها حول "**أنانا الصغيرة**"والمغلقة ،والتحول نحو الحضارات اللاغربية التي تجعلنا نكتشف الآخر وكل الآخر على حقيقته،دون الخضوع للأفكار الدفينة التي تخفي نزعات السيطرة والتنافس العنيف.[3]

لقد بدأ النفور من كل النزعات الشمولية، والقلق من حالة التشيؤ وهيمنة التقنية،ودخل المجتمع الغربي الرأسمالي مرحلة الزوال،فمع إعلان العقل إفلاسه ومأزقه (العقل الأداتي) فقد

---

[1]– جون فرانسوا دورتيي ،حوار مع إدغار موران حول تغيير الحياة ، للمجلة الشهرية الفرنسية sciences Humaines عدد خاص رقم 13 ، ماي 2011 ،ترجمة منتصر الحملي بتاريخ 2011/06/4، منشور على الموقع الإلكتروني معابر على الرابط:

.http://maaber.50megs.com/issue_november11/perenial_ethics2.htm

تاريخ وساعة التصفح: 2024/03/20 ، 18:05سا.

[2]– المرجع نفسه.

[3]–روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات ، دار عويدات للنشر والتوزيع، بيروت ، ط04 ،1999،ص162.

بلغت الحداثة الغربية مرحلة الخيبة والإخفاق،وكشف الستار عندئد، عن مرحلة حاسمة في تاريخ الحداثة الغربية ،ألا وهي مرحلة التفكير في مصيرها ومابعدها.[1]

وفي هذا الصدد يذهب الفيلسوف الفرنسي رجاء غارودي، إلى أن أبرز ماتعلمنا الحضارات اللاغربية، هو أن الفرد ليس مركز كل شيء،وعلينا عندئذ أن نتعلم وندرك المعنى الحقيقي لعلاقة المشاركة الإنسانية التي تحمل على عاتقها أعباء المجتمع المسؤول الذي يتوق لمايعرف بالديمقراطية التشاركية التي تنفتح على إسهامات الجميع وعلى كافة المستويات.[2]

لذلك فالمهمة الأشد استعجالا وإلحاحا في سياسة الإنسان، بالنسبة لإدغار موران هي تحقيق التضامن على كوكب الأرض، والعمل على تجسيد مبادئ العدالة في العالم ،وإنصاف الشعوب غير الغربية الذين حرموا من حقوقهم المشروعة التي يعترف لهم بها الغرب نفسه،وهذا ما يعرف بسياسة الإنسان كمطلب أخلاقي ومهمة حضارية،عليها أن تطور أحسن ما في الحضارة الغربية،وتزيح عنها أسوأ ما فيها،وعليها أيضا أن تحدث التقارب بين الحضارات وتؤمن بضرورة التكامل بينها، وهذا ما يجعلها تأخذ بعين الاعتبار كل المساهمات الثقافية والحضارية المتميزة التي تأتي من خارج البيئة الغربية ،سواء من الشرق أو الجنوب.[3]

يضيف موران حول هذه النقطة قائلا:" **فلكي يقتدر المجتمع العالمي على حل مشكلاته الأساسية ومواجهة المخاطر العظمى التي تتهدده،يفترض به أن تتوفر له سياسة للإنسان وسياسة للحضارة، لكنه يحتاج في تحقيق هذا المرام إلى حكامة،والحكامة**

[1]–مديحة دبابي ،مابعد الحداثة ،ضمن كتاب جماعي:خطابات الما "بعد"–في استنفاذ أو تعديل المشروعات الفلسفية إشراف علي عبود المحمداوي ،منشورات دار الأمان ،الرباط،ط01 ،2013 ،ص129.

[2]– روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات،مرجع سابق،ص162.

[3]–إدغار موران،هل نسير إلى الهاوية ،مصدر سابق ،ص ص 78–79.

الديمقراطية العالمية قد باتت اليوم بعيدة المنال،غير أن المجتمعات الديمقراطية يجري الإعداد لها بوسائل لاديمقراطية،أي بإصلاحات مفروضة".[1]

لقد تبنت الحضارة الغربية في نشوة انتصارها وتقدمها التقني، منطق الصراع باعتباره المنطق الذي ينبغي أن ينظم التفاعل بين الحضارات،وبالموازاة مع التكتل الأوروبي الأسيوي الذي يشكل تحديا بارزا لإرادة الهيمنة الغربية، هناك أيضا الحضارة العربية الإسلامية التي قدمت آلية ملائمة لضبط التفاعل الإيجابي بين الحضارات ،ألا وهي آلية التدافع،التي تؤكد على وحدة الجنس البشري ووحدة الأصل المنبثق عن المشيئة الإلهية.[2]وفي هذا الصدد ترد الآية القرآنية:"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا،إن أكرمكم عند الله أتقاكم".[3]

وهكذا يكون التعارف هو سبيل التدافع الإيجابي الذي من شأنه أن يقلل من فرص الصراع والاختلاف بين الحضارات.

المطلب الثاني: مأزق العقلانية الغربية:

يوصف رينيه ديكارت René Descartes(1596-1650) بأنه الأب الروحي للفلسفة الأوروبية الحديثة،والمؤسس الشرعي للعقلانية والذاتية الغربية،في الفترة الزمنية التي اختلطت فيها نهضة الوعي الغربي بمخلفات الفكر اللاهوتي الذي هيمن على المعرفة والعقل الأوروبي لمدة قرون من الزمن.[4]

---

[1]-إدغار موران،هل نسير إلى الهاوية ،مصدر سابق، ص80.

[2]- علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع، دار شركة الحريري للطباعة ،القاهرة ،ط1، 2006 ،ص102.

[3]- سورة الحجرات، الآية 13.

[4] - عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، مرجع سابق ،ص85.

يعتقد ديكارت بأنه من الإلزامية بمكانأن نبرهن على كل شيء بالعقل،لذلك راح يكرس جهدا معتبرا للخوض في الموضوعات اللاهوتية، بغية إثبات وجود الله عن طريق العقلومن ثم إثبات العالم الخارجي، وتتلخص فرضيته تلك في إثبات الذات المفكرة،ثم إثبات الله ،وأخيرا إثبات العالم ،لذلك أولى ديكارت اهتماما كبيرا لمبحث الميتافيزيقا التي وضعها على رأس المباحث الفلسفية والتي تحتوي على مبادئ المعرفة في رأيه ،وفي مقابل تأتي بقية الموضوعات الأخرى كالفيزيقا وغيرها، وقد وقع ديكارت بفلسفته هده في كثير من الالتباسات والفرضيات اللاهوتية عند ارتكازه على فكرةوجود الله، ثم إثبات العالم الخارجي بعد ذلك.[1]

تولي الميتافيزيقا الديكارتية أهمية مركزية بالذات العارفة أكثر مما تهتم بالموضوع الذي هو محل المعرفة،لذلك اعتبرت الذات الإنسانية عند ديكارت هي جوهر مفكر وركيزة لمعرفة الموجودات الخارجية(جوهر مادي) ،عملا بمقولة الكوجيتو"أنا أفكر إذا أنا موجود"،ومن هنا كانت البداية لمنهج الفصل في نظرية المعرفة (فصل الذات عن الموضوع)، كما يمكن اعتبارها بداية لإثبات الذاتية الغربية.[2]

ينتقد إدغار موران ما أسماه بالبربرية الأوروبية التي استفحلت في وجود وهم العقلانية التي تغنت بها الحداثة الغربية،بينما يرى فيلسوف التعقيد أن العقل الغربي لم يؤسس للعقلانية، ولكن أسس للعقلنة فقط ،بمعنى عقلنة ماهو غير معقول وماهو غير منطقي وغير أخلاقي، وبهذا أصبحت العقلنة خادمة للهوى ومنتجة للهذيان، في صورة ما يعرف بالعقلانية المغلقة التي تحول معها الإنسان الصانع إلى منتج لأساطير مجنونة تمنح الحياة لآلهة وأوثان متوحشة، تقترف أفعالا بربرية مقيتة، وعلى هذا النمط أنجبت البشرية معبودات

[1] -عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية،مرجع سابق ، ص 88.

[2] -المرجع نفسه، ص ص 90-91.

وأصنام تكنولوجية تسببت في خراب كبير للبشرية وحروب إبادة مسعورة، ويصف موران ذلك بقوله: "**فنحن نشكل آلهة تشكلنا بدورها**".[1]

المطلب الثالث: الإنسان الحداثي في مهب التقنية:

ما من شك أن أهم ما حرصت عليه الحداثة الغربية عند انبعاثها،هو تحرير العقل من سلطة الكنيسة التي كانت تهيمن على كل مجالات المعرفة، لذلك اشتهرت هذه الوتبة التاريخية التي ثار فيها العقل الحداثي على السلطة الكهنوتية، بمرحلة التنوير أو عصر الأنوار.

إلا أن هذه الحداثة سرعان ماوقعت في مأزق التقديس، فانتقلت من تقديسها للعقل إلى تقديس الشيء الذي صنعه وأنتجه هذا العقل ،فصارت مكبلة بين يدي وثن جديد يعرف بوثن التقنية (الآلة)،لذلك كانت الحضارة الغربية في الزمن الحداثي محل تساؤلات عديدة حول مآلاتها الأخلاقية خصوصا. [2]

لقد عملت مدرسة فرانكفورت النقدية منذ تأسيسها في بداية عشرينيات القرن العشرين،على توجيه نقد جذري للحضارة الغربية ولمبادئها وغاياتها،التي انبثقت عن مشروع التنوير الذي تبنته وعملت على تطويره أزمنة الحداثة الغربية، وعملت هذه المدرسة على تشخيص مختلف الأعراض الباثولوجية(المرضية)، التي عرفتها المجتمعات المعاصرة فيما بعد، كامتداد لنتائج الحداثة والتحديث في العالم الغربي، مثل ظاهرة الاغتراب

[1]–إدغار موران، ثقافة أوروبا وبربريتها ، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب،ط2007،1،ص06.

[2]– محمود حيدر، وثن التقنية وعبادة الشيء، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاسترتيجية، بيروت، العدد 15، ربيع 2019، ص07.

والتشيؤ،وإفلاس المعنى،وطغيان الفردانية،وهيمنة التقنية، واختلال المفاهيم المركزية للحداثة مثل الحرية والعقلانية والتقدم وغيرها.[1]

يذكر هاربارت ماركوز في كتابه الشهير"الإنسان ذو البعد الواحد"،أن العقلانية التكنولوجية التي ميزت الفكر الحداثي قد أنتجت منطقا جديدا لسيطرة الإنسان على الإنسان،ومفهوما جديدا للتبعية، يختلف عن التبعية الكلاسيكية (تبعية العبد للسيد،وتبعية الخدم للملوك..)،وهي السيطرة التي تخضع الإنسان لنظام الأشياء الموضوعي، والتي تفرزها القوانين الاقتصادية وقوانين السوق وجهاز الإنتاج،ويكون ذلك برعاية عقلانيةتقنية تستغل الموارد الطبيعية والفكرية وتخضع الإنسان لمنطق الربح والمنفعة.[2]

في هذا الصدد يرى إدغار موران، أن التقنية الحداثية قد أثرت سلبا على العلاقات بين البشر بعضهم مع بعض،وعلى العلاقات بين الإنسان والعالم،وذلك حينما عملت على عقلنة كل الموضوعات ،وتجردت من التشخيص،وغرقت في الاختزال والصناعة الكمية والتشيؤ.[3]

هل التقنية شر مطلق؟ وهل هناك مخرجا من التبعات السلبية للتقنية؟

لا يمكن الجزم بأن التقنية شر مطلق، لأن جوهر المشكلة هو إساءة استخدامها من طرف الإنسان الحداثي ووقوعه تحت سيطرتها بإرادته المتوحشة التي جعلته ينظر إلى العالم نظرة مادية بحتة، فاستمرت بذلك علاقته المتأزمة مع التكنولوجيا نتيجة لذلك.

وبخصوص هذا الوضع الذي آلت إليه الحداثة التقنية في المجتمع الغربي، يدعو إدغار موران، إلى إحداث ثورة عميقة لمجابهة هذا التطور الذي تهيمن عليه السلطة التقنية، إذ ينبغي لهذه الثورة أن تكون متحررة من قيود العصر الكوكبي الحديدي(Age de fer

[1] –كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث ، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف ،الرباط ، ط01 ،2010 ، ص 09.

[2] –هاربارت ماركوز،الإنسان ذو البعد الواحد، تر:جورج طرابيشي،منشورات دار الآداب، بيروت،ط1983،03ص181.

[3] –إدغار موران،روح الزمان،ج1– العصاب، تر: أنطوني حمصي، منشورات دارالثقافة، دمشق ط03، 1995،ص195.

Planétaire) الذي يوصل البشرية إلى مرحلة الفناء، وعلى نسق فلسفته التعقيدية، نجده يقول:" **إن التغيير هو الذي يجب أن يتغير،إن التقدم التقني يسمح في الآن الواحد بظهور الإنسانية الكوكبية، ويسمح باحتمال فناءها النهائي**".[1]

ينبغي –كما يرى منتقدو الحداثة التقنية والتوجه المادي في الحياة– إعادة النظر في الحقيقة الوجودية للإنسان وتأصيلها،وذلك بالاهتمام بالبعد الروحي للإنسان وبالكمال الميتافيزيقي له (الإنسان ذو البعدين)،وبهذا يمكنه الاستفادة من الوسائل التقنية دون أن يكون ضحية لقيودها، من خلال الاستغلال الصحيح والحذر لها، وهكذا يكون ارتباط الإنسان مع التكنولوجيا وعلاقته معها بسيطة ومريحة وخالية من المخاوف.[2]

فعندما يصل الإنسان العارف إلى مقام الاستغناء عن الأدوات والآلات، فإنه يقوم بتقوية الجانب الروحي المتجرد من وجوده، باعتبار أن غلبة وطغيان الجانب المادي في حياة الناس تزيد من شدة حاجتهم إلى الوسائل والأدوات، وعلى العكس من ذلك،فكلما قويت الحياة المعنوية في وجودهم أصبحوا أكثر تحرر واستغناء عن التقنيات والآلات .

إن هذه الأخيرة لا تمثل الرأسمال الأبدي بالنسبة للإنسان العارف*، ذلك أن الرأسمال الحقيقي يكمن في التحرر من هيمنة التقنية على روحه وتفكيره، والارتقاء نحو الغايات المثلى لسبب وجوده في الحياة والاستعداد لما بعدها.[3]

---

[1]–إدغار موران،إلى أين يسير العالم؟ ،تر:أحمد العلمي،الدار العربية للعلوم ناشرون،لبنان،ط1 ،2009،ص38.

[2]– محسن شيراوند،السيد أمين عظيمي،أخلاق الإبداع التقني،بحث في طبيعة العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا،تر:حسن علي الهاشمي،مجلة الاستغراب،مرجع سابق ،ص79.

*–الاستشهاد بهذه الرؤية العرفانية،غرضها هو تقديم مقاربة نقدية إضافية لمأزق العقل التقني من زاوية دينية روحية وليس الغرض منها بالأساس تدعيم موقف موران في الموضوع والذي يختلف مع هذه الرؤية من حيث المبدأ.

[3]– أصغر طاهر زاده، ، نقد روح التقنية، تر: حسن علي الهاشمي، مجلة الاستغراب ،مرجع سابق ،ص16.

وهكذا يظهر بوضوح أن الحداثة الغربية بنزوعها نحو التقدم التقني،قد أحدثث أزمة في الفكر الكلاسيكي ليس فقط على الصعيد المعرفي فقط ، بل على الصعيد الإنساني أيضا.

المبحث الثالث: أزمة التبسيط وعيوب الاختزال في الفكر الكلاسيكي .

يتعلق الأمر بأزمة المعرفة العلمية والإنسانية التي عرفتها الفلسفة الغربية الحديثة خاصة ما يتعلق بفكرة التبسيط والاختزال و الفصل بين العلوم ومختلف مجالات المعرفة، وهي الأزمة الإبستيمولوجية التي دعا موران لحلحلتها،ولا شك أن هذه الأزمة هي من تجليات وتبعات الأزمة الحداثية التي ميزها القصور والعقل الأعمى.

المطلب الأول: طبيعة منظومة التبسيط

إن ماقامت به منظومة التبسيط في الفكر الكلاسيكي هو سعيها لفهم ظواهر الكون عن طريق اختزالها في كيانات وجواهر مغلقة وثابتة لاتعرف التحول والاختلال والتناقض،وهي بذلك–كما يرى إدغار موران– قد بصمت على مرحلة تاريخية من اللاوعي الغربي،الذي ظهر في مختلف الخطابات والنظريات والمناهج الكلاسيكية.[1]

ارتكز الفكر الكلاسيكي في تعامله مع ظاهرات الكون على ثلاثة مباديء أساسية هي: مبدأ النظام، مبدأ القابلية للانفصال، مبدأ العقل.

يرجع مفهوم **النظام** إلى التصور الحتمي والميكانيكي للعالم، والذي كرسته الرؤية الكلاسيكية التي حجبت عنا شكلا آخر للمعرفة هو اللانظام الذي يخفي وراءه نظام آخر يتطلب الاكتشاف.

[1]– إدغار موران،الفكر والمستقبل–مدخل إلى الفكر المركب،ترجمة أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء–المغرب،ط01، 2004،ص07.

وقد كانت بداية التشكيك في فكرة النظام الكلي مع الديناميكا الحرارية التي اعترفت بوجود اضطراب جسيمي غير منظم في الحرارة، ثم ظهرت الفيزياء الجزيئية ،وفيزياء الفوضى التي توقفت عندها فكرة التنافي المطلق بين النظام واللانظام.[1]

بالنسبة لمبدأ القابلية للانفصال، فهو يقتضي تفكيك الظاهرة المدروسة إلى عناصر بسيطة ،من أجل فهمها وتفسيرها،ويعرف أيضا في الحقل العلمي بفكرة **التخصص الدقيق** في طلب المعرفة العلمية، بالتركيز على الوقائع والموضوعات الملاحظة، بغض النظر عن الذات الملاحظة،إلا أن هذه الفكرة أثبتت قصورها مع تطور علوم نسقية في العقود الأخيرة، تهتم بربط موضوعات الدراسة والتركيز على التفاعلات الموجودة بين هذه العناصر دون فصلها، ومثال ذلك موضوع البيئة الذي يتطلب لدراسته،معرفة المنظومة البيئية المعقدة والمتناسقة فيمابينها،والوقوف على طبيعة العلاقات المترابطة الموجودة في المجال الحيوي،في عالم النبات والحيوان والجيولوجيا والجغرافيا والبيولوجيا المجهرية وغيرها، وهكذا تكون الدراسة في علوم الأرض أو البيئة ضمن نسق معقد ينتظم ذاتيا ويجمع بين كل التخصصات التي فصلت من قبل في الفكر الكلاسيكي.[2]

أما المرتكز الثالث الذي طبع العلم الكلاسيكي هو **مبدأ العقل** القائم على فكرة الاستقراء الاستنباطي الذي يسمح باستنتاج قوانين عامة من حالات جزئية، هذه الفكرة التي انتقدها الفيلسوف النمساوي كارل بوبر **karlPopper (1902-1994)**،حيث قال باستحالة استنتاج قانون عام على شاكلة "**كل البجع أبيض**"،لمجرد أننا لم نجد بجعا باللون الأسود !وفي هذه

[1]- إدغار موران، نحو براديغم جديد ،ترجمة:يوسف تيبس،مجلة رؤى تربوية،مركز القطان للبحث والتطوير التربوي،رام الله فلسطين، العدد 29 ، 2009 ، ص119.

[2]- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

الحالة يمكن أن يكون للاستقراء قيمة تفسيرية، ولكنه لايمكن أن يقدم لنا برهانا علميا قطعيا فيما نستدل عليه.[1]

إضافة إلى مبدأ **الهوية** الذي يقتضي عدم التناقض، والذي تهاوى بدوره في ظل التطورات العلمية الجديدة التي عرفت تناقضات عديدة يستحيل تجاوزها، مثلما هو الحال في مجال الفيزياء الذرية والفيزياء الكونية،وأخرى خاصة بأصل المادة والكون والزمان والمكان.[2]

لاشك أن إلتزام مقولات النظام والهوية والثبات واليقين في التعامل مع ظواهر الكون،هو إغفال بل إقصاء لأسئلة التحول والتعقد واللانظام والصدفة واللايقين الذي يميز هذه الظواهر ،وهذا مايعقد من مهمة فهم العالم في ظل الإبستيمولوجية الكلاسيكية، ويكشف عن ضرورة ملحة لقلب أسس التفكير في الكون وإصلاح المنظومة المعرفية،وتجاوز أنطولوجيا وإبيستمولوجيا التبسيط والتوجه نحو فضاء فلسفي وإبستيمولوجي ومنهجي جديد هو فضاء الفكر المركب.[3]

المطلب الثاني: مشكلة الإختزال في مواجهة تعقد الظاهرة البشرية

يعتبر الفكر الكلاسيكي الغربي، بأن منظومة التبسيط والاختزال والتجزيء،هي من الدعائم المنهجية في التعامل مع ظواهر الكون و فهم مشكلاته، لذلك فقد وقع في مأزق معرفي ومنهجي حينما عمد إلى محاولة تبسيط الظواهر وتفسيرها وفق منطق السببية المباشرة والحتمية المطلقة.

ما من شك أن الطبيعة المعقدة للمعرفة العلمية المعاصرة تقودنا إلى القول أن زمن البساطة قد ولى إلى الأبد ،ولابد من الاعتراف بالتعقيد ومواجهته بآليات التعقيد ذاته ،ورفض

[1]– إدغار موران، نحو براديغم جديد ، مصدر سابق ، ص120.

[2]– المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3]– إدغار موران،الفكر والمستقبل–مدخل إلى الفكر المركب،مصدر سابق ،الصفحة 07.

النظريات العلمية الشاملة التي سادت القرن التاسع عشر، والتي كانت تدعي الإلمام بالحقيقة العلمية،والإيمان القاطع بقدرة العلم على حل جميع المشكلات العلمية في كنف اليقين والثبات.

إن التوجه الجديد للفكر المعاصر،هو فهم التعقد الذي يسود العالم،وتخليص العلم من ثقته المفرطة التي جعلته يغفل أو يتغافل عن فكرة اللايقين الموجودة في العالم، ومقاومة الفصل بين التخصصات العلمية التي من شأنها أن تعزز سوء الفهم،بل يجب التفكير في ماهية سوء الفهم ذاته.[1]

نفهم من هذا الرأي لموران، أن أسلوب المعرفة السائد في ظل الإبستيمولوجية الاختزالية يمنعنا من إدراك التعقيد البشري، ويحول دون تقديم ثمار الإنجازات القيمة للعلوم بفعل ما يقع اليوم من سوء استخدام المعرفة أو العلم السيء كما وصفه فيلسوفنا، فكلما زادت معرفتنا باتباع هذه الطريقة المخلة،قل فهمنا للكائن البشري، ليبق الإنسان ذلك المجهول في هذا المأزق المعرفي، لذلك ينبغي أن تعالج الظاهرة الإنسانية المعقدة، على غرار الظواهر العلمية ضمن إبستيمولولجية بديلة،تعرف عند إدغار موران بالإبستيمولوجية التعقيدية.

[1]-EdgarMorin, Introduction a la pensée complexe, édition du seuil , France ,1990 ,p126.

الفصل الثاني

تأسيس الهوية البشرية في ضوء

الإبستيمولوجية التعقيدية

المبحث الأول: فلسفة التعقيد كضرورة معرفية ومنهجية لتجاوز مشكلة الاختزال وسوء فهم الظاهرة الإنسانية .

المبحث الثاني: تجليات ومعالم التأسيس الهوياتي عند إدغار موران.

المبحث الثالث: إتيقا الهوية-رؤية مورانية.

المبحث الأول: فلسفة التعقيد كضرورة معرفية ومنهجية لتجاوز مشكلة الاختزال وسوء فهم الظاهرة الإنسانية

إذا كان إدغار موران قد انتقد بشدة ما عرف بمنظومة الاختزال والتبسيط في الفكر الكلاسيكي الغربي،فقد اقترح بديلا لذلك، سماه منظومة التعقيد والفكر المركب أو الإبستمولوجية التعقيدية التي شيدت معالم جديدة في طريقة التفكير والفهم ومعرفة الموضوعات المادية والإنسانية على حد السواء.

المطلب الأول:في جدل الاستخدام اللغوي لمصطلحي التعقيد والتركيب:

خلال تدارسنا للنصوص المختلفة للفيلسوف الفرنسي **إدغار موران**، وتحديدا المترجمة منها إلى اللغة العربية،وقفنا على استخدامات مختلفة بخصوص مصطلح **(**Complexe**) أو (**Complexité**)**،كما استعمله موران في المصدر، فقد وجدنا أن الكلمة وردت بلفظ "**المركب**" كما في كتابه "مدخل إلى الفكر المركب"Introduction à la pensée complexe أو بلفظة "**التعقيد**"Complexité، كما في كتابات ومقالات عديدة حوله، ومنه شاعت استخدامات مختلفة في الحقل التداولي العربي بخصوص هذا المصطلح مثل: فلسفة التعقيد (philosophie decomplexité)، الإبستيمولوجية التعقيدية أو التركيبية Épistémologie de (complexité)، منهج التعقيد، براديغم الفكر المركب ...إلخ.

هذا ما أوجد عندنا نوعا من اللبس في محاولتنا لضبط التصور بدقة، وحرك فينا فضول البحث عن حقيقة الجدل اللغوي الملاحظ بخصوص هذا المصطلح "**العمدة**"في فلسفة إدغار موران، وحول ما إذا كانت المسألة تتعلق بخصوصية الترجمات العربية المختلفة،أو بشيء آخر؟.

بالعودة إلى مصطلح complexe، فقد ورد في الموسوعة الفلسفية لأندريه لالاند، أنه يشير إلى ماهو مركب أو مكثف أو معقد .[1]

وهو الذي يشتمل على عدد كبير من العناصر ،وعند المناطقة يقال: أن قضية مركبة، إذا كان الموضوع والمحمول مركبين ،كما نقول قياس مركب عندما يكون أحد حدود النتيجة على الأقل مركبا ،وتكون الأجزاء المكونة لهذا الحد منفصلة في المقدمات.

ومن الاستخدامات الواردة اشتقاقا من المصطلح Complexe نجد:Complétion Complexité، كما تستخدم كلمة Complexe في مقابل كلمة Simple (بسيط)، ولهذا المصطلح أيضا(Complexe) استخدامات في مجال علم النفس وكان أول من استخدمها هو عالم النفس السويسري **كارل يونغ** Carl Jung(1875-1961) للدلالة على جملة الأحاسيس والعواطف المكبوتة في النفس والتي تتسبب في الأحلام والعصابات المرضية.[2]

وقد جاء في القاموس الفرنسي روبار(Le robert)،بخصوص معنى الاسم المؤنث complexité،مقابل مصطلح Simplicité مايلي:

« La complexité d'une situation, unproblème d'une effroyable complexité »[3]

وفي المعجم الفلسفي لجميل صليبا، وجدنا أن مصطلح التركيب **(synthèse)**،يشير إلى ماهو ضد التحليل، والتركيب يعني تأليف الكل من أجزائه، وهو المعنى الذي أشار إليه الفلاسفة القدامى بالجمع بين الأشياء المتعددة وجعلها شيئا واحدا، وقد ورد عن ابن سينا في

[1]-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مصدر سابق، ص189.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-a.rey et J.rey-Debove, dictionnaires Le Robert ,op.cit, p 350.

كتابه النجاة "وأما اللفظ المركب أو المؤلف فهو الذي يدل على معنى، وله أجزاء منها يلتئم مسموعه،ومن معانيها،يلتئم معنى الجملة،مثل قولنا :الإنسان يمشي، أو رامي الحجارة".[1]

والطريقة التركيبية **Méthode Synthétique** تعني انتقال العقل من المعاني والقضايا البسيطة إلى المعاني والقضايا المركبة ،أو هي انتقال العقل من قضايا يقينية إلى قضايا أخرى تلزم عنها اضطرارا.[2]

وضمن مفهوم التركيب نجد فكرة الجمع بين الرأي**(thèse)** وضده**(Antithèse)**،يأخذ من الأحسن بين الرأيين،ويمزج أحدهما بالآخر،مرتكزا في ذلك على وجهة نظر أوموقف أعلى منهما.*

وقد ورد مصطلح الفلسفة التركيبية **Philosophie Synthétique** عند الفيلسوف وعالم الاجتماع الإنجليزي: **هربرت سبنسر Herbert spencer(1820-1903)**،حيث اختار هذه التسمية لمجموعة من مؤلفاته: المباديء الأولى،مباديء علم الحياة،مباديءعلم النفسمباديء علم الاجتماع،مباديء الأخلاق.[3]

وفي محاولة منا لتتبع مختلف النصوص التي أتيح لنا الاطلاع عليها،من أجل إزالة اللبس الذي صادفناه، بخصوص تداخل الاستخدام اللغوي والمعرفي لمصطلحي **التعقيد والتركيب**، وفي ضوء ما طرحه إدغار مروان من أفكار بهذا الصدد،وجدنا شروحات متعددة، من قبيل:

[1]-جميل صليبا،المعجم الفلسفي،ج1، مرجع سابق،ص268.

[2]-المرجع نفسه ،ص269.

*-يؤمن إدغار موران بفكرة التكامل المعرفي وتكامل الأضداد أو المتناقضات رغم اختلافها، على خلاف الجدل الهيغلي الذي يبنى على أساس أن الضد ينفي الضد،وينبغي تجاوزه.

[3]-جميل صليبا،المعجم الفلسفي،ج 1 ، مرجع سابق، ص ص 270-271.

أن إدغار موران لطالما أصر في دروسه ومحاضراته على ضرورة التفرقة بين التعقيد والتركيب، فما هو مركب ليس معقدا بالضرورة،كما أن الشيء المعقد ليس مركبا بالضرورة ذلك أن "**التركيب جوهري في الإنساني ،في حين أن المعقد عرضي في وجهة نظر البشر صوب موضاعاتهم**".[1]

في واقع الأمر أن هذه الملاحظة السابقة لم تزد الأمر بالنسبة لنا إلا لبسا وإبهاما،وهذا يرجع لسببين اثنين:

أولهما:أن الشرح المقدم أعلاه ،للتفرقة بين مصطلحي **التعقيد والتركيب** فيه من الغموض ماصعب علينا فهم المقصود.

وثانيهما: أننا لم نجد في المراجع المعنية التي أشرنا إليها بخصوص هذه الفكرة،إحالة واضحة ودقيقة لنصوص إدغار موران للتحقق من الأمر، ووجدنا فقط عبارة "**دروسه ومحاضراته**"،ويقصد منها دروس موران ومحاضراته من دون تعيين، مما صعب علينا الوقوف على حقيقة الأمر وفهمه بدقة ومن تم إبداء الرأي حوله.

يرى الكاتب التونسي زهير الخويلدي أن الترجمة العربية الأقرب إلى المعنى الفرنسي لكلمة**Complexe**، هي كلمة "**المتعقد**" أو"**التعقد**"، وليست كلمة **معقد** ولا**مركب** ،باعتبار أن كلمة **مركب** خصوصا، تشير إلى معنى نفسي فرويدي* للدلالة على وجود عقد مكبوتة في الجانب العميق للجهاز النفسي ،بينما يقصد موران من المصطلح(من وجهة نظر الخويلدي)

[1]–فيصل الأحمر،حكمة للأزمنة الجديدة –المشروع الأخلاقي لإدغار موران، ضمن كتاب جماعي: ثقافة العيش المشترك إشراف وتقديم محمد شوقي الزين، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،ط01، 2018، ص49.

*–سيجموند فرويد Sigmund Freud (1856–1939)، فيلسوف وطبيب نفساني نمساوي، مؤسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث ،أشتهر بنظريات العقل واللاوعي، وفكرة الجهاز النفسي عند الإنسان،عمل على استخدام طريقة الحوار بين المريض والمحلل النفسي في حلقات العلاج النفسي،واعتماد نظريته حول تفسير الأحلام كمصدر لفهم رغبات اللاوعي. https//ar.m..wikipedia.org. تاريخ وساعة التصفح 2024/03/22 ، 10:20 سا.

ذلك الشيء المتكوثر المتعدد الذي لايمكن إرجاعه إلى قانون،ولا يمكن اختزاله في قاعدة ،وغير قابل للتبسيط بالاعتماد على جملة من العناصر الأولية.[1]

ويظهر أن مصطلح **تعقد**الذي استخدمه الكاتب التونسي زهير الخويلدي، (كما في عبارة الفكر المتعقد)، يتماهى مع مصطلح **تعقيد**،الأكثر تداولا في الحقل المعرفي،والذي استخدمه موران للإشارة إلى منظومة التعقيد التي تسود الوقائع العلمية والإنسانية،والتي تستوجب النظر إليها نظرة متكاملة غير مجزأة ،جامعة لمختلف التخصصات،تعيد تنظيم الكل في علاقته مع الأجزاء.

في إجابة عن سؤال استفهامي: ماهو التعقيد؟ يصرح إدغار موران:أن التعقيد مشتق من الكلمة ذات الأصل اليوناني **(Complexus)** بمعنى**(نسيج)**، والذي يعني المنسوج مع بعضه البعض،أو مانسج ككل من المكونات المتنافرة المجمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينها، فهو يطرح مفارقة الواحد والمتعدد وتجاوز الفصل القطعي بينهما،والتعقيد أيضا هو نسيج من الأحداث والتفاعلات والارتدادات والمصادفات التي تشكل عالمنا الذي يكتنفه الغموض والاختلال واللايقين، وأي محاولة إلى وضع النظام مكان الفوضى المترسخة في الظواهر،وأي محاولة لاستبعاد اللايقين ،وإزالة الغموض، والبحث بواسطة ذلك عن وضوح المعرفة،هو في حقيقة الأمر مضر بالمعرفة نفسها،من شأنه التسبب في العمى المعرفي،والتي هي من أمراض المعرفةLa pathologie du savoir،كما يصفها موران .[2]

[1]–زهير الخويلدي ، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، ضمن موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الفلسفة الغربية المعاصرة–صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج،ج2، إشراف وتحرير:علي عبود المحمداوي، منشورات دار الأمان،الرباط، ط1 ،2013، ص1411.

[2] -Edgar Morin , Introduction à la pensée complexe, op.cit. ,p21.

بالرجوع إلى الترجمة التي قدمها كل من الكاتبين: منير الحجوجي وأحمد القصوار لكتاب (الفكر والمستقبل–مدخل إلى الفكر المركب)* –الذي سبقت الإشارة إليه–لا نجد ميلا واضحا للتفرقة بين مصطلحيالتعقيد والتركيب أو المركب،في سياق شرح وتفكيك أفكار موران بخصوص نظرية التعقيد التي تطبع نسقه الفلسفي (والتي يرافع عنها في كل منجزاته الفكرية)، فالترجمة السابقة تستخدم المصطلحين في شكل متناغم يوحي بالتكامل الوظيفي الذي يخدم الهدف نفسه معرفيا ومنهجيا.

ويظهر هذا جليا في نص للمترجمين خلال تقديم الترجمة: "...**لن يكون الفكر المركب لا الفيزياء ولا البيولوجيا ولا الكيمياء ولاعلم الاجتماع ولا الآداب ولا الإبستيمولوجيا،إن الفكر المركب هو مجموع هذه العلوم والمباحث وقد توحدت في أفق ومشروع واحد هو أفق التعقيد**".[1]

كما يتساءل المترجمان في نص لاحق، عن المبدأ العام الذي يحكم الفكر المركب،على أساس أن فيلسوف التعقيد إدغار موران ،رغم كشفه عن محدودية فكر التبسيط في فهم وتفسير الظواهر وإظهار عجزه عن تتبع وفهم الوجه الجديد للعالم،فإنه لايزعم تقديم فكر التعقيد ،على أنه خلاص نهائي لمشاكل الفكر والمعرفة والحياة ككل،باعتبار أن الفكر التعقيدي،كما يؤكد إدغار موران،هونتاج تطور ثقافي وتاريخي وحضاري ولا يمكن أن يصوغه شخص واحدبشكلكلي.[2]

والمعنى نفسه،نجده مبسطا في كتاب إدغار موران:"**السبيل لأجل مستقبل البشرية**"،حيث وردت شروحات في الهامش مفادها: أن إدغار موران أراد إرساء مشروع

*–وهو الكتاب الذي تضمن شرحا مفصلا عن فكرة التعقيد والفكر المركب، ولم نجد فيما تسنى لنا الإطلاع عليه من مصادر ، منجزا آخر يشرح بإسهاب هذه الفكرة، مثل هذا المصدر.

[1]– إدغار موران، الفكر والمستقبل، مصدر سابق، ص07.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فكري بديل قوامه المنهج المركب عوض المنهج التفكيكي الانفصالي،ونظرة التعقيد بدل نظرة التبسيط ،والرؤية المتعددة الأبعاد بدل الرؤية الاختزالية الأحادية،جاعلا بذلك من فكرة تركيب الظواهر(العلمية والإنسانية)،نموذجا في التفكير،ورؤية جديدة للعالم والإنسان وفق نظرة تركيبية ترابطية استشرافية بخلاف النظرة الاختزالية التبسيطية. [1]

وعليه يمكن القول أن استخدام مصطلح **Complexe** في الترجمة العربية،تارة بلفظ المركب،وتارة أخرى بلفظ التعقيد، لم يكن في رأينا إلا لخدمة هدف معرفي و إبستيمولوجي واحد، هو الإحاطة بالمفهوم وتحليله ونقده، والوقوف على امتداداته اللغوية و أبعاده المعرفية،(مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك)، زيادة على توظيفه المنهجي في مختلف حقول المعرفة، في سياق الرؤية المورانية ذاتها.

فإذا كان التعقيد (كظاهرة أو كمشكلة تكتنف الظاهرة)، هو نسيج من مكونات متنافرة مجمع بشكل يتعذر الفصل بينها، وهو يتعلق بمنظومة معرفية تسود العالم يطبعها الاختلال والمصادفة واللايقين، فإن الفكر المركب هو النموذج المعرفي(البراديغم) الضروري والبديل من أجل معرفة متعددة الأبعاد،يشترط الوصل بين المعارف و يرفض التجزيء والاختزال،ويعترف بعدم الاكتمال المعرفي في سعيه نحو تفكيك وفهم منظومة التعقيد من خلال عمليتي: الفحص– الذاتي والنقد– الذاتي الدائمين.[2]

وهكذا يمكن أن نضع الفكر المركب مقابلا وبديلا لنموذج التجزيء والفصل الذي ساد الفكر الكلاسيكي، ونموذج التعقيد مقابلا وبديلا لفكر التبسيط والاختزال، وإذا كان مبدأ التركيب يتطلب ضرورة التواصل والتكامل المعرفي، فإن مبدأ التعقيد يستوجب فهم الظواهر

[1]–إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، بيروت– لبنان، ط01، 2012 ص204.

[2]–المصدر نفسه، ص205.

العلمية والإنسانية في إطار إبيستيمولوجيا جديدة متجاوزة ،تأخذ في الحسبان فكرة اللايقين والاحتمال والمصادفة،وتكامل فكرتي النظام واللانظام أو الفوضى.

لم يكن الفيلسوف الفرنسي **إدغار موران**، صاحب السبق الأول في استخدام مصطلح التعقيد في العصر المعاصر، فقد سبقه إلى ذلك علماء وفلاسفة آخرين،مثل الفيلسوف الفرنسي **غاستون باشلارGaston Bachelard(1884-1962)**، صاحب كتاب: "**الفكر العلمي الجديد**" الذي أعلن فيه عن ميلاد فكرة، اعتبرها مركزية لدراسة الظاهرات الأولية في الفيزياء المجهرية والهندسة والميكانيك وغيرها، ألا وهي فكرة **التعقيد** التي قال عنها: " **بينما كان العلم المستمد من وحي ديكارتي يصنع المعقد بالبسيط على نحو منطقي جدا،فإن الفكر العلمي المعاصر،يحاول أن يقرأ المعقد الواقعي تحت المظهر البسيط الصادر عن ظاهرات استعيض عنها،إنه يجهد ليعثر على التعدد خلف الهوية،وليتخيل فرصا يكسر فيها الهوية، فيما وراء التجربة المباشرة التي أسرف الباحثون في سرعة إجمالها في مظهر كلي**".[1]

وهكذا يؤكد غاستون باشلار فيما أطلق عليه بالإبستيمولوجيا اللاديكارتية،على ضرورة إحداث انقلاب إبستيمولوجي على فكرة التبسيط والاختزال التي سادت الفكر الكلاسيكي،والتي أبعدت الفكر العلمي عن فهم الظواهر العلمية فهما صحيحا مثلما أشرنا سابقا.

أما مصطلح **الفكر المعقد**،فهومصطلح فلسفي أطلقه العالم البيولوجي الفرنسي **هنري لابوري*Henri Laborit(1914-1995)**،خلال انضمامه لتكتل علمي متكون من علماء

[1]-غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد،ترجمة عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط02 1983 ، ص140.

*-صاحب كتاب: "الله لايلعب النرد"، أخذا عن مقولة إينشتاين الشهيرة:الله لايلعب النرد (Dieu ne joue pas aux dés)في معرض نقده للميكانيكا الكوانتية، قاصدا بها أنه لايمكن لقوانين الطبيعة أنة تكون"لاسببية"، وفي السياق يشرح لابوري نظريته حول الميتابيولوجيا التي يعتبرها سر من الأسرار، والتي تفيد بوجود مستويات التنظيم Niveaux d'organisation تربطها علاقات طاقية، بين الفراغ الكوانتي الذي يتشكل منه مستوى القسيمات، ثم الذرات والجزيئات فالخلايا والكائن

البيولوجيا والاجتماع،وبعض الفلاسفة الليبراليين، سمي بمجموعة العشرة التي تأسست سنة 1966، واستمرت نشاطاتها واجتماعاتها الشهرية المنتظمة إلى غاية سنة 1976 ،وتهدف هذه المجموعة إلى تحديد العلاقة بين العلم والتكنولوجيا والثقافة وغيرها.

وبخصوص **فيلسوفنا موران**،فقد ظهر اهتمامه بفكرة المركب أو التنظيم المركب في كتابه:"**المنظومة المفقودة**" المؤلف سنة 1973، كما كان استخدامه الفعلي لمصطلح **التعقيد**،واشتغاله عليه في مقالة له،نشرت سنة 1974 بعنوان: "**فيما وراء التعقد،يوجد التعقيد**"،والتي أدرجت في كتابه الذي نشر سنة 1982،تحت عنوان:"**علم مع الوعيScience avec Conscience**".[1]

من الخطأ أن نفهم كلمة تعقيدبناء على ما يخطر على الذهن مباشرة عند التعامل مع المصطلح، من صور الغموض والأشكلة والصعوبة وغيرها، بل يجب التعامل معه كمشكلة مرتبطة أساسا بمنظومة الاختلال الموجودة في العالم الخارجي، وبالتناقضات التي لايمكن تجاوزها أو تجاهلها،وباللايقين الذي يجعلنا نعجز عن صياغة قانون خاص أو نظام مطلق لهذا الكون أو نحاول عبثا تبسيط المفاهيم والعلاقات التي تبدو واضحة و مباشرة للوهلة الأولى، وهي ليست كذلك .[2]

وليس معنى ذلك حسب موران، أن الرؤية التعقيدية للموضوعات، تجعلنا نبلغ درجة الاكتمال المعرفي، بل أن ماتوفره لنا هذه الرؤية هو إدراك الطابع التضامني للأشياء في

الحي،حيث يتحكم المستوى الاعقد في المستويات الأبسط، فمستوى الخلية مثلا،يشتمل على مستوى الجزيئات والذرات والقسيمات،في حين أن مستوى الجزيئات لا يشتمل على مستوى الخلايا.

http://www.maaber.org/issue-january08/books-and-readings1.htm .

تاريخ وساعة التصفح: 2024/03/22 12:50سا.

[1]– إدغار موران،الفكر والمستقبل–مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق ،ص11.

[2]– المصدر نفسه،ص69.

واقع التعقيد،لذلك نجده يقول: **"هناك اعتقاد بأن أصحاب الرؤية المركبة يزعمون التوفرعلى رؤية كاملة للأشياء...إننا نعتقد بانه لايمكن عزل المواضيع عن بعضها البعض،إذ أن كل شيء متضامن ومترابط فيما بينه ،إذا كنتم تحسون بالتعقيد،فسوف تحسون بالتضامن وكذلك بالطابع المتعدد الأبعاد لكل واقع".**[1]

إن تعقد الظواهر العلمية والإنسانية عموما، واختلال العلاقات وتشابكها، وعجز الفكر التبسيطي عن فهمها،هو الذي فرض ضرورة وجود نموذج معرفي بديل، من أجل إصلاح الفكر وفهم هذه الظواهرفهما غير مجزأ ولا مبتور.

المطلب الثاني:فكر التعقيد (المركب)كبراديغم إبستيمولوجي إصلاحي بديل:

يمثل فكر التعقيد نموذجا معرفيا جديدا (براديغم)، مسايرا للعلوم المعاصرة وتطورها،دون إقصاء مباديء العلم التقليدي التي تتطلب إصلاحا ودمجا،وليس إلغاء كليا.

يرى إدغار موران،أن البشرية تعيش حقبة ماقبل التاريخ(العصر الحجري)،بالنسبة إلى وضعية وطريقة اشتغال الفكر البشري الحالي،فلابد إذن أن نفكر الموضوعات ونفكر فيها،بشكل معقد ،وإلا فإننا نتجه بخطى ثابتة نحو الكارثة.[2]

كان مصطلح التعقيد في ظل العلوم الكلاسيكية لاسيما في الفيزياء، يستخذم للدلالة على الصفة السلبية الظرفية التي تميز الظواهر المدروسة وتلازمها، بسبب نقص المعطيات النظرية وقصور الأدوات المنهجية التي تحول دون فهم وتفسير هذه الظواهر، ولم تكن تعتبره خاصية ثابتة وأساسية لتكوين هذه الظواهر ، ولفهم علاقات الترابط والتكامل بينها.[3]

---

[1] – إدغار موران،الفكر والمستقبل–مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق،ص69.

[2] –علي سفر ،إدغار موران ،السينما كمادة للفلسفة واختراع المستقبل، موقع صحيفة العرب اللندنية. https://alarab.news.،تاريخ وساعة التصفح: 2024/03/31 ،11:28ساء.

[3]– محي الدين الكلاعي، أسس أنتربولوجيا المركب أو كيف التوجه في القرن الواحد والعشرين؟، ضمن الكتاب الجماعي: الفلسفة الفرنسية المعاصرة،كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1 ،2015، ص348.

وعلى هذا فإن الفكر المعاصر أمام تحد كبير، يرتكز على منظومة التعقيد، ويتوجه بعملية الإصلاح إلى مرتكزات الفكر العلمي التقليدي التي قامت على مبدأ الهوية والاختزال والنظام والحتمية واليقين مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك.

والتعقيد كما يضيف موران، ليس توصيفا للمعرفة العلمية ،ولا هو جوابا شافيا كافيايقدمه الفكر عن المعرفة،بقدر ماهو منهج معرفي(براديغم) ، يسمح بدراسة العلاقات التكاملية بين مختلف فروع المعرفة العلمية والإنسانية والتطلع إلى فهم أفضل لظاهرات الكون وتفسيرها تفسيرا صحيحا،وليس تفسيرا اختزاليا مبسطا يحجب الفكر عن رؤية تعقيد الواقع وفهمه ،لذلك يصف موران هذه الحالة التي عرفتها الإبستيمولوجية الاختزالية، بالحالة المرضية التي أصابت المعرفة الإنسانية أو:(باطولوجيا المعرفة)la pathologie du savoir والتي يطبعها **الذكاء الأعمى**(L'inteligence aveugle)،الذي يفصل المجموع عن السياقات المندرجة تحتها،ويغفل عن تشابك الظواهر وتعقدها.[1]

لقد انسحبت فكرة التعقيد على حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية،بعدما تأكدت الحاجة إليها في ميدان العلوم المادية الأخرى كالفيزياء، وعلوم الطبيعة والهندسة وغيرها،والتي بينت التطورات والاكتشافات العلمية المعاصرة لتقنيات ومناهج البحث في ظواهرها، عن وجود علاقات معقدة بين عناصرها، تفند فرضية النظام وعدم التناقض والثبات والحتمية السببية وغيرها،وتعترف بفكرة الفوضى واللانظام وإمكانية الجمع بين المتناقضات،ومن هنا تم الاعتراف لفكرة التعقيد باعتبارها حقيقة علمية.

يسعى الفكر المركب إلى ربط ماهو مقسم ومنفصل، وإلى احترام المتنوع مع الإقرار بالواحد، كما يراعي علاقة الكل بالأجزاء والعكس في إطار نسقي وتنظيمي.[2]

[1] - Edgar Morin , Introduction à la pensée complexe, op.cit, pp 23-24.

[2] – إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق،ص 60.

ولا يعني ذلك أن الفكر **المتعقد**، في سعيه لربط الموضوعات بعضها ببعض، يعمل على اكتشاف أشكال حضور الأجزاء في الكل فحسب،بل يسعى أيضا لمعرفة وفهم حضور الكل في هذه الأجزاء.[1]

وهذا مانجده مثلا في قول موران ،أن الفرد يحمل المجتمع في ذاته ،مثلما هو جزء من المجتمع الذي يعيش فيه،والشيء نفسه بالنسبة لثقافته،ووطنه وحضارته (علاقة الكل بالجزء).

إن البنية العقلية الاختزالية أو التبسيطية تحول دون فهم البنية العقلية المعقدة ،نظرا لأن التعقيد يكتنف عالم الأفكار والأشياء والعلاقات،والتي تستوجب لفهمها بعمق، نموذجا معرفيا خاصا يدعى الفكر المركب.[2]

ينفي إدغار موران أن يكون الفكر التعقيدي يسعى إلى استبدال فكرة اللانظام التي تسود العالم، بفكرة النظام أو الكلية، بل يهدف حسب رأيه إلى خلق حوار منطقي بين النظام واللانظام.[3]

كما أنه لا يتردد في مواجهة المشكلات التي تنضوي على اللايقينيات وعلى غير المتوقعات (غير المحتملات)، فهو يعترف باكتمال الفكر في إطار اللايقين واللاحتمية،ومقابل ذلك فإن الفكر التعقيدي المورانى يساير، ماتوصلت إليه نتائج العلوم المعاصرة حول نظرية الفوضى* والعشوائية والمنطق الضبابي.

[1]–زهير الخويلدي، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، مرجع سابق ، ص1410.

[2]– إدغار موران، تعليم الحياة، مصدر سابق، ص68.

[3]– إدغار موران، نحو براديغم جديد ،مصدر سابق ،ص119.

*–تعرف أيضا بنظرية الكاوس أو الشواش، والمنطق الضبابي هو المنطق المطبوع باللايقين والمصادفة.

يبقى موران وفيا لنسقه الفلسفي الخاص*، المؤسس على إبستيمولوجيا التعقيد ،لينقلنا من حقل الظواهر العلمية، إلى حقل الظاهرة الإنسانية ،بالارتكاز على ذات الآليات المنهجية والمباديء ،وهو مايهمنا أكثر في فهم مشكلة الهوية الإنسانية من منظور فلسفة التعقيد المورانية.

المبحث الثاني: تجليات ومعالم التأسيس الهوياتي عند إدغار موران:

تمثل الإبستيمولوجية التعقيدية،صلب الفلسفة المورانية،وهي التي تبنى على أساسها كل مواقفه وآراءه الفلسفية،ومن المؤكد ان مسألة الهوية البشرية،لاتخرج على هذه القاعدة،فهو ينظر إليها كظاهرة إنسانية معقدة،لا يمكن معالجتها إلا في كنف الفكر المركب،لذلك تبرز أهمية الوقوف على تجليات وملامح تأسيس فكرة الهوية الإنسانية المركبة،في مجالات الحياة المختلفة التي تخص الكائن الإنساني، سواء كانت معرفية،أو أخلاقية أو تربوية أو بيئية أو ثقافية..الخ،وهو مانتعرف عليه في المطالب الموالية.

المطلب الأول :التربية وصناعة الهوية

من بين الموضوعات المهمة التي خصص لها إدغار موران حيزا كبيرا ضمن اهتماماته الفكرية وانشغالاته الفلسفية،موضوع التربية الذي طرحه ضمن مشروع أخلاقي واجتماعي وحضاري، مشروع مؤسس على فهم الشرط الإنساني، ومراعاة التعقيد الموجود في العالم و الظاهرة البشرية خصوصا، بحيث يستهدف الإنسان في كل جوانبه البيولوجية والنفسية والاجتماعية والتاريخية.

*-النسق الفلسفي المورانى هو نسق كاوسي يرتكز على فكرة اللايقين والمنطق الضبابي، ويرفض العقلانية الكلاسيكية التي تلغي الفوضى والمصادفة.

أولا: مفهوم التربية:

ورد في لسان العرب لابن منظورأن لفظ التربية من الفعل ربا يربو،بمعنى زاد ونما،وهي تشير أيضا إلى التعهد بالرعاية والحفظ وغيرها[1].

وهذا ماتتفق عليه أغلب المعاجم اللغويةوالمتخصصة مع اختلافات طفيفة.

في الموسوعة الفلسفية لأندري لالاند،تشير كلمة تربية Education، إلى معنى التهذيب والتأديب،بحيث تساعد التربية عبر مسار معين في التطور التدريجي للملكات والوظائف والمهارات الإنسانية، وإتقانها وتحسين جودتها،سواء كان هذا المسار محكوم بعمل وتأثير خارجي، أو كان ناشئا من مجهود الشخص ذاته (self-education)،مثلما يطلق عليه في التعبير الإنجليزي.[2]

كما يذهب علماء وفلاسفة التربية،أن هذه الأخيرة (التربية)لا تنحصر مجالاتها، فيما يتلقاه المتعلمون من معارف مدرسية فحسب، بل هي أوسع من ذلك مثلما يدل عليه المصطلح في أوسع استخداماته، والذي يشير إلى عملية التنشئة الفكرية والخلقية والسلوكية للصغارعلى وجه الخصوص،وتنمية قدراتهم العقلية داخل المدرسة، وغيرها من الفضاءات والمؤسسات التربوية والثقافية، كما يمكن أن يتسع هذا المفهوم، ليشمل تعليم الكبار وتدريبهم داخل المجتمع الكبيربكل مؤسساتهالاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية وغيرها، حتى يتمكنوا من تقديم الإضافة النافعة لأنفسهم ولمن حولهم ،والتأثير الإيجابي في الأجيال اللاحقة التي تأتي بعدهم.[3]

[1]–ابن منظور ،لسان العرب ، م01، طبعة بيروت، د س ،ص1098.

[2]– أندري لالاند ،موسوعة لالاند الفرنسية،مرجع سابق، ص 322.

[3]– تركي رابح ، أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للتعليم ،الجزائر،ط 2، 1990 ، ص ص 16–17.

ثانيا:ملامح الفلسفة التربوية عند إدغار موران :

لا تنفصل أزمة التربية عند إدغار موران،عن أزمة الحداثة الغربية في حد ذاتها ،بحيث تحولت المعارف العلمية معها، من خدمة الإنسان وتطوير العالم ،إلى اكتشاف قدرات هائلة للموت من قبيل الموت البيولوجي أو النووي.[1]

وهي العقلانية العرجاء التي انتقدها موران بشدة ،وقد تسببت في كثير من التدخلات البربرية على مقومات الحياة البشرية وغير البشرية .

إن أبرز التحديات الأكثر صعوبة بالنسبة للعملية التربوية عموما، مثلما يؤكد على ذلك إدغار موران، هو تغيير طرق التفكير لمواجهة التعقيد المتصاعد والتحولات المتسارعة و اللامتوقعة التي تميز عصرنا الحالي ، هذا ما يصفهموران بالعصر الكوكبي، لذلك يراهن على التربية من أجل إعادة التفكير في طريقة تنظيم المعرفة،وتجاوز الرؤى الاختزالية التي أحدثت القطيعة بين العلوم والمعارف ومن ثم العمل على تحقيق الربط و التكامل بينها .[2]

وفي هذا الصدد يؤكد موران صراحة على ضرورة "**الاعتراف بوحدة الإنسان وبطابعه المركب من خلال لم وتنظيم المعارف المشتتة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والأدب والفلسفة**".[3]

فهناك مهمة أكثر من ضرورية في عصرنا–كما يؤكد موران–تكمن في حاجتنا الماسة، إلى فكر قادر على تحدي الواقع المركب،أي استيعاب الصلات والتفاعلات والآثار المتبادلة

[1]– إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية ، مصدر سابق، ص 36.

[2]– إدغار موران، تربية المستقبل –المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل ، تر:عزيز لزرق ومنير الحجوجي دار توبقال للنشر، الدار البيضاء– المغرب ، د ط ،2002، ص13.

[3] –المصدر نفسه ،ص17.

والظواهر المتعددة الأبعاد والوقائع المتضامنة والمتنازعة في الوقت نفسه،والتصدي لأزمة الإفراط التخصصي، لأن ذلك من شأنه أن يهدم النسيج المركب للواقع.[1]

إن عملية فصل المناهج الدراسية وعدم تأطيرها ضمن سياقها، لاتكرسعزل المعارف عن بعضها، ومفارقتها لواقع المتعلمين واهتماماتهم فحسب، بل تكرس أيضا فصل الموضوع المعرفي عن الذات العارفة، لتصبح المعرفة وكأنها كائن قائم بذاته ولذاته،الأمر الذي يؤدي إلى عزل المعرفة عن الشخص العارف، وتجريدها وفصلها عن السياق الثقافي والاجتماعي وبالتالي تضعف فرصة التقابل بين العالم الخارجي للموضوع والعالم الداخلي للذات وتصعب بالتالي إمكانية العبور بهذه المعرفة المتخصصة من داخل جدران المدرسة إلى فضاء الواقع المتشابك.[2]

بالإضافة إلى المسائل المعرفية التي تطرح في حقل التربية والتعليم وما تكتنفها من إشكالات وما تستوجبه من مناهج وتقنيات، هناك أيضا الجوانب الأخلاقية والحضارية التي يعطي لها موران اهتماما بارزا من حيث علاقتها مع المشكلة الهوياتية، وجدل التأسيس الهوياتي، وهذا مانستطيع وصفه بالإتيقا التربوية في فلسفة إدغار موران.*

إن الأخلاقيات التربوية–وفق ما ذهب إليه إدغار موران–لا تفيدنا في تشخيص المشكلات التربوية وكيفية تجاوزها في الواقع فحسب، بل في فتح نافذة مهمة على المستقبلوإعداد جيل تربوي مستقبلي قادر على مواجهة التحديات المستجدة ،بكل الوسائل والأدوات المعرفية والمنهجية والذهنية.وذلك بالبحث عن الجانب الإنساني في الإنسان،وطرح

[1]–إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص13.

[2]– حمدي عبد الله رضوان إبراهيم،فلسفة التربية عند إدغار موران في ضوء براديغم الفكر المركب،ضمن الكتاب الجماعيإدغار موران المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن،دار الأيام للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2022،ص ص 139–140.

*– عبد السلام بوزبرة، فروم رشيد، إدغار موران :من أجل إتيقا تربوية في ضوء الفكر المركب، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي ،المجلد 07،العدد 02 ،ماي 2023. ص ص1420–1445.

أسئلة استشرافية ، بغية إعداد جيل تربوي معزز بالفهم والتواصل المعرفي والبشري،لذلك نجد أن موران يلح كثيرا في مختلف مؤلفاته،على الاهتمام بالتربية المستقبلية،من أجل مقاومة الجديد المحتمل وغير المحتمل الذي تنتظره البشرية والكوكب الأرضي ككل.*

وعلى هذا يعتقد إدغار موران،أن المهمة التاريخية في القرن الواحد والعشرين،هي ضمان إجادة آداب الحياة وآداب التفكير ،وإتقان فن العيش وجودة الفعل الحضاري،وإعمار (حديقة الفضيلة الكبرى)، التي تسع الجميع في جو من التسامح والإخاء.[1]

ثالثا: التربية والإصلاح المركب: فكر/معرفة:

يدعو إدغار موران من خلال نموذج تربوي إرشادي، إلى نظرة عميقة للتربية،إذ يراهن عليها في تجديد طريقة تنظيم المعرفة ،وإبراز ضرورة الوصل و التكامل الموجود بين العلوموالمعارف ،كما يؤكد على دورها المفصلي كفعل يساهم في تحقيق التغيير المنشوذ على كافة مستويات العيش ،فكريا، واجتماعيا ،وثقافيا، وسياسيا وحضاريا.

فينبغي على مناهج التعليم عموما و المناهج الفلسفية خصوصا، أن تدخل المسائل الأنتربولوجية ضمن محتوياتها، و تعيد طرح الأسئلة الكبرى في تاريخ البشرية،وهذه الأسئلة لاتتعلق بمعرفة العالم فقط، بل بعالم المعرفة وأنواع المعرفة(معرفة المعرفة) ،ومعرفة العارف أو الذات العارفة استلهاما من المقولة الشهيرة لسقراط "اعرف نفسك بنفسك".[2]

لقد دعوت، مثلما يقول موران، ومنذ سنين طويلة إلى ضرورة أن تدخل على برامجنا التعليمية–بدءا من المرحلة الابتدائية، ووصولا إلى مرحلة التعليم الثانوي–مسألة تدريس

*– خصص موران لذلك كتابا مهما من كتبه التي تتكلم عن التربية عموما والتربية المستقبلية خصوصاعنوانه:تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل،والذي طبع برعاية منظمة اليونسكو الأممية، مصدر سبق استخدامه.

[1]– إدغار موران ،تعليم الحياة ،مصدر سابق ،ص 168.

[2]– المصدر نفسه ،ص 33.

ماهية المعرفة، ويعني ذلك ان تكون أخطاء المعرفة وأسبابها وانحرافاتها وأوهامها، محل العملية التعليمية في المناخ التربوي،فتتحول المعرفة إلى موضوع للتعلم والتعليم،باعتبار أن طبيعة المعرفة نفسها،تشتمل على الوهم والخطأ،إذ أن المعرفة الإدراكية الأولى التي تتم من خلال عملية ترجمة تأثير المثيرات على حواسنا إلى داخل شفرات النظام العصبي،سرعان ما تتبعها عملية البناء الدماغي،وعليه تكون كلماتنا هي ثمرة الترجمة إلى اللغة ،أما أفكارنا فتمثل إعادة بناء الأنساق المختلفة،وهكذا فإن هناك احتمال لوجود الخطأ والوهم في المعرفة مما يستوجب معرفتها(معرفة المعرفة).[1]

إن ما يزيد من صعوبة معرفة عالمنا، هو نوعية تفكيرنا التي قتلت فينا القدرة على وضع الأمور في سياقها الصحيح، ودفعتنا إلى النظر إليها برؤية شمولية مبتورة وبعيدة عن حقيقة الواقع،فالعصر الكوكبي يحتم علينا أن ننظر إلى العالم نظرة متعددة الأبعاد،وننظر إلى بنيته المركبة، وإلى علاقة الكل بالأجزاء..الخ،ولا يتم ذلك إلا من خلال إصلاح التفكير حسب مايقتضيه العصر الكوكبي.[2]

إن معرفة المعرفة كما يضيف موران، سوف تمكننا من مقابلة الاختزالية والمانوية والتشيؤ، بمعرفة لها القدرة على الوصل بين مختلف جوانب الواقع،بما في ذلك المتناقضة منها،والتعرف على مستوى التعقيد البشري داخل الفرد الواحد،والمجتمع الواحد والحضارة الواحدة.[3]

---

[1]– سعيد السالمي،إدغار موران ،التربية من أجل السلام لمقاومة روح الإرهاب ،حوار مع إدغار موران، لصحيفة لوموند الفرنسية ،بتاريخ 2018/12/19 ،على الموقع الإلكتروني: الغربال أنفو:Alghirbal Info، على الرابط: https://alghirbalinfo.blogspot.com/2018/12/blog-post_20.html.

تاريخ وساعة التصفح 2024/03/31 ، 10:45سا.

[2]–إدغار موران، تربية المستقبل ، مصدر سابق ،ص58.

[3]–سعيد السالمي، إدغار موران : التربية من أجل السلام لمقاومة روح الإرهاب،مرجع سابق.

يحذر إدغار موران من خطورة الرؤية الاختزالية للمعرفة في المجال التربوي ،وما يكتنفها من عمليات الفصل بين المناهج الدراسية ،حيث يعترف بوجود تقليد فكري متجدربعمق في ثقافتنا تتربى عليه العقول منذ مرحلة التعليم الابتدائي، فيلتصق بالأذهان أن العالم يعرف(بضم الياء) من خلال أفكار واضحة ومتميزة،مما يقودنا إلى تحويل المركب إلى بسيط،و فصل ماهو متصل، وتوحيد ماهو متعدد،ونستبعد من فهومنا وعقولنا كل ماهو قابل للتناقض أومكتنف على الفوضى والاحتمال ".[1]

إن إصلاح الوضع التربوي مثلما يؤكد فيلسوفنا، يتطلب الفهم العميق للمشكلة المعرفية و الإنسانية عموما في تجلياتها النفسية والتاريخية و الاجتماعية، ولا بد أن يكون هناك إصلاح مناهجي للتربية والتعليم،إصلاح يستهدف العقول والبرامج والمحتويات المعرفية،بدء من المدرسة وانتهاء عند أصحاب القرار السياسي.

كما أن إصلاح الحياة حسب مايؤمن به موران، ويكرر دائما في كتاباته و مداخلاته المتنوعة،يتطلب تدربا وإصلاحا عميقا على المستوى الشخصي،وبالموازاة مع ذلك ينبغي أن تكون هناك إصلاحات على مستوى المنظومة التعليمية ، وإصلاحات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وتعزيز الوعي المدني والمواطني في المحيط الجغرافي ،وترقية الأساليب الحضارية للعيش،فيجب بعث عمليات تغيير مترافقة ومتكاملة ،على المستوى الشخصي والاجتماعي في الوقت نفسه، ولا يكفي نوعا واحدا موجها من الإصلاحات، لتغيير الفكر والإصلاح المعرفي وتحسين الحياة الاجتماعية والإنسانية،بل إن السبيل لذلك هو التكافل البيني بين الإصلاحات،فهذا الذي يجسد حقيقة المبدأ الاتصالي في مواجهة ظاهرة التعقيد،وهذا هو جوهر التفكير المركب.[2]

[1]–إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل للبشرية ،مصدر سابق ، ص206.

[2]– جون فرانسوا دورتيي ،حوار مع إدغار موران حول تغيير الحياة،مرجع سابق.

فنحن بحاجة إلى فكر مركب، فكر يربط بين ماهو مجزأ ، فكر متعدد الأبعاد،يعيد تنظيم العلاقة المتبادلة بين الكل والأجزاء،لايعزل الموضوعات عن تأثيراتها الذاتية أومحيطها الثقافي والجغرافي، ولايقصي أيا من التخصصات العلمية واللاعلمية أو الفلسفيةوعلى الكل أن يعمل على تفكير الحياة، وتفكير الإنسان والواقع،وبهذا يكون التفكير مجديا يؤتي أكله،يجسد عملية إصلاح الفكر باعتبار أنها مشكلة إناسية وتاريخية، وهي المهمة التي تقع على عاتق البشرية اليوم.[1]

وفي انتقاده للعقل الكلاسيكي المغلق، يقول موران:"**نحن مطالبون بالبحث عن فكر منفتح أكثر وشامل ومركب في الآن نفسه...وينبغي أن نتخلى عن عقلانية منغلقة على نفسها وعاجزة عن إدراك ما يستعصي على المنطق الكلاسيكي وعن فهم مايتجاوز نطاقها لنلتزم بعقلانية منفتحة تعرف حدودها وتعي ماليس قابلا للعقلنة...فنحن في هذا العالم المعولم نواجه صعوبات التفكير الشامل التي هي نفسها صعوبات التفكير المركب**".[2]

ولا شك أن حاجتنا إلى إصلاح المعرفة، أمر بالغ الأهمية بالنسبة للجهود التربوية المتكاملة في المجتمع،إلا أن هذه الحاجة لاينبغي أن تجعلنا نتوجه فقط، للاهتمام بتغيير الجانب الكمي في مناخ التعليم ،مثل الزيادة في نفقات التربية والتعليم،جلب المزيد من المعلمين ،تحسين التكنولوجيا المعلوماتية ..الخ، والتغافل عن عملية إصلاح العقول التي تمكننا من إصلاح المؤسسات التعليمية والاجتماعية، وبدورها تحتاج هذه العقول إلى إصلاحات مسبقة لهذه المؤسسات التي يفترض أن ترتب أولويات الإصلاح التربوي المركب الذي يزاوج بين الجانب المادي والإنساني.[3]

---

[1]–إدغار موران ،هل نسير إلى الهاوية،مصدر سابق،ص60.

[2] –إدغار موران ، التفكير الشامل–الإنسان وكونه، تر:منتصر الحملي ،صفحة سبعة للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية، ط01 ،2022، ص54.

[3]–إدغار موران ،السبيل لأجل مستقبل للبشرية ،مصدر سابق ،ص212.

رابعا: تعليم الشرط الإنساني:

يصف إدغار موران أزمة التربية ،بأنها أزمة متعددة الأبعاد ،بحيث يستحيل عزل هذه الأزمة عن الأزمة الإنسانية في تجلياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية، وسبب ذلك حسبه، هو النموذج المعرفي الكلاسيكي ،نموذج التبسيط الذي يقوم على مبدأين بارزين وهما، مبدأ الاختزال، بمعنى اختزال نظام المعرفة إلى أجزاء، ومبدأ الفصل الذي بمقتضاه يتم فصل المعارف بعضها عن بعض.[1]

تعتبر التربية على فهم الشرط الإنساني، من الأدوات الإبستيمولوجية والمنهجية التي تجعلنا نتعرف على كيفية تشكل الوجود الإنساني في إطار ما يعرف بثلاثية:**الفرد،النوع،المجتمع**، ذلك أنه لا يمكن فهم تعقيد الظاهرة البشرية منفصلة عن العناصر المكونة لها،لأن كل تطور حقيقي للإنسان ،يعني تطورا متلازما للاستقلال الذاتي للأفراد،وتطورا للمشاركة الجماعية ،وتطورا لحس الانتماء إلى النوع الإنساني.[2]

يراهن إدغار موران على فهم الشرط الإنساني من أجل التطلع لتربية مستقبلية تأخذ في الحسبان، موضعة الوجود الإنساني ضمن مرحلة تاريخية تتسم بالكونية، هذه الحقيقة التي يجب الاعتراف بها، وفي ذات الوقت وجب الاعتراف بالتعدد الثقافي المميز للبشرية،وبالطابع المركب للإنسان .[3]

إن فهم الشرط الإنساني في العالم ،وفهم معنى هذا العالم الإنساني الذي أصبح كوكبيا،هو الذي يمكن مواطني الألفية الثالثة ،من التفكير الصحيح في مشكلاتهم ،ومشكلات زمانهم،فمع نهاية القرن العشرين وصلنا إلى مرحلة العولمة، وهي المرحلة الجديدة للعصر الكوكبي،تترجم بالأساس عملية انبثاق للعالم كما هو فعلا، عالم مليء بالأزمات المتداخلة

[1]– حمدي عبد الله رضوان إبراهيم،فلسفة التربية عند إدغار موران في ضوء براديغم الفكر المركب، مرجع سابق،ص138.

[2]– إدغار موران، فهم الشرط الإنساني رهان تربية المستقبل، مرجع سابق، ص127.

[3]– المصدر نفسه، ص124.

والتعقد والتناقض،ولكنها تناقضات متكاملة تتغذى بعضها على بعض ويفسر بعضها بعضا،كل هذا يعبر عن طبيعة المشكل الكوكبي المعولم.[1]

يوصي إدغار موران بضرورة عناية التربية المستقبلية "**بالاستفادة من هذا العدد الكبير من العلوم الطبيعية من أجل فهم أفضل لشروط الوجود الإنساني في هذا العالم،أما وظيفة العلوم الإنسانية،فيجب أن تتجه نحو توضيح الأبعاد الإنسانية المتعددة والمركبة،وضرورة إعارة الاهتمام لكل الجوانب الإنسانية المهمة،ليس الفلسفية والتاريخية فحسب،بل الشعرية والفنية أيضا**".[2]

وبهذا النوع من التربية التي تراعي مبدأ الشرط الإنساني، نتمكن وفق رؤية إدغار موران من فهم حقيقة تفردنا الإنساني من جهة، وانتمائنا إلى المحيط المادي والحيوي الذي نعيش فيهمن جهة أخرى.

خامسا: تعليم أخلاقيات الفهم:

تكشف الأخلاقيات التربوية عن الأبعاد الإنسانية التي تزيد من قيمة التربية بالنسبة للمجتمعالإنساني، الذي هو بحاجة ماسة اليوم ،إلى العيش بسلام وجودة الحياةفي هذا الكوكب الأرضي، كما ينوه موران على أهمية الإصلاح التربوي بالنسبة للمستقبل الذي يريده متفتحايطبعه التفاهم والتضامن وروح المسؤولية،وبحاجة إلى التغير نحو غد مختلف،بعيدا عن مظاهر الهيمنة وصور الازدراء والعنف والكراهية ،وذلك لا يتأتى إلا بتعزيز أخلاق الفهمالتي تفتح آفاقا واعدة لتواصل إنساني مفيد.

يولي إدغار موران أهمية معتبرة لمسألة الفهم في عملية التواصل، ويعتبر أن الفهم الإنساني القائم على الذاتية البينية (البينذاتية)، يتطلب الانفتاح على الآخر، والمشاركة

[1]– إدغار موران، تربية المستقبل، مصدر سابق، ص ص57–58.

[2]-إدغار موران، فهم الشرط الإنساني رهان تربية المستقبل، مصدر سابق، ص125.

الوجدانية والتعاطف، وسواء ثم هذا الفهم عن بعد أو عن قرب، فإنه يرى في الآخر مثيلا للذات ومختلفا عنها في الآن نفسه، فهو مثيل لها بإنسانيته ومختلف عنها بتمايزه الشخصي أو الثقافي.[1]

ومن النظريات الفلسفية الشهيرة التي تعيننا في فهم الحوار بين الذوات،نجد نظرية الفيلسوف و العالم اللغوي الروسي **ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin(1895-1975)**الذي يختلف مع هيغل في رؤيته لفكرة الصراع ،القائمة على أساس التناقض،بينما لايرى باختينأن الذوات متعارضة بطبيعتها،بل هي مرتبطة بعضها مع بعض في علاقة حوارية تشاركية،وهنا يظهر أن مفهوم الآخر كامن في النزعة الحوارية التي يتبناها هذا الفيلسوف، بحيث يتقاطع مع النظرية البنيوية التي لا تعترف بوجود أشياء في ذاتها ، ولكن الأشياء والذوات إنما تظهر من خلال علاقاتها بالذوات الأخرى التي تحدد طبيعة الأطراف المشاركة في هذه العلاقة الحوارية،ومن هنا نجد أن الذات والآخر عند **باختين** رغم انفصالهما واختلافهما إلاأنهما متداخلين في الوقت نفسه،وبعيدا عن هذا التداخل والإمكانية في الاتصال، تصبح الذات حسبه معبر فارغ من المعنى.[2]

يحقق التواصل الإنساني غاياته المثلى، حسب إدغار موران عندما يكون هناك فهما صحيحا للإنسان في حد ذاته، فهما لمكوناته وأبعاده ، هذا الفهم الذي يتطلب الوعي بالطابع المركب للإنسان ،دون فصل أو اختزال في التعامل مع الظاهرة البشرية.[3]

ومن مقتضيات أخلاق الفهم وفق الرؤية المورانية، أن نعترف بعدم الفهم السائد في العلاقات بين البشر، إنه أمر متفش في وسط العائلات، وفي قلب العمل والحياة المهنية وفي العلاقات بين الأفراد والشعوب والديانات، وهو شأن يومي وكوني حاضر في كل مكان

[1]– إدغار موران ، تعليم الحياة ،بيان لتغيير التربية، مصدر سابق، ص69.

[2]– علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع،مرجع سابق، ص30.

[3]–إدغار موران ،النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق ،ص22.

تقريبا،يولد سوء التفاهم ويحدث الاحتقار والكراهية، ويثير العنف ويرافق الحروب دائما،ولهذايصف إدغار موران هذه الظاهرة، بظاهرة استشراء سرطان عدم الفهم[1].

ويضيف موران، أن عدم الفهم الذي يشمل الذات والغير معا، هو منبع للمواقف المتعصبة وللأفكار المؤدلجة والوثوقيات التي ترجمتها وعبرت عنها بوضوح تلك اللغة الانتقامية العنيفة التي يتبادلها الناس العاديين أو حتى المثقفين، الذين وقعوا تحت سطوة الإحساس بالمجد وتضخم الذات والشوفينية. وغيرها[2].

لابد أن نتعلم أيضا،"كيفية تعلم الفهم"، بمعنى أن نجيب عن سؤال كيف نتعلم كيف نفهم؟ مثلما نعترف تماما بضرورة فهم أنفسنا ، وفهم غيرنا.[3]

وبذلك يتحول الفهم إلى موضوع للتعلم في حد ذاته،بالتعرف على آلياته ومنهجيته الفعالة ،في سياق مايدعوه موران بمعرفة المعرفة، والتي تكشف لنا عن حجم الوهم والخطأ الذي تتخبط فيه المنظومة التعليمية.

وطريقة ذلك هي ضرورة التمييز بين الفهم الذهني الموضوعي ، والفهم الإنساني الذي يحتوي على جرعة ضرورية من الذاتية،تفيد في تحقيق المعنى العميق للتواصل البشري.

يرفض إدغار موران،أن تختزل عملية الفهم في الجانب المعرفي الموضوعي، مثل فهم وتفسير كلام الآخرين،وأفكارهم، ورؤيتهم للعالم...هذه العملية المهددة بمشكلة سوء الفهم بين الملقن وبين المتلقي، نتيجة عدم الدراية بالمضمر من الكلام أو عدم الانتباه إليه،زيادة على تعدد معاني اللفظ الواحد أثناء الكلام أو التعبير،وعدم إدراك سياق الجمل ومناسبتها بين

[1]–إدغار موران ،تعليم الحياة ،بيان لتغيير التربية، مصدر سابق، ص70.

[2]–إدغار موران ،المنهج –الأخلاق–،ترجمة: يوسف تيبس،دار أفريقيا الشرق،المغرب،د ط، 2021، ص113.

[3] –Edgar Morin, la méthode ,Ethique, Editions du seuil, france, 2008,p138.

متحدث وآخر،مما يغير معانيها كلية ،زيادة على استحالة فهم البنية العقلية المعقدة للموضوعات،من خلال بنية عقلية اختزالية أو تبسيطية.[1]

وفي المقابل يؤكد موران على أهمية الفهم الإنساني الذي يتجاوز حدود التفسير والفهم العقلي الموضوعي،وهو القائم على الذاتية البينية أو التذاوت، بالانفتاح على الآخر والمشاركة الوجدانية، و فهم العواطف والمشاعر الداخلية، والمعاناة من خلال عمليات نفسية كالتقمص والإسقاط وغيرها، وبذلك يسمح الفهم الإنساني بالاعتراف بالقيمة الإنسانية للآخر دون إلغاء تميزه أوفرادته الشخصية أو الثقافية،وهذا الاعتراف هو شرط قبلي لازم لكل عملية فهم حسب موران دائما.[2]

وفي سياق ما ماقدمه إدغار موران من طروحات حول فهم الغير و الاعتراف بالآخرلايفوتنا استحضار نموذجين مهمين من الفكر الغربي المعاصر،عرفا بالخوض المفصل في هذا الموضوع وهما، الفرنسيان: بول ريكور وإيمانويل ليفيناس .

فقدعمل بول ريكورPaul Ricoeur(1913-2005)،على إصلاح انحرافات الذات الحديثة ومابعد الحديثة (والتي برزت خصوصا مع الشرخ الذي أحدثه كوجيتو الفصل الديكارتي) ، ودعا ريكور إلى التفكير في الآخر بوصفه عين الذات،وتمثل الآخر بوصفه غيرية ليس خارجية فقط ،بل غيرية داخلية أيضا ،ذلك أن الآخر كما يرى ريكور ،ليس ما يقابل الهو Le Même،بل ما يكون معناها الحميمي.[3]

كما ذهب فيلسوف الغيرية إيمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas(1906-1995)،إلى القول بضرورة الاهتمام بالآخر أو الغير،واعتبار الآخر شخصا وليس مجرد شيء من

[1]– إدغار موران ،تعليم الحياة ،بيان لتغيير التربية، مصدر سابق،ص ص 67-68.

[2]– المصدر نفسه، ص 69.

[3]–مصطفى بن تمسك ،الذات المتعددة لدى بول ريكور،بحث محكم، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية،05 /2016/04 .

الموقع الإلكتروني: www.mominoun.com

الأشياء الجامدة، فهو شخص ينبغي الاعتراف به واحترامه والحوار معه والإصغاء إليه، وبذلك تؤسس أولوية الأخلاق حسب ليفيناس على أولوية الآخر،وهذا ما يعرف عنده بالمسؤولية الأخلاقية اتجاه الغير.[1]

يؤكد إدغار موران هذه الفكرة وينصح بضرورة الاهتمام بالغير والتضامن الوجداني معه حتى يمكن فهمه، وعند فهمه تزول الكثير من أسباب التنافر والكراهية عند الناس،وهذا ما ينبغي الاهتمام به في الفضاءات التعليمية والتربوية.*

كما نجده ينوه كثيرا، عل أهمية تدريس مسألة الفهم في كل مراحل التعليم من الابتدائي إلى الجامعي ،ويرى بأن المناخ التربوي اليوم ليس بحاجة إلى الفهم فقط،وإنما إلى أخلاقيات الفهم (إتيقا الفهم)، باعتبارها علاجا لكثير من الأمراض وخاصة العنف المدرسي الذي يعبر عن أزمة التعليم الشاملة (كما أطلق عليها موران)،وهو عامل مفصلي في الأزمة التربوية والحضارية التي تعاني منها مجتمعات اليوم.[2]

وتحت شعار(الفهم في رحاب المدرسة)،يعول فيلسوفنا بشكل لافت ومميزعلىالمدرسة في تعليم أخلاق الفهم داخل المناخ التربوي،سواء كان ذلك بين المعلمين والمتعلمين أو بين المتعلمين أنفسهم.

ينتظر من المعلمين والمربين في فضاء التمدرس،أن يحرصوا على تعليم التفاهم البشري وتجسيد مايعرف بأخلاقيات الحوار واحترام الآخر والتسامح بينهم أولا، ثم بينهم وبين المتعلمين ثانيا ، والعمل على تحويل عنف التلاميذ من صراع خشن إلى صراع لطيف

[1]–الدراجي زروخي،فنيات الخطاب الفلسفي ،سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة محمد بوضياف المسيلة ،ط1،2019،ص ص 176–177.

*–يؤمن موران بالعلاقة الدائرية للفهم في مناخ التربية والتعليم، فليس بالضرورة أن يكون الآخر هو المتعلم فقط خلال العملية التعليمية،بل يمكن أن يكون هو المعلم ذاته، وهكذا يكون الفهم متبادلا يساهم قي تجاوز الكثير من مشاكل التعليم، وتعبر هذه العلاقة الدائرية التبادلية عن تعقيد الظاهرة البشرية حسب إدغار موران.

[2]–إدغار موران، تعليم الحياة. بيان لتغيير التربية،مصدر سابق ،ص ص 76–78.

ومثمر، يستمر بواسطة الكلام والأفكار يسمح بالحوار، ويفتح آفاق التواصل الفكري والثقافي والأخلاقي، لكي يصبح بذلك طريقة عملية للتدرب على الفعل الديمقراطي في صوره القاعدية، إذ أن الديمقراطية عموما تحتاج إلى مثل هذه الصراعات الفكرية حتى لا تموت وتندثر ،بشرط ألا يصاحبها مظهر من مظاهر القوة المادية.[1]

إن الفهم الذي يسود المناخ التربوي عموما ،ومناخ المدرسة خصوصا، يشترط ضرورة العناية بكل من المعلمين والمتعلمين ،وإعطاءهم المكانة التي يستحقونها في مسار الجهود الإصلاحية للمنظومة التربوية ،وفي سياق تأمين العلاقة بين المدرسة والأسرة ،وبين المدرسة وبقية الفاعلين التربويين في المجتمع(الشركاء).

وفي هذا الإطار يعتقد إدغار موران أن مهمة المعلم لاينبغي أن تختزل في مجرد الآداء المهني الآلي، أو الوظيفة التي يسودها الآداء الروتيني الجاف،والخالي من الشاعرية والإبداع والفاعلية في ممارسة هذه المهنة السامية، بل أن مهمته تتجاوز ذلك، إلى نقل استراتيجيات الحياة للمتعلمين،وهو مايتطلب زيادة على كفاءة المعلمين ومهاراتهم وخبرتهم، التسلح بفنيات التدريس وجمالياته .[2]

يمكن للمعلم أن يغير حياة المتعلمين ويطور شخصياتهم،يمكنه كذلك أن يغير حياة الأشخاص الذين يتعامل معهم في مناخ التعليم أوخارجه،يمكن لكلماته المناسبة في الوقت المناسب أن تغير شخصا ما بالكامل.[3]

فالتعليم كما قال الزعيم الجنوب إفريقينيلسون مانديلاNelson Mandela(1918-2013) هو:" أقوى سلاح يمكنك استخدامه لتغيير العالم".[4]

---

[1]- إدغار موران، تعليم الحياة . بيان لتغيير التربية،مصدر سابق ،ص79.

[2] - حمدي عبد الله رضوان إبراهيم،مرجع سابق،ص 152.

[3]- فرح عمران، ماذا يعني أن تكون معلما ؟،كلمات للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة ،د ط،2022، ص6.

[4]-المرجع نفسه، ص13.

إن سلطة المدرس الحقيقية كما يراها موران، هي سلطة أخلاقية ، تتمثل في قوة الحضور الذي يرسم كاريزما متميزة لهذا المدرس، حضور مطبوع بخلق الرفق، يفرض وجوده من غير عنف،يؤمن بعقيدة الحب إيروس(Eros)*، ويفتح أبواب الفهم والتواصل بين المعلمين والمتعلمين.[1]

وتنويها على قدرة هذه **الكاريزماتية** التي يفترض أن تطبع سلطة المدرس الأخلاقية وتجعله يصل إلى مستوى الوعي بالتعقد الإنساني في تعامله مع متعلميه، يذكر موران،" **أن الوعي بالتعقد الإنساني يدعونا إلى ألا نركز على السمات السلبية لدى الفرد،بل أن ننظر إلى كل مظاهرشخصيته،مما يدفع للقضاء على العدوانية،ولاشك في أنه من المحبذ تجاوز الرفق لإعلاء شأن الطيبة،ذلك أن الرفق والطيبة تربطهما أواصر قربى مع إيروس(Eros) إله الحب،والحب هو الفضيلة الأسمى للمدرس**".[2]

لابد من تدريب وتربية كل من المعلم والمتعلم –باعتبارهما طرفي العملية التعليمية– على التفاهم المتبادل،وتحفيزهم على ذلك ،ثم نقل هذا السلوك إلى الأجيال الجديدة حتى يتعزز التفهم المعمم للآخر والاعتراف به كمثيل لنا ومختلف عنا في الوقت ذاته،وبذلك يكون الاعتراف بالآخر هو الميزة الجوهرية ،في كل حياة اجتماعية راقية،وهي في حقيقة الأمر اعتراف بكرامته وإنسانيته الكاملة.[3]

يرى الفيلسوف والأكاديمي الأمريكي سيدني هوك Sidney Hook(1902–1989)،أن المتعلم حينما يستحضر خبراته وتجاربه التعليمية والتربوية الماضية ،إنما يتذكر

*– إشارة إلى إله الحب عند اليونان،وفي المجال التعليمي و التربوي يؤمن موران بأن إيروس (Eros)، هي صفة موجودة بالقوة عند المعلمين والمتعلمين، وينبغي إحياؤها في مناخ التمدرس، لتنعكس بالإيجاب على جودة الحياة خارجه.

[1]– إدغار موران ،تعليم الحياة بيان لتغيير التربية،مصدر سابق، ص79.

[2]–المصدر نفسه ،ص80.

[3]– المصدر نفسه، ص166.

معلميه واللحظات المثالية التي استمتع فيها مع عطائهم وشاعريتهم، وليس طرائق التدريس وآلياته ،لذلك يؤكد على أن المعلم هو جوهر النظام التعليمي.[1]

تسمح أخلاق الفهم في الفضاء التربوي ،بالتواصل بين المعلمين والمتعلمين وكل الفاعلين في المؤسسات التربوية والتعليمية، كما تسمح أيضا بالتواصل بين العلوم والمعارف ورفض التجزيء والفصل بين التخصصات العلمية المختلفة والمتكاملة في الأصل*– في شكل نسيج واحد– ذلك أن الفصل الذي يشعب المسائل ويشتت التفكير ،إنما يعبر عن ذكاء بشري سلبي يحطم التكامل والتشابك الموجود في هذا الكون وظواهره المعقدة،ليصبح بذلك كما أنه ذكاء أعمى(Intelligence aveugle)، أو ذكاء غير مسؤول .[2]

إن الفهم الذي يسود المناخ التربوي،ويطبعه الفكر المركب، هو الذي يجعلنا نطلع بعمق وشمولية على معاناة المدرسينوالمتمدرسينعلى حد السواء،وتسمح هذه الرؤية المتعددة بتقليص سلوك الإهانة المتبادل بين الطرفين وخصوصا بين التلاميذ المراهقين والمعلمين الكهول، ذلك أن رجال التعليم الكهول (كما يصفهم موران)، يجهلون الثقافة الشبابية التي غزتها التكنولوجيا الحديثة بكل محتوياتها المعرفية والثقافية، بما في ذلك نوعية اللباس وتسريحات الشعر،وطريقة الكلام وغيرها،كما أن التلاميذ المراهقين (الثانويين)،يجهلون المشاكل العميقة التي يعاني منها أساتذتهم، من مشاكل الوظيفة والضغوطات الإدارية والاجتماعية، وتدخل الأولياء والاعتداءات المهددة لشخصهم،لذلك فإن كل طرف مطالب

[1]– فرح عمران، ماذا يعني أن تكون معلما ؟،مرجع سابق،ص110.

*– يؤكد إدغار موران على ضرورة تطبيق نموذج تعليمي عابر للتخصصات (عبر تخصصي)،وعابر للمناهج (عبر مناهجي).

[2]– إدغار موران، تحديات القرن الحادي والعشرين–تواصل المعارف العلمية– ج 2، ت:حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط،2001، ص16.

بتفهم الآخر، تجنبا للتنافر والصراع ،وبحثا عن التعاون والحوار المثمر في الفصول الدراسية.[1]

كما تسمح أخلاق الفهم والتفهم،بتعزيز العلاقة الحوارية (La relation dialogique)، بين المعلمين والمتعلمين– كما في بقية الظواهر الإنسانية والعلمية–، كوحدة معقدة بين كيانين متنافسين ومتعارضين،يكمل أحدهما الآخر، ويتغذى أحدهما على الآخر ،كما ينتعش التواصل بينهما، في إطار علاقة تفاعلية، تبادلية و دائرية * ، تستوعب التناقض في إطار التعقيد، وتؤمن بفكرة الاحتواء المتبادل بين الكل والجزء.[2]

وفي هذا السياق يؤكد **فيلسوفنا**،أن نجاح التربية في تعزيز أخلاق الفهم،سوف يفتح آفاقا واعدة لتواصل إنساني مثمر ،وسوف يساهم بشكل معتبر في رسم معالم الهوية البشرية المنشودة،وفي رحابهاتتخلص العلاقات الإنسانية داخل الكوكب الأرضي من كل مظاهر الوحشية والازدراء والتنافر.

سادسا: تعليم الهوية الكوكبية:

ينبغي على جهود التربية والتعليم حسب موران،أن تتوجه إلى تعليم فن العيش وجودة الحياة، ومن ثم الحصول على نموذج إنساني له خصوصيته المتسامحة المتفتحة، وهو مايخدم المطلب الحضاري للبشرية والمتمثل في تحقيق الهوية الكوكبية ،ولا شك أن تجسيد هذا الهدف في الواقع الثقافي والاجتماعي للبشرية، لايتوقف على الجهود التربوية في المؤسسات التعليمية فقط ،بل يجب أن تتبنى هذا الخطاب مؤسسات أخرى إعلامية واجتماعية وثقافية متفتحة لضمان فعاليته واستمراريته.

---

[1]– إدغار موران،تعليم الحياة، مصدر سابق، ص56.

*– تسمح العلاقة الدائرية بتبادل التأثير والتأثر بين الموضوعات وفق مبدأ التعقيد، على خلاف العلاقة الخطية الاختزالية التي تربط الأسباب بنتائجها بصورة حتمية وهذا ما ينتقده موران بشدة، وقد استعار موران هذا المبدأ من حقل العلوم المادية واستخدمه في مجال العلاقات الإنسانية والتواصل في مناخ التعليم.

[2]– إدغار موران ،النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية،مصدر سابق،ص349.

يرى إدغار موران أن الإنسان وبغض النظر عن جغرافيته وخصوصيته ، يتوجب عليه أن يعي الطابع الكوكبي لهويته المشتركة مع الآخرين* ،هذا ويعتبر المصير الكوكبي للإنسانية هو الموضوع الأكثر غياب عن برامج التعليم لذلك يجب أن يدرج ضمن الموضوعات الجوهرية للتعليم ،معرفة مستجدات العصر الكوكبي ،والاعتراف بالهوية الأرضية.[1]

وفي ذات السياق ينصح موران بضرورة تعليم تاريخ العصر الكوكبي الذي بدأ مع تواصل القارات فيما بينها إبان القرن السادس عشر(تأصيل الهوية المشتركة)،كماينبغي أن نبين مختلف صور التضامن والتداخل التي أصبحت عليها جميع مناطق المعمورة ، دون إغفال أنواع الهيمنة والاضطهاد التي دمرت ولازالت تدمر حتى الآن البشرية جمعاء،وعليه "يجب الإلحاح على الطابع المركب للأزمة الكوكبية التي ميزت القرن العشرين، لكي نبين كيف أن البشر يشتركون منذ الآن في نفس مشاكل الحياة والموت ،ويعيشون مصيرا مشتركا واحدا".[2]

كما يؤكد موران أيضا،على أن التعليم(خصوصا في مطلع القرن الواحد والعشرين)،يجب أن يتضمن معرفة (أنتروبو أخلاقية) بمراعاة الطابع المتعدد الأبعاد للشرط الإنساني وهي ثلاثية:(الفرد،المجتمع،النوع) ،ومايفترض أن يكون في هذه المكونات من

*–من النادر أن تجد في كتابات إدغار موران(بحسب اطلاعنا)، كلاما محددا عن هويات محلية أو عرقية،إلا أنه في كتابه تعليم الحياة يخصص جزءا معتبرا (وهو الجزء الأخير من الكتاب)،للكلام عن الهوية الفرنسية التي تكونت على حد قوله عبر ولادات متعددة وعبر قرون من الزمن،وتشكلت الأمة الفرنسية الكبيرة نتاجا لعمليات الاحتواء والإدماج والاستيعاب لهويات المقاطعات المختلفة بعيد الثورة الفرنسية ،وذلك بتاريخ 1790/07/14 ، بمناسبة إعلان ممثلي المقاطعات المدمجة عن رغبتهم في الانضمام للأمة العظمى ،وهو الأمر الذي استمر في فرنسا إلى اليوم، مع المهاجرين الأجانب من كل الجغرافيات والثقافات ،وقد تم التشريع له رسميا من طرف الدولة (تشريع الإدماج): إدغار موران، تعليم الحياة،مصدر سابق، الصفحة 143 ومابعدها.

[1]– إدغار موران، تربية المستقبل، مصدر سابق،ص 17.

[2]–المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

علاقة أخلاقية تبادلية،سواء بين الفرد والمجتمع في كنف الديمقراطية،أو بين الفرد والنوع الإنساني لتحقيق مايعرف بالتضامن الكوكبي [1]

ينبغي التوجه نحو **أخلاقيات للجنس البشري**،لأن الإنسانية في حقيقتها توحي بأن الجنس البشري هو واحد في كل أنحاء هذه المعمورة،بغض الطرف عن التمايز الفردي والاختلافات الثقافية المشروعة.ولا تنتعش العلاقات بين الجنس البشري والأفراد إلا من خلال المواطنة الأرضية.[2]

إن الترابط الكوكبي هو الحد الأدنى من المتطلبات المنطقية لعالمنا الصغير المترابط في علاقاته و المتداخل في مصالحه ،ومن الضروري ضمن هذا التشابك ،المطالبة بالمواطنة الكوكبية ،التي من شأنها أن تعطي وتضمن الحقوق الأرضية للجميع ،ورغم أن هذه الفكرة قد تبدو مثالية ،ولكنها ممكنة من وجهة نظر إدغار موران ،على أمل توفير جغرافية سياسية جديدة في كوكب الأرض لا تكرس مصالح الأمم والإمبراطوريات ،ولكنها ستكون لامركزية وتخضع لضرورات المصلحة المشتركة.[3]

وفي سبيل بناء عصر الحضارة الكوكبية ،يدعو إدغار موران إلى ترقية الحضارة الغربية التي باتت كوكبية في ثراءها كما في بؤسها فقد سيطر عليها عصر **الحديد الكوكبي** ،ولم تستفد من دروس التاريخ التي أكدت أن الرغبة في إقامة جنة الخلاص على الأرض باستخدام الوسائل الهمجية ،قد أفضى إلى بناء الجحيم، وتدمير المشروع الحضاري، وإفساد فرص تحقيق الأنسنة.[4]

---

[1]– إدغار موران، تعليم الحياة –بيان لتعليم التربية،مصدر سابق،ص142.

[2]– إدغار موران، أخلاقيات المستقبل وعلاقتها بالسياسة،ضمن كتاب جماعي: القيم إلى أين؟، إشراف جيروم بندي،تر: زهيدة درويش جبور و جان جبور ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس،ط 01 ، 2005 ،ص 367.

[3]– إدغار موران و آن بريجيت كيرن ، الأرض– الوطن،تر: سلمى دبجن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ط1، 2022، ص153.

[4]– المصدر نفسه، ص 145.

ينتقد روجيه غارودي السياسات التربوية الغربية التي توجهت وأفرطت في الاهتمام بتعليم العلوم التقنية على حساب الفنون والآداب والجماليات التي من المؤكد أنها ليست حكرا على الحضارة الغربية وحدها، بل هي إبداع إنساني متنوع بتنوع الثقافات والأزمنة، ومن شأن الإطلاع عليها وتعليمها للأطفال والجماهير كذلك ،أن يفتح آفاقا واعدة لحوار حضاري حقيقي ومتميز.[1]

وعليه يجب تعزيز الوعي بوحدة المصير وبالهوية المشتركة، ولا يمكن أن تكون الهوية البشرية المجردة وغير الفعالة، كافية وحدها لتوحد البشرية رغم أن الجميع يقر بها ويرفع رايتها، "بل الهوية التي تنبع من انتماءنا إلى كيان أمومي وأبوي، والتي تجعل كلمة الوطن ملموسة،وتحمل الإخاء إلى ملايين المواطنين الذين لا تربطنا بهم رابطة الدم".[2]

إننا نفتقر اليوم ،كما يضيف موران ،إلى تحقيق مجتمع إنساني ،لذلك من الضروري تعزيز الوعي بأننا أولاد **الأرض–الوطن** ومواطنوها، فللبشر جميعا الأجداد نفسهم لأنهم أولاد الحياة والأرض ، ويجب كذلك التمسك بالمواطنية العالمية الأرضية، حقيقة وليس تجريدا، وهذه المواطنية العالمية تعترف بكل تجذر عرقي أو قومي مبرر، بشرط أن يصاحبه تجذر عميق في الهوية الإنسانية الأرضية.[3]

الملاحظ أن مفهوم الأرض يتكرر كثيرا في نصوص موران، ويستخدمه في سياقات مختلفة،سياق سياسي في علاقة الفرد بوطنه،وسياق حضاري أخلاقي في توسيع مفهوم المواطنة لتصبح كوكبية متفتحة،وسياق آخر جغرافي أو بيئي لربط الإنسان بمحيطه البيئي الحيوي الذي يفسر تكوينه و يحدد مصيره ومستقبل هويته من خلال إدراك جوهر علاقته مع مختلف العناصر الحيوية في الكوكب الأرضي .

---

[1]–روجيه غارودي،في سبيل حوار الحضارات،مرجع سابق، ص159.

[2]– إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق،ص284.

[3]– المصدر نفسه، ص ص 284–285.

المطلب الثاني: في صور التواصل بين الإنسان والبيئة

تؤكد الرؤية المورانية في هذا الصدد على تجاوز الاختزال الموجود بخصوص علاقة الإنسان بالبيئة التي تحتضنه، والتي هي علاقة تضامنية، تحافظ على دورة الحياة بالنسبة لكل الكائنات الموجودة على الأرض، فلقد عالج موران المسألة البيئية،ضمن سياق فلسفة التعقيد، وفي إطار الأخلاقيات التطبيقية التي تلامس كثيرا من الجوانب العملية للإنسان ذو الأبعاد المركبة بيولوجية ونفسية وتاريخية وإنسانية ،وهي الرؤية التي تكشف عن حقيقة العلاقة التكاملية بين الإنسان وبيئته.

أولا: البيئة مفهوم شامل ومتكامل:

البيئة في اللغة من الفعل بوأ وتبوأ ،أي نزل وأقام.

والتبوأ، هو التمكن والاستقرار،وتشير البيئة أيضا إلى المسكن أو الموطن،الذي يتخذ فيه الإنسان منزلته ومعيشته،وما يكون بعد ذلك من ارتباط عاطفي بين الدار وساكنها.[1]

وقد جاء في القرآن الكريم،قوله تعالى:"والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم..".[2]

وتعرف البيئة أيضا،على أنها مجموعة العناصر الاصطناعية والطبيعية التي تحيط بالكائنات الحية(إنسان،حيوان،نبات) ،والتي تشكل منزلا ومسكنا لها،ومايؤثر في هذه الكائنات من عوامل وظروف محيطة،تتحكم في أحوالها ، وتوزيعها وطريقة عيشها،وبهذا المعنى يمكن

[1] –ويكيبيديا:.(wikipedia) ، بيئة ، على الرابط: https// :ar.m.wikipedia.org
تاريخ وساعة التصفح : 2024/05/04 7:59سا.

[2] – قرآن كريم ،سورة الحشر ،الآية 09 .

أن يكون للبيئة عدة مفاهيم ،كان نقول بيئة طبيعية ،بيئة حيوانية ،بيئة اجتماعية،بيئة ثقافية،بيئة تربوية،بيئة العمل...الخ.[1]

ومن هنا يمكن القول أن مفهوم البيئة شامل ومتنوع، فهو يتعلق من جهة بالمحيط الذي يضم مختلف الكائنات الحية والجامدة بما فيها الإنسان، والتي تعيش في وسط حيوي متكون من ماء وهواء ويابسة وكل عناصر الحياة الطبيعية التي لم يساهم الإنسان في وجودها،وما يحدث بين هذه العناصر كلها من علاقات وتأثيرات.

وهو من جهة أخرى يتعلق بالبيئة المصنوعة أو المشيدة،ويخص كل ما أضافه الإنسان للطبيعة من بنايات وهياكلوطرقات وغيرها،مستخدما العلوم والتقنيات المناسبة لذاك.

ونجد أن فيلسوفنا إدغار موران يتكلم عن البيئة بهذا المفهوم الشامل ،بمعنى تلك العلاقة المعقدة بين كل الكائنات التي تسكن الكوكب الأرضي،وما ينتج عن تدخل الإنسان على عناصر الحياة كلها،ونجده يستعمل في كثير من المرات مصطلح أرض،للتعبير عن البيئة نفسها،وأحيانا يستعمل عبارة الأرض–العالم..الخ، والتي يقصد بها المجتمع الإنساني العالمي المتصالح مع بقية العناصر في البيئة ككل.

ثانيا: صورة التكوين البيئي للإنسان(الإنسان كائن بيئي):

يمكن القول أن إدغار موران، واحد من دعاة الفلسفة البيئية الذين شخصوا الأزمة البيئية المعقدة وجذورها الفكرية والعلمية والثقافية ونبهوا على خطورة أدواتها السياسية الليبرالية والتكنولوجية ، وركزوا على ضرورة إعادة الاهتمام بمسؤولية السلوك الإنساني تجاه البيئة وعناصرها والتي ينبغي أن تكون مسؤولية أخلاقية ،مبدأها الحب والاحترام والتواصل وتأسيس سياسة للحضارة الإنسانية .

[1] –محمد مروان ،ماهي البيئة؟ ،موقع الموضوع الإلكتروني ،على الصفحة :https ://mawdoo3.com
تاريخ وساعة التصفح :2024/05/04 ،8:10سا.

تلتقي الهوية البشرية مع موضوع البيئة في سياق الرؤية التعقيدية التي يؤمن بها موران،وفي هذا الصدد يرى أن الفكر المركب هو فكر مبيأ(في علاقة عضوية مع البيئة)،بمعنى أنه لايفصل الذات الإنسانية عن محيطها الجغرافي أو الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي وغيرها.[1]

إن الإنسان هو عنصر متميز من عناصر البيئة ،وكائن له عضويته الخاصة وسط العناصر الكثيرة والمعقدة المكونة للبيئة بمختلف أصنافها وأقسامها، ويمكن أن نتصور تركيب هذا الإنسان ،مثل المثلث المتكون من ثلاثة أضلاع ،كل ضلع منه يكمل الآخر ،كما أن كل ضلع هو أساسي بالنسبة للآخر، وهكذا بالنسبة لتركيبة الإنسان في علاقته مع بقية المكونات البيئية سواء كانت مادية أو حية.[2]

يرى إدغار موران أن هذه التركيبة البشرية الثلاثية تشتملعلى ما يعرف بـ :

-التكوين العضوي أو البيولوجي،والتي تعني مختلف أطوار حياته ككائن حي ليس باستطاعته تعديلها أو تبديلها.

-التكوين النفسي أو السيكولوجي الذي ينفرد به الإنسان عن بقية الكائنات الحية ،وهو الذي يتعلق خصوصا بالهيئة المعنوية للإنسان ،والتي تساعد على بناء تركيبته الإيكولوجية وتحديد طبيعة سلوكه و تفاعلاته في النظام البيئي إيجابا وسلبا.

-التكوين البيئي الذي يحدد قيمة الخبرات الشخصية، والمهارات والقدرات الذهنية المكتسبة خلال مراحل النمو المختلفة ،والتي تمكنه من تحقيق ذاته عن طريق تكيفه مع بيئته الاجتماعية والطبيعية والحضارية على حد السواء،وفي هذا التكوين يعمل الإنسان على التوفيق بين النوعين السابقين، أي التوفيق بين الغرائز (التكوين العضوي)، والمشاعر

[1]-إدغار موران،هل نسير إلى الهاوية ،مصدر سابق، ص60.

[2]- إدغار موران، تحديات القرن الحادي والعشرين-تواصل المعارف العلمية- ج 1، تر:حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط،2001، ص347.

(التكوين النفسي). لتهيئة المجال من أجل التكيف مع مصالحه الخاصة والمصالح الاجتماعية داخل البيئة التي يعيش فيها.[1]

ينبغي أن نتوقف عن اعتبار الموجودات الطبيعية التي من حولنا، هي مجرد أشياء معزولة ليس لها تأثير إلا على مستواها المغلق،بل يجب أن نتعامل معها كمنظومات فاعلة متصلة مع بعضها بعض ،وموصولة كذلك بالعناصر الأخرى، في المحيط الحيوي الذي تعيش فيه، ونفهم أن هذا التواصل هو جزء من طبيعتها ونظامها المعقد.[2]

يؤكد إدغار موران على ضرورة التواصل مع موضوعات البيئة،وذلك عبر إدراج علم البيئة كمادة كاملة متكاملة في البرامج التعليمية لمختلف أطوار التعليم، فمن شأن هذه البرمجة أن تمكننا من الفهم العميق للعلاقة المتجذرة التي تربط الطبيعة بالثقافة، وبين الإنسانية والحيوانية،هذه العلاقة التي أهملت في ظل العقيدة اليهودية –المسيحية،التي اعتبرت أن الطبيعة خلقت مسخرة لخدمة الإنسان،وهذا الأخير خلق على صورة الله يبسط يده على الكون كيفما شاء،ثم امتدت هذه الثنائية المقيتة إلى الحضارة الراهنة،والتي استلهمت من ديكارت تلك العلاقة الانفصالية التي تنصب الإنسان سيدا على الطبيعة ومالكها،وانطلاقا من القرن العشرين،عملت الحضارة الغربية المتوحشة على إفساد عناصر الحياة في الأرض،وأفسدت معها المدنية التي أنتجت هذا الفساد بدورها.[3]

يعترف إدغار موران،بأنه استلهم كثيرا من الأفكار المنيرة في موضوع التواصل مع البيئة ،من الفيلسوف والكاتب والأديب الفرنسي جون جاك روسو **Jean-Jacques Rousseau(1712-1778)**،الذي يصفه بكونه يملك حساسية فائقة،وقوة إبداعية مذهلة،خاصة وأنها قوة مستقلة ذاتيا،أي أنه علم نفسه بنفسه،وتوصل إلى قناعة أن

[1]– إدغار موران، تحديات القرن الحادي والعشرين، ج1 ،المصدر نفسه، ص ص 347– 349.

[2]– إدغار موران ،تعليم الحياة، مصدر سابق، ص118.

[3]–المصدر نفسه ، ص119.

الإخلاص مرادف للحقيقة،وأنه قدم لنا كما يضيف موران،عقيدة سياسية حديثة تكشف عن عمق العلاقة بين الإنسان والطبيعة،باعتبارها فكرة أساسية و مركزية،وكلية حيوية،إذ يجب على الإنسان أن يتصالح مع الطبيعة وينسجم معها،ويعمل على اكتشاف العلاقة المبهمة المفقودة معها،وهذا ما وصفه موران،بإعادة اكتشاف طبيعتنا ذاتها،وهي فكرة عظيمة،وحديثة لم تكن موجودة عند الفلاسفة الذين عاصروا روسو في ذلك الوقت.[1]

ولشدة تأثره بالفيلسوف روسو، يؤكد إدغار موران، بأن كتابه" النموذج المفقود" le paradigme perdu ، قد كتب بروح خطاب روسو حول الطبيعة،لأنني كما يقول موران عن نفسه،كنت أبحثمن خلال إنجازات الأنتروبولوجيا،إلى عصور ماقبل التاريخ،وعلم السلوك،لفهم"النموذج المفقود" من الطبيعة البشرية، ويعني ذلك ،مثلما يوضح أنه يبحث عن الرابط الذي يوجد داخل الإنسان،ويربط بين الطبيعة والثقافة بشكل لا ينقطع،ولا شك أن هذا الرابط،يختفي ولايظهر في وجود نظام معرفي مجزأ واختزالي،لايؤمن بالتواصل بين العلوم البيولوجية والعلوم الإنسانية.[2]

إن التكنولوجيات الحديثة وتطبيقاتها، وفق رؤية إدغار موران ،لا تهدد حاضر الإنسان والبيئة فقط، بل تهدد مستقبل الحياة في كوكب الأرض، ولهذا كثيرا ما نجده يناقش هذا الموضوع في سياق مأزق العلاقة البشرية مع الطبيعة ،ومايرتبط بذلك من دوافع ليبرالية وانزياحات أخلاقية.

[1]- Edgar Morin ,Mes Philosophes, op.cit. ,pp 67-68.
[2] -ibid., p68.

المطلب الثالث: الثقافة والانبثاق الهوياتي:

أولا–مفهوم الثقافة: ورد في موسوعة لالاند الفلسفية،أن كلمة ثقافة ***Culture** ،بصفة عامة تشير إلى ميزة الشخص المتعلم الذي طور ذوقه وحسه النقدي وحكمه عن طريق هذا التعلم.

أما بالمعنى الأضيق للكلمة،فالثقافة هي نتيجة لتطور بعض الملكات الخاصة بالعقل أوالجسد، بالتزام نمط معين من التدريب الملائم كالرياضة البدنية وغيرها ،ورغم أن المعرفة هي شرط أساسي للثقافة ،إلا أنها ليست الشرط الكافي لها ،فهناك عوامل أخرى تتحكم في ذلك مثل العوامل النفسية.[1]

تتمثل الثقافة عند إدغار موران، في ذلك الموروث الاجتماعي للإنسان، والذي يطوره ويضيفه للطبيعة ،إذ لا وجود للثقافة حسبه،إلا من خلال الصور الثقافية التي تتكون وتنتشر في المجتمع البشري،من الماضي إلى الحاضر،والثقافة هي التي تميز هذا المجتمع عن غيره كما أن الثقافات المتنوعة تغذي الهويات الفردية والاجتماعية،بما تحمله من خصوصية،ولهذا قد نجد أن بعض الثقافات قد تبدو غير مفهومة سواء إزاء بعضها البعض،أو في مقابل الثقافات الأخرى،لذلك تصبح العلاقة بين وحدة الثقافات وتنوعها أمر جوهري.[2]

أما الانبثاق(Fulguration) ، فهو لفظ مستوحى من المعنى الذي أطلقه (ليبنتز) على هذا المصطلح،والذي يقصد به،الطريقة التي تتم بها عملية إبداع المونادات (Monades)وعلاقتها بالجوهر الإلهي ،فالله وحده هو الوحدة الأولى ،أو الجوهر الأصلي الذي تحدث عنه المونادات المشتقة والمتولدة عن عملية انبثاق إلهي متصل،وهوقول يخالف فكرة فيض الوجود من الله فيضا ضروريا معقولا،كما قال ابن سينا وغيره،ويختلف أيضا عن

---

* –من اللفظ اللاتيني coltura أو cultura ،وفي الاصطلاح الألماني تكتب : Kulture وتستخدم مرادفة لكلمة حضارة ،أندري لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ، مرجع سابق ،ص 241.

[1]– أندري لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ، مرجع سابق ، ص 241.

[2]–إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية،مصدر سابق، ص80.

فكرة الخلق من لاشيء أو العدم، إنه يشبه الإشعاع الذي يتيح "لبعض الممكنات أن توجد،وأن تستمر في الوجود،وفقا للقوانين الكلية التي سنها الله بمحض إرادته".[1]

ثانيا- الثقافة وملامح الهوية المتكاملة عند إدغار موران:

إذا كانت القوة الصناعية قد بسطت سيادتها على الكرة الأرضية في بداية القرن العشرين،وذلك عند اكتمال استعمارها لإفريقيا،والاستيلاء على آسيا ،فإن هناك قوة صناعية ثانية ،أو استعمار ثان،سلاحه هي الصور والأحلام التي تقتحم محميتنا الكبيرة التي هي النفس البشرية،وهذا الاستعمار الجديد هو الاستعمار الثقافي بمختلف أدواته وطرائقه،وأهدافه،لايستهدف الجسد بقدر مايستهدف الروح الإنسانية.[2]

لقد كانت إفريقيا أرضا خصبة للعديد من الإنتاجات والنشاطات الثقافية الغربية، في دور السينما وأفلامها الغزيرة والمتنوعة،زيادة على برامج الراديو والتلفزيون والصحف، وكل الوسائل السمعية والبصرية التي أخذت تتقدم بشكل متسارع خلال القرن العشرين،وتفعل فعلتها في الداخل الإنساني،وتصب في جعبته سلعا ثقافية متنوعة ،من كلمات ساحرة ،وقصصا أسطورية ،وموسيقى،هذه السلع الجديدة التي هي أكثر السلع إنسانية، بحكم أنها تبعث في النفوس أنواع الحب والمخاوف والتخيلات وغيرها.[3]

1-ميثولوجيا الثقافة الجماهيرية:

بعد الحرب العالمية الثانية،استخدم السوسيولوجيون الأمريكيون مصطلح الثقافة الجماهيرية* ،للتعبير عن تلك الثقافة المنتجة وفق المعايير الكثيفة للعمل الصناعي ومروجة

[1] -جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ج2 ،مرجع سابق ،ص143.

[2]-إدغار موران، روح الزمان ،ج1 -العصاب،مصدر سابق ،ص11.

[3]- المصدر نفسه،ص12.

*-تختلف الثقافة الجماهيرية المفتوحة الحرة والمروجة بشكل واسع،عن ثقافة الإنتلجنسيا أو الثقافة النخبوية الأرستقراطية،الموجهة والنمطية.

بتقنيات نشر واسعة،سميت بوسائل الإعلام الجماهيرية،تستهدف جمهرة اجتماعية عملاقة،متجاوزة لكل التنظيمات الاجتماعية الطبقية أو الأسرية.[1]

تختلف الثقافة الجماهيرية ،عن الثقافات الأخرى،كالثقافة القومية والثقافة الدينية وغيرها،وهي مع ذلك تتنافس معها،وتندمج وتتكامل في واقع متعدد الثقافات،بحيث يمكنها أن تتأثر بالثقافات الدينية أو القومية أو الإنسانية ،وفي المقابل يمكنها أن تؤثر بدورها على هذه الثقافات،وهي وإن كانت ليست الثقافة الوحيدة في القرن العشرين،إلا أنها تيار جديد وكثيف وفاعل في هذا القرن،ورغم أنها ولدت في الولايات المتحدة الأمريكية،بعيد الحرب العالمية الثانية،فإنها سرعان ماانتقلت إلى أوروبا الغربية وتأقلمت هناك،وانتشرت بعد ذلك رياحها في كل الكرة الأرضية،فكانت ذات رسالة كونية قدمت للعالم أول المسائل الثقافية العمومية في تاريخ الإنسانية.[2]

ورغم أن الثقافة الجماهيرية كانت نتاجا للتقنيات الحديثة التي أخرجتها لواقع التأثير السينمائي،وإحلال الصور محل الأجساد ،إلا أنها وفي الوقت نفسه، ثورة ضد عالم العلاقات المجردة والتشيؤ،ونزوع نحو الخيال والتماهي،فهي تؤنسن البشرية بالتقنية ضد التقنية، بفضل إعمارها للعالم التقني،بالصور والموسيقى،والحضور العاطفي المفعم بالسعادة والحب.[3]

تتوجه الثقافة الجماهيرية بنداءها إلى الاستعدادات العاطفية لإنسان عالمي،متخيل قريب من شخصية الطفل،وشخصية الإنسان البدائي،ولكنه حاضر دوما في شخصية الإنسان الصانع الحديث،إذ أن أحد المباديء الكوزموبوليتية للثقافة الجماهيرية،هو فعلا عالمية الأصل المشترك للدماغ البشري، وعالمية الإنسان الخيالي.[4]

---

[1]- إدغار موران، روح الزمان،ج1 –العصاب، مصدر سابق،ص12.

[2]-المصدر نفسه ، ص14.

[3]- المصدر نفسه، ص195.

[4]- المصدر نفسه،ص184.

تحمل الثقافة الجماهيرية نماذج ثقافية في كل الميادين،كطريقة اللباس والكلام،والعلاقات العشقية، والجمال والإغراء وفن الحركة وطريقة العيش،ونماذج عاطفية وعملية للشخصية الإنسانية التي تتكيف وتتعايش مع هذه الصور الثقافية التي شكلتها حركة الحضارة التقنية الهائلة،والتي تعمل على تعميم هذه القيم الثقافية على المستوى العالمي.[1]

لاشك أن الانتشار العالمي أو الكوني للثقافة الجماهيرية،هو في حد ذاته تمجيد لنموذج الإنسان الحديث الذي يتعمم عالميا،ويتطلع إلى حياة أفضل، ويطمح لتحقيق سعادته الشخصية، ويرسخ القيم العليا لهذه الحضارة الجديدة، والثقافة الجماهيرية تعمل على التوحيد بين هذين العالمين (عالم العاطفة الانفعالي،وعالم الحداثة التقني المادي)،وهو مؤشر واضح عن مستوى التأثير والانتشار العالمي الثقافة الجماهيرية.[2]

مباشرة بعد مرور النصف الثاني من القرن العشرين ،دخل العالم مرحلة ثالثة (بعد الاستعمار العسكري والثقافة الجماهيرية)، حيث تغيرت بعض ملامح الثقافة الجماهيرية ،وتراجعت السينما عن اعتلاء عرشها الريادي،فلم تعدالصناعة الثقافية مع ذلك، تستهدف وسائل الاتصال الجماهيرية واسعة الانتشار،وتحولت إلى صناعة ترويج وإجازات،وسمحت الميثولوجيا الفردية الخاصة ببناء طوباويات مشخصة،وانفتاح أعمال مغمورة،ذات الإمكانيات المتواضعة ،بينما تراجع اهتمام الثقافة الجماهيرية بمشاكل الحياة الخاصة،كالحياة الزوجية والجنس وغيرها.[3]

حسب إدغار موران،فإن بداية التراجع الفعلي لميثولوجيا الثقافة الجماهيرية،يعود لستينيات القرن العشرين،حيث ظهرت أزمة الإقبال على النشاطات السينمائية،إذ أن هذه الأخيرة وقعت في منظومة الإنتاج والتوزيع ،وصارت تبحث بإسهاب عن إنتاجات كبيرة

---

[1]– إدغار موران، روح الزمان،ج1 –العصاب، مصدر سابق.ص184.

[2]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3]– إدغار موران، روح الزمان، ج2–النخر، تر: أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق د ط ،1995، ص329.

عملاقة،على الشاشة الكبيرة ،بكبار النجوم والإخراج المتميز،مخصصة لذلك دعاية كثيفة على حساب الفني في حد ذاته.[1]

في مقابل ذلك فقد نجح قسم من الأنتلجنسيا(النخب الثقافية)، في استغلال منتجين مغمورين،وتجسيد أعمال فنية(أفلام)،بميزانية ضعيفة ،ودون نجوم،مما جعل هذه الأعمال تفتقد بريقها،وتأثيرها الاجتماعي والجمالي،وهو الشيء الذي أثر على مسألة السعادة وسحر المنتجات الثقافية في النفوس.[2]

عن سبب تحول الثقافة الجماهيرية يرى إدغار موران،أن ذلك يعود إلى كونها، تواجه المجتمع الصناعي الرأسمالي الذي ينتجها،والحضارة البورجوازية الحديثة التي ساهمت في رواجها،وعلى رأي الفيلسوف الاجتماعي الألماني كارل ماركس Karl Marx (1818 -1883)، صاحب فكرة الديالكتيك المادي التاريخي،فالمنتج يخلق المستهلك،وهولايخلق فقط موضوعا للذات،بل يخلق أيضا ذاتا للموضوع، وبهذا وجهت الثقافة الجماهيرية لخدمة ثقافة البورجوازية الحديثة ،وتنمية الصناعة الرأسمالية.[3]

2-السينما وصناعة الأساطير:

تعمل الثقافة عموما، والصناعة السينمائية خصوصا، على تنمية بعض الإمكانيات البشرية وكبح أخرى أو تحريمها،على حسب تغير الوقائع الثقافية وتمايزها عبر العصور والمجتمعات، وهي تتولى أيضا عملية تأليف جسم معقد من الرموز والأساطير والصور التي تنفذ وتخترق الفرد في خصوصيته، وتبني الغرائز وتوجه الانفعالات والخيال البشري، من خلال عمليات تماه عقلية ونفسية، وإسقاط على الشخصيات الأسطورية أو الواقعية التي تستهدفها إبداعات السينما، بالسعي لتجسيد قيمها أو تمثلها، وهي القيم التي تستقطب أو تستلهم (بضم التاء في الكلمتين)، من الأبطال التاريخيين أو الآلهة وغيرهم، لتوفر الصناعة

[1]-إدغار موران، روح الزمان،ج2-النخر، مصدر سابق،329.

[2]-المصدر نفسه، ص ص329-330.

[3]- المصدر نفسه، ص 333.

السنمائية بعد ذلك، **نقاط استناد خيالية للحياة العملية،ونقاط استناد عملية للحياة الخيالية فهي تغذي الكائن النصف واقعي والنصف خيالي الذي يعززه كل فرد داخل ذاته".**[1]

يعتبر إدغار موران أن السينما،هي مادة للدرس ولتمثل الأفكار،لذلك فهو يدعو إلى إعادة ربط منظومة السينما بالسياسة التربوية التي تلتزم بفهم الشرط الإنساني، وتعمل على إعادة تربية إنسان متفتح و متفهم للآخر، وتجاوز تلك الصورة النمطية التي نأخذها عن السينما،من كونها فضاء لاستيلاب المتفرجين،وتخذير عقولهم ،وإبعادهم عن الواقع،ورغم مافي هذا الكلام من صحة نسبيا،ولكن ينبغي الاعتراف بالدور الآخر للسينما،وهو فكرة التماهي مع أبطال وشخصيات الفيلم المعروض،وهذا ما ينمي فينا مشاعر الانفتاح على الآخرين،والتواصل الوجداني معهم ،وهذا ما يمكننا أو يعيننا في فهم أنفسنا.[2]

تعرض الشاشات السينمائية والتلفزيونية،أفلام ومسلسلات عديدة،تتحدث فيها عن قضايا و مشاكل الحياة الإنسانية المعقدة،مثل الحب والبؤس والطموح والخيانة والغيرة،والاجتماع والمصادفة والفراق...الخ،وهذا مايشكل لدى المتابعين هروبا من الواقع ،يدفعهم لتمثل تلك التجارب الحياتية والمشاهد، مشاعريا ووجوديا،فالأفلام والقصص التراجيدية الحزينة على سبيل المثال ،تجعل المشاهدين كما يصف موران، يغوصون في أعماق (كهوفهم الداخلية)، ليستحضروا مافيها من مشاعر العنف والكره والبربرية،كما قد تمنحهم رغبتهم في المغامرة،نفحات خيالية تدفعهم للانطلاق ،وبهذا تغير الأفلام مافي الحياة من بشاعة،ويتحقق فيها ماهو محال،ولكن في عالم المتخيلات ،أي من دون خطر،وبهذا يجد الإنسان في عالم السينما أو التلفزيون،طريقة للهروب من الواقع والالتحام الآمن معه في ذات الوقت.[3]

يؤكد إدغار موران هذه الفكرة في كتابه "**نجوم السينما**" ،حيث يقدم وصفا متميزا لنجوم عالم السينما، بأنهم أنصاف آلهة وأنصاف بشر،وهؤلاء الأبطال يتطلعون في مواقفهم

---

[1]– إدغار موران، روح الزمان،ج1 –العصاب، مصدر سابق،ص13.

[2] –علي سفر،إدغار موران،السينما كمادة للفلسفة واختراع المستقبل ،مرجع سابق .

[3]–إدغار موران، النهج –إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق، ص ص164–165.

وتصرفاتهم المتخيلة (الأسطورية)،إلى وضع الآلهة،فيسعون إلى تخليص البشر من بؤسهم اللامتناهي،وهكذا يشكل النجم البطل،الإنسان الفاني وهو في سيرورة التأله التي تضفي عليه القدسية،وتصنع منه صنما يعبده الجماهير.[1]

وهكذا تسهم السينما حسب موران، بوصفها عملا متميزا من الأعمال الثقافية، في طبع هذه الشخصية الإنسانية المركبة التي تجمع بين الخيال والواقع، في تناغم مستمر،يعبر عن تعقد الظاهرة البشرية.

ودائما بخصوص تأثير الإبداع الثقافي السينمائي على الهويات، يضيف موران،بأن أبطال الأفلام هم أبطال المغامرة والهزل والنجاح والحب والمأساة،وهم إلى حد ما، أبطالا بالمعنى التأليهي للأساطير، فالنجم هو الممثل الذي يضخ جزءا من الجوهر البطولي،أي المؤله والمؤسطر لأبطال الأفلام، وفي مقابل ذلك وفي الوقت ذاته، هو الذي يثري هذا الجوهر بشيء مما يخصه، بمعنى أنه يضفي لمسته الإبداعية وموهبته وقدراته الفنية على شخصية البطل.[2]

هذا ويعمل الإعلام الصحفي(ومختلف وسائل الإعلام)*، على إيجاد واستهلاك كبير لنجوم على نموذج أبطال السينما، والنجوم هم شخصيات مفردة، مبنية ومقننة، في الوقت نفسه ،بحيث تعبر كهنوتيتهم،على هذا التناقض الأساسي بالصورة المثلى، ولعل ذلك من الاختصاصات المهمة في عملية صنع النجوم.[3]

---

[1]–إدغار موران، نجوم السينما ، إبراهيم العريس،المنظمة العربية للترجمة،بيروت، ط01 ،2012 ، ص48.

[2]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها .

*–لم يشر إدغار موران إلى وسائل الإعلام المتطورة كالأنترنت وغيرها،ذلك أن الإطار الزماني الذي كتبت فيه هذه النصوص(ستينيات القرن العشرين)، لم يعرف حضور وقوة تأثير هذه الوسائل، مثلما نعرفها اليوم ،وقد كانت محل ذكره ونقده في مؤلفاته المتأخرة.

[3]– إدغار موران، روح الزمان،ج1 –العصاب، مصدر سابق ، ص32.

3- الحياة الشعرية كتعبير عن تعقد الكائن الإنساني:

يقدم إدغار موران تصورا متكاملا للذات الإنسانية،فهي تجمع بين الحالات الشعرية والنثرية كما يطلق عليها، و كان النثر يتناسب مع وضعيات الجد والأنشطة الروتينية الإلزامية في الحياة،فإن الشعر يتوافق مع اللحظات الإبداعية والاحتفالية،والمشاركة الوجدانية وغيرها،وبقدر ماتتعاقب هذه الحالات فهي تتشابك وتتحاور وتتناوب في الحياة ،ولا معنى لحياتنا دون كليهما معا،والتعبيرعن إمكانيات البشر الشعرية يزيد من جمالية العيش في حد ذاته.[1]

إن الحالة الشعرية كما يسميها إدغار مورن،والمفعمة بالجماليات،تنقلنا من الوضعيات العقلانية التافهة،إلى وضعيات إنسانية ننسجم فيها مع الغير وتتطابق فيها ذواتنا،ونعيش معهم نشوة و حماسة التواصل،وهذا مايخلق عندنا مشاعر الرضا، والمعبرة بدورها عن تغير كياننا الداخلي ومن ثم تغير العالم من حولنا.[2]

يتم التعبير عن الحالة الشعرية بطرق مختلفة في الحياة، كالأشعار والقصائد بمختلف فنونها وألوانها،والاحتفال والرقص والموسيقى، والضحك،باعتبارها لحظات جميلة من الوجود،زيادة على مراسيم العبادات وترديد الأناشيد وممارسة الطقوس التقليدية،وألعاب السيرك وغيرها، كما أن هناك طريقة الانتشاء واللحظات الشعرية الناتجة عن تناول المشروبات الروحية والمخدرات بأنواعها، والتي اعتبرت في المجتمعات القديمة، ولا تزال محببة في الكثير من مجتمعاتنا المعاصرة كوسيلة من وسائل الانتشاء والارتعاش الفريدة.[3]

تختلف اللغة الشعرية عن لغة الحياة العادية، فهي لغة إيحائية ،غير مباشرة، فهي تستخدم أسلوب الاستعارة والمجاز والتشويق والإثارة،التي ترافق حياتنا العاطفية الانفعالية،

---

[1]- جون فرانسوا دورتيي، حوار مع إدغار موران حول تغيير الحياة، مرجع سابق.

[2]- إدغار موران ،النهج -إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق، ص ص 164-165.

[3]- المصدر نفسه، ص166.

بينما تعتمد اللغة النثرية لغة مباشرة،ومفردات محددة ترتبط بالنشاط الروتيني و العقلاني – المنطقي–التقني للإنسان.[1]

وتعتبر الرواية فن من الفنون الراقيةالتي يتم التعبير من خلالها عن الحالات الشعرية،حسب ما يذكر إدغار موران ،فزيادة عن فن السينما والمسرح والموسيقى وغيرها،فإن الرواية لا تزودنا بالشعور الجمالي فقط،بل تمدنا بالمعرفة أيضا ،فالمعرفة البليدة أو الجافة،تجعلنا غير مبالين بها ،ولانهتم لها كثيرا،بينما يمكنناإتقان التعلم والتحكم في معارفنا إذاكانت تتخللها المتعة والذوق والعاطفة،وهو ما يوفره العمل الروائي للقراء . [2]

إننا نكتشف عالم الإنسانية في ذواتنا، كما نكتشف العالم الإنساني الخارجي من حولنا،من خلال السحر الجمالي التي توفره الرواية،حيث يتم نسج الخيال من الواقع،ونسج الواقع من الخيال،ويتغذى أحدهما على الآخر في النص نفسه ،ومن خلال عولمة الأدب والفن،فإن حساسيتنا الفنية وذوقنا اتجاه الثراث الفني الضخم والمتنوع في العالم ،سوف يرتقي إلى ضفاف الكونية التي تجعلنا نتفتح على مشاعر الآخرين وعلاقاتهم،وانماط عيشهم،وصراعاتهم وتناقضاتهم..الخ،وهو مايزيدنا فهما للهوية الإنسانية المشتركة عموما.[3]

رغم أن العقلانية كما يضيف موران ،هي التي تسمح بجعل العالم الخارجي أكثر موضوعية من أجل تسهيل فهمه وإدراك علاقاته ،إلا أن الحياة العقلانية والتقنية والنفعية الخالصة وحدها ،هي حياة تشبه الجنون، ولايمكن تصور مآلاتها وقساوتها، فبعيدا عن حياة الآلة والنشاط التقني الروتيني، يسعى الكائن الإنساني باستمرار،لحياة الرقص والسحر والطقوس المختلفة، وترديد الأشعار والقصص الأسطورية،ليس لمجرد الاسترخاء لاستعادة النشاط واستئنافه في الحياة العملية النفعية، وإنما هي وضعيات إنسانية ضرورية في حياة

[1]–إدغار موران ،النهج –إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق ،ص165.

[2] – إدغار موران، في الجماليات، تر: يوسف تيبس، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، د ط ،2019،ص100.

[3] – المصدر نفسه ، ص ص 100– 101.

الكائن الإنساني،وعليه يؤكد إدغار موران على عدم اعتبار الإيمان بالآلهة* والطقوس الدينية،مجرد خرافات وأوهام،فالإيمان بها له جذوره التاريخية العميقة ،إذ أن هناك علاقة واضحة وخفية في الوقت نفسه،بين الحالات العاطفية الباطنية،والأسطورة والسحر والدين والمتخيل، والجماليات واللعب والشعر،وهذا مانسميه بتناقض الإنسان العاقل–المجنون،الذي يحمل في ذاته الواحدة، مشاعر متناقضة ولكنها لازمة لكينونته البشرية،وحياته الشعرية.[1]

هناك حلقة كبيرة في حياة الكائن الحي ،تربط بين العاطفة والغريزة والعقلانية و الأسطورة الجمالية واللعب والإسراف والمتخيل ،وفي هذه الفسحة ،يعيش هذا الكائن حياته المتقلبة والمتنوعة،تتناوب عليه حياة النثر تارة ،وحياة الشعر مرة أخرى، ولايمكن استبعاد أحدهما من الحياة،وعن ضرورة الحياة الشعرية بالنسبة للكائن الإنساني،صرح موران أن حرمان الإنسان من الشعر كحرمانه من الخبز،فكلاهما مميت ولكن بطريقة مختلفة.[2]

يؤكد موران،أنه لا يبحث في فلسفته ولا في حياته الشخصية عن السعادة، بقدر ما يبحث عن شعرية أو شاعرية الحياة**(La poésie de La vie)** ومن هذه الشعرية،أن تكون في منتهى الاندماج والتبادل العاطفي مع الأشخاص الذين تحبهم،ومع المجتمع الذي تنتمي إليه،وبهذا يمكنك تحقيق السعادة التي ترجوها.[3]

*–غالبا مايستخدم إدغار موران مصطلح آلهة وليس (إله) أو (رب) ،مثلما هو متداول في الأديان السماوية التوحيدية، وربما يعبر هذا عن بعض الأقاويل، (لم نتأكد من صحتها)،والتي تصنف إدغار موران على أنه يعتنق الديانة البوذية.

[1]– إدغار موران ،النهج –إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر نفسه،ص172.

[2]– إالمصدر نفسه،الصفحة نفسها .

[3]– حوار مع إدغار موران حول السعادة، الرابط على شبكة الأنترنت: https://m.facebook.com/story.php

تاريخ وساعة التصفح :2023/05/11 ، 9:25سا.

المبحث الثالث: إتيقا الهوية –رؤية مورانية:

تنفتح الهوية الإنسانية عند إدغار موران، على أهداف أخلاقية وحضارية وجمالية حيث تتصدى الرؤية المورانية للجدل القائم حول هذه المسألة ،ومدى قدرة الذات الإنسانية في استيعاب التناقضات والتحديات التي تواجهها على المستوى الإتيقي، في مجالات الحياة المختلفة والمعقدة، سواء كانت بيئية أو فنية أو إنسانية بصفة عامة.

المطلب الأول:الهوية في رحاب الجماليات :

إن جودة الحياة والحرص على جمالياتها من صميم انشغالات الفيلسوف الفرنسي إدغار موران، حيث لا تكاد تغيب هذه المسألة في أغلب منجزاته الفكرية ونصوصه المختلفة، وذلك في سياق رؤيته الفلسفية العميقةالتي تتجه إلى بناء تصور شامل لسياسة حضارية في إطار التواصلالإنساني والتكامل المعرفي .

يؤكد موران على ضرورة تنمية الشعور الجمالي من خلال ما يعرف بالتربية الجمالية التي تمكننا من رؤية وتذوق الحسن الذي يكتنف البيئةورونقها ،وتجعل الإنسان ينفتح على سحر الطبيعة دون أن يعتقد أن هذا العالم الجميل خلق فقط لإمتاعه هو دون غيره! ،مع أن تغريد الطيور،كما يصور فيلسوفنا، ورقص الحشرات، وركض الخيول ،وانفتاح الأزهار وقفز الحيوانات ،وبهاء الرمال ومتعة المياه، هي صور للإمتاع في ذاتها ،لا تخص الإنسان وحده إنما تزيد في شاعرية الكون وجذبه[1].

تلعب الجماليات دورا بارزا في فهم الأفراد المنتمين للعصر الكوكبي لبعضهم البعض ولا بد من ترسيخ ذلك كما يؤكد موران عن طريق التربية على سلوك الجماليات وفي كل الأطوار الدراسية (وحتى خارج المناخ المدرسي) ،فالاعمال الفنية العظيمة التي تفرض ذوقها

[1]– إدغار موران، في الجماليات، مصدر سابق، ص ص18–19 .

على الجميع،تخترق الحواجز التاريخية والجغرافية ،وتعبر القارات والأوطان، وهذا ما يمكن البشرية من فهم بعضها لبعض،فتتقلص بذلك أسباب التنافر وتزيد فرص التقارب الهوياتي.[1]

إن المسؤولية الأخلاقية اتجاه البيئة ومقدراتها كما يتصورها موران،تقع على كل أفراد الجنس البشري ،باختلاف جغرافيتهم وهوياتهم،لذلك وجب على الجميع اتباع سياسة تربوية رشيدة، تراعي ضرورات الأمن الاجتماعي والحماية البيئية كما يجب تقييد كل النشاطات التي تؤدي إلى تسمم الحضارة الإنسانية .[2]

كما أن تعليم سياسة للحضارة من شأنه أن يحقق جودة التعليم في حد ذاته ، تعليم يعزز الثقافة الاستهلاكية المتوازنة للبشر،ويغرس في النفوس آداب وجماليات الفعل السياحي، الذي يمكن من الاستمتاع بالسفر والتمتع بالمناظر الطبيعية المختلفة وبالثقافات المتنوعة.

وعليه فالسياسة الإيكولوجية الجديدة تتطلب عملا تشاركيا بين مختلف مؤسسات الدولة والجمعيات المدنية والمواطنين المتعاونين في هذا الصدد،من أجل تحقيق ما يعرف في علم الاجتماع بـ:**الحوكمة الاستشارية (Gouvernance de concertation)**، والتي تهدف إلى خلق الوعي بالمشكلات البيئية وبالتالي الوعي بالمشكلات الحضارية.[3]

ينبغي إعادة التفكير في العلاقة التي يقيمها الإنسان مع بيئته الشاملة التي هو جزء منها، علاقة قوامها التواصل والحب والحوار،بديلة عن علاقات القهر والتسلط والاستغلال الهمجي، لعناصر الحياة في الكوكب الأرضي، و الإنسان في الأخير هو كائن من كائنات

[1]–إدغار موران، في الجماليات ،مصدر سابق ،ص103.

[2]-Edgar Morin,l'entrée dans L'ere écologique ,éditions de L'aube ,France,2020 ,p18.

[3]- Ibid .

الطبيعة، وليس هو الكائن الوحيد الذي يستحق فيها العيش بسلام،فله حقوق مثل ماعليه واجبات،وله مسؤولية كوكبية على كل عناصر الحياة حاضرا ومستقبلا .[1]

يمكن للجماليات أيضا، أن تلعب دورا راقيا و متميزا في فهم الذوات الإنسانية لبعضها البعض في زمن العصر الكوكبي، ولابد من تعزيز هذا الدور عن طرق التربية الجمالية التي تقوي عملية الفهم الإنساني وترسخه أيضا،ذلك أن الأعمال الإبداعية العظيمة عابرة للأزمنة والبلدان والقارات، وكل جهد لتذوقها و تأصيل رسائلها في أنفسنا، هو مفتاح لفهم بعضنا البعض.[2]

عند مشاركتنا الجمالية للآخرين، ومن خلال تنمية القدرة على التعجب والإعجاب بأعمالهم الإبداعية،نكون في وضعية وجدانية أفضل لتحقيق عملية الفهم الإنساني، وذلك بالتعبير عن أفضل مافينا من مشاعر،ولا شك أن هذا الأمر مفيد للجميع.[3]

المطلب الثاني: الهوية وأخلاقيات العيش المشترك:

إضافة لما سبق التنويه عليه بخصوص الدور الحضاري والإتيقي للتربية، يضيف إدغار موران أنه يجب تجسيد سياسة تربوية لجودة الحياة، وهذه السياسة* تفيد في تحسين التواصل مع الغير والمشاركة العاطفية والودودة ،وحتى إذا لم تتمكن هذه الأخيرة من تحقيق

[1]– عبد الغاني بوالسكك،الفلسفة البيئية وأخلاقياتها ،ضمن كتاب جماعي:الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، إشراف وتنسيق خديجة زتيلي،مكتبة مؤمن قريش،لبنان ، الطبعة 1، 2015، ص ص 176–177.

[2]– إدغار موران، في الجماليات،مصدر سابق ،ص103.

[3]– المصدر نفسه،ص108.

*–نعتقد أن مصطلح السياسة هنا لا يشير إلى السلطة السياسية بالضرورة ،وإنما إلى كل منظومة تخطط وتضع برامج واستراتيجيات التغيير التربوي والثقافي والحضاري على المديين القريب أوالبعيد، سواء كانت مؤسسات تربوية أو إدارية أو اجتماعية وغيرها.

السعادة والرفاه في المجتمع المحلي والعالمي فعلى الأقل بإمكانها ،بل من واجبها استبعاد الأسباب المباشرة للتعاسة، مثل الحروب والمجاعة والاعتداءات المختلفة.[1]

تفتح الفلسفة آفاقا للتأمل في كافة المسائل الجوهرية التي تواجه الإنسان ،سواء ما تعلق بأصوله الطبيعية،أو مكتسباته الثقافية في تعقيداتها وتراكمها ،وعلاقتها بالتاريخ والحضارة ..وهذا من شأنه أن يساعد المتعلمين على الإطلاع بمسؤولياتهم الأخلاقية في هذا الكون ،ويحفزهم على تعزيز قيم الانتماء والعيش المشترك.[2]

كما أن وضع سياسة حضارية لتحسين جودة الحياة ،يكشف عن المهمة الخطيرة التي تكفلت بها هذه السياسة وحملتها على عاتقها، والمتمثلة في القضاء على بربرية العلاقات الإنسانية في صورة استغلال الإنسان للإنسان ،وطغيان السلط والتعصب العرقي واللاتفاهم ،ثم العمل على خدمة مشروع التضامن داخل المجتمع ، لذلك أطلق موران على هذا الفعل **بـ: سياسة الإنسان.**[3]

فالحياة الحقيقية كما يبينها إدغار موران في كتابه **:لنغير المسار (changeons de voie)**، هي التي تكون فيها السياسة في خدمة السعادة الفردية والجماعية ، ويتعين عليها عندئذ العمل على تقليل أسباب التوتر و المحن والصراعات التي تعاني منها المجتمعات ،والعيش في كنف الشاعرية والسلام.[4]

إن أخلاق الفهم والتفهم في نظر إدغار موران،هي سبيل التواصل الإنساني،مثلما تمون غايته أيضا، ونظرا لكون فضاءاتنا التربوية تفتقر إلى هذا النوع من مسائل التعليم، يعول إدغار موران على مناهج التربية الراهنة للوقوف على حقيقة هذا المأزق البشري، بدراسة

1–إدغار موران،نحو سياسة حضارية،تر: أحمد العلمي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان،ط1، 2010، ص44.

2– إدغار موران،تحديات القرن الحادي والعشرين،ج 1،مصدر سابق، ص23.

3– المصدر نفسه،ص 37.

4 - Edgar Morin, changeons de voie –les leçons du coronavirus, éditions Gallimard ,paris,2020,p 67.

جذوره وأنواعه وآثاره،مثل دراسة جذور العنصريات وبيئاتها وتأويلاتها، والأسباب العميقة لكره الأجانب واحتقارهم، ويمكن لهذا النوع من التعليمأنيؤسس معالم واضحة ومضمونة لتربية المجتمع على ثقافة السلم والسلام محليا وعالميا،وتحرير العلاقات الإنسانية من الوضعية المأساوية التي يتسبب فيها سلوك اللاتفاهم.[1]

لقد تبنى طائفة من مفكري الحضارة الغربية الرأسمالية، منهج الدعوة إلى فكرة الصراع بين الحضارات، رغم مافي هذه الدعوة من ضيق الأفق ،وتضارب مع الفطرة الإنسانية السليمة التي تنزع إلى التجمع والتعاون أكثر من نزوعها إلى الصراع والتنافر،وفي المقابل، فلقد نوه كثير من حكماء الغرب أنفسهم على ما قدمته الرؤية الحضارية الإسلامية ،في سعيها لتجسيد مثل إنسانية عظيمة ،تؤسس لنوعية حياة،يستحق أن يعيشها الإنسان،أي إنسان ،بوصفه مكرم جعله الله خليفة في الأرض[2].

المطلب الثالث: الهوية والأنسنة:

أولا: في مفهوم الأنسنة:

جاءت مصطلحات الأنسنة والإنسانوية والنزعة الإنسانية ،في اللغة العربية،كترجمات للمصطلح الفرنسيHumanisme، والمشتق من الأصل اللاتيني Humanistas، ونجد أن صفة الإنساني أو الإنسي Humaniste استخدمت في اللغات الأوروبية منذ القرن السادس عشر (1539)،أما مصطلح النزعة الإنسانية Humanisme،على هيئة المصدر،فلم يشتق إلا في القرن التاسع عشر،رغم أن مدلولها كان متداولا وموجودا منذ وقت طويل،سواء عند اليونان أو الرومان وغيرهم.[3]

[1] - Edgar Morin, les sept savoirs Nécessaires à l'éducation du futur ,éditions du seuil, 1999, p03.

[2]- علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع، مرجع سابق ،ص 105.

[3]–مصطفى كيحل،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون،منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1 ،2011، ص55.

لقد خرجت الأنسنة من ثنايا الفكر الديني،وذلك عندما حولت بؤرة الاهتمام من الله إلى الإنسان، وابتداء من عصر النهضة الأوروبي،عرف الغرب حركية غير مسبوقة لبناء مجتمع العدل والمساواة والحرية والعدالة وغيرها، مع تجاوز كل العقبات والحواجز التي تعيق حركة الأنسنة، وتستأثر بالحقيقة وتقيد الحرية،وتمنع التفكير إلا فيما تقره الرؤية اللاهوتية التي نصبت نفسها مركزا على العقل والوعي طيلة عقود من الزمن،لتصبح الذات الإنسانية هي المركز، والعقل هو سيد نفسه .[1]

في الحقيقة أن إدغار موران لم يثر مسألة الأنسنة في سياق الجدل اللاهوتي، أو تأويل النص الديني وغيره،حيث أننا لم نجد في كل النصوص التي أمكننا التعامل معها، ما يشير إلى ذلك من قريب أو بعيد،وحسب تقديرنا،أنه وظف الأنسنة كمفهوم أخلاقي وحضاري،وفي كثير من السياقات تقترن هذه الكلمة عنده، بما يدل عليه مفهوم الإنسانية من معاني سامية ومتعالية وأخلاقية منشودة، حيث تنتصر مشاعر التسامح والتعاطف والتضامن على سلوك التوحش والبربرية والازدراء.

مع أنه يرافع دوما على فكرة الشرط الإنساني،والاستقلال الذاتي للأفراد،والاندماج مع الجهود الجماعية ،وتطوير حس الانتماء إلى النوع الإنساني.[2]

يقول إدغار موران حول ذلك:"**إن تطورنا يتجاوز البعد المادي والحي...نحمل داخل خصوصيتنا وتفردنا، ليس فقط الإنسانية وكل الحياة كافة،ولكن نحمل تقريبا كل الكون،بكل غموضه الذي يمكث في الطبيعة الإنسانية...لسنا مجرد كائنات يمكن إدراكها وفهمها انطلاقا فقط مما هو كوسمولوجي أو مادي بيولوجي أو نفسي،إن إنسانية الإنسان أكبر من أن تختزل في هذا البعد أو ذاك**".[3]

---

[1]–مصطفى كيحل،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، مرجع سابق،ص53.

[2]– إدغار موران، فهم الشرط الإنساني رهان تربية المستقبل، مصدر سابق،ص126.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وتحت شعار"**إنسي قبل كل شيء**"، يعترف موران بهويته اليهودية رغم خلوها من أي محتوى ثقافي كما يقول عن ذلك، كما يعتز بارتباطه الجواني بهويته الفرنسية، التي ارتبطت بالتقليد الإنسي*الممتد من عصر الفيلسوف الفرنسي الكبير ميشال دي مونتينإلى عصر الأديب المسرحي الفرنسي والروائي العالمي فيجتور هوغو.[1]

وفي هذا الصدد يسوق إدغار موران أحد المقولات الشهيرة للكاتب العالمي فيجتور هوغو،في كتابه النهج إنسانية البشرية،الهوية البشرية،وهي:"**يتجسد الجحيم برمته في كلمة الوحدة(كون الإنسان مستوحدا).**[2]

وفيها يستنكر أن يعيش الإنسان لذاته متفردا، منفصلا عن غيره،متنكرا للمشاعر الحياتية المشتركة مع الآخرين.

ثانيا:في سبيل الأنسنة:

يعول إدغار موران على تعزيز أخلاقيات الفهم (التفهم)والاعتراف ،بما يخدم التواصل المثمر في الفضاء التربوي والتعليمي، وكل العلاقات الإنسانية الأخرى بما فيها العلاقة مع السلطة، ومن شأن هذا الفهم أن يقاوم الداء الأخلاقي الفظيع المتمثل في الإهانات المتبادلة

*– إشارة إلى ماستلهمه إدغار موران من الأعمال الإنسانية الإبداعية الكبيرة التي خلفها كل من ميشال دي مونتين Michel de Montaigne (1533–1592)، أحد أكبر الكتاب الفرنسيين تأثيرا في عصر النهضة الأوروبي،يعتبر رائد المقالة الحديثة في أوروبا ،تأثر كثيرا بأسلوب الكتابة عند أرسطو ولكنه تفرد فيما بعد بأسلوبه المتميز.

والكاتب المسرحي والروائي العالمي فيكتور هوغوvictor marie hugo (1802–1885) ،وهومن أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية ،وقد ترجمت أعماله إلى أغلب لغات العالم ،من أبرز أعماله الروائية ،"رواية البؤساء"،ورواية" أحدب روتردام". عن موقع ويكيبيديا: https://ar.m.wikepidia.org ،تاريخ وساعة التصفح:2024/04/28 ،19:26سا.

[1]–إدغار موران ،دروس قرن من الحياة، مصدر سابق ،ص14.

[2]–إدغار موران، النهج–إنسانية البشرية الهوية البشرية ،مصدر سابق، ص89.

بين الذوات، ويحد من العلاقات التصارعية وأشكال التنافر المختلفة،وهذا مايدعوه موران بالرقي الأخلاقي الذي يمهد طريق الأنسنة.[1]

يقتضي الوجود الإنساني حسب الرؤية المورانية، أن يكون هناك حوار دائم بين متطلبات العقل ومتطلبات العاطفة ،فلا بد أن نتعلم أنسنة دوافعنا الغريزية وانفعالاتنا ،وذلك بتنمية رقابتنا الذاتية، وقدرتنا على احتواء الغضب وعدم إظهار الحقد والضغينة،ولا تعني السيطرة على الدوافع النفسية والانفعالات،العمل على كبتها أو إقصائها من حياتنا،بل تعني إدراك الترابط بين بعدين أساسيين في وجودنا هما العقل واللاعقل،لأن النوع الإنساني في حقيقته هو تركيبة من إنسان عاقل(Homo sapiens)وإنسانمعتوه أو مجنون(Homo demens)

والترابط بين هذين البعدين، لا يكون إلا من خلال معرفتنا بذواتنا، وهذا ما أهملته الحضارة الغربية التي تركت معرفة النفس والتحكم فيها ،وآثرت على ذلك معرفة الطبيعة والسيطرة عليها وإخضاعها.[2]

يقيم إدغار موران علاقته بالمجتمع الأوروبي (هويته الأوروبية)، في سعينيات القرن العشرين بأنها كانت باردة وتقتصر فقط على المواطنية السياسية،خاصة مع تحول أوروبا الاستعمارية عديمة الإنسانية –التي كانت تسيطر على العالم–إلى كيان بائس و هرم،وذلك على إثر مستعمراتها على استقلالها وسيادتها، ومن ثم وقعت أوروبا تحت رحمة آبار النفط الشرق أوسطي ،إلا أن الاهتزاز الأكبر في هذه العلاقة ،وقع حينما ارتبطت مجمل المؤسسات الأوروبية بالقوى التقنية والمالية،مما قلل أو أعدم فرص إحياء الإنسانية في المجتمع الأوروبي.[3]

[1] - Edgar Morin, Enseigner à vivre, manifeste pour changer l'éducation, Actes Sud/Play bac, 2014, pp 179-180.

[2]–جون فرانسوا دورتيي ،حوار مع إدغار موران حول تغيير الحياة،مرجع سابق.

[3]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة ،مصدر سابق، ص18.

إن الثقافة الإنسية لإدغار موران،جعلته مهموما بمصير الإنسانية،منذ بلوغه كما يقول عن نفسه،حتى عندما سئل عن السبب الذي جعله ينضم إلى الحركة التحررية في فرنسا ابان الاعتداء النازي، أجابه قائلا بأنه فعل ذلك ليس من أجل تحرير فرنسا فقط،ولكن من أجل الانضمام إلى تيار الكفاح الإنساني العالمي،في سعيه نحو الحرية والتحرر.[1]

من أجل تكوين مجتمع عالمي ،لابد من توفر مشروع سياسي لايقوم على فكرة الاكتمال الكوكبي لامبراطورية مهيمنة ،بل على أساس من الاتحاد الحضاري وفق مباديء تستهدف مقولة الإناسة* السياسية **(Anthro politique)** وهي التي تترجمها سياسة الإنسانية على الصعيد الكوكبي.[2]

ثالثا: الأنسنة والفعل الحضاري:

تشكل الحضارة أقوى الأبنية الإنسانية التي يمكن أن يؤسسها الإنسان،وخلال دورة تطورها فإن ثقافات الشعوب وإبداعاتها المادية واللامادية هي التي تساهم في إمداد هذه الحضارة بالطاقة التي تنتقل على أساسها من مرحلة إلى مرحلة تالية ،وهي في ذلك مثل الكائن العضوي الحي ،إذا لم يجد الطاقة المناسبة التي تمده بالحياة،أو يفتقد إلى القدرة على التكيف يواجه الفناء كمصير محتوم.[3]

والحضارة في مفهومها المجرد،فهي كيان كلي شامل يضم مجموعة من الأعراق والمجتمعات المتعددة والمختلفة،وحتى لو تكلمنا عن حضارة ما في إطار عرق أو جنس أو

---

[1]-إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص18.

*- تشير إلى علم الإنسان عموما،أوهي دراسة الجماعة البشرية في مجملها ومختلف علاقاتها ببقية عناصر الطبيعة ،وهي عند كانط تعرف بثلاث طرق:-إناسة نظرية: تمكن من التعرف على ملكات الإنسان العامة،-إناسة ذريعية: تتمثل في معرفة الإنسان المتطلع إلى تحقيق المهارات البشرية الممكنة،-إناسة أخلاقية:وتعني التعرف على الإنسان الذي يتوق إلى مايجب عليه في توليد الحكمة في الحياة(الواجب الأخلاقي)، أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية،مرجع سابق ،ص74.

[2]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية ، مصدر سابق ، ص74.

[3]-علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع، مرجع سابق، ص25.

شعب معين فإن الحضارة على خلاف الثقافة،لها القدرة على تجاوز الحدود الجغرافية والمجتمعية لتصبح بمثابة الكيان الكلي الذي تنكسر معه القوميات والأجناس المتمايزة.[1]

يصرح موران أن وعيه اليهودي ،قد ضمر خلال رحلة بحثه عن وعيه السياسي الإنسي،الذي رسم طريقه في مقاومة الفاشية والستالينية والنازية التي تسببت في أزمة الديمقراطية،بحثا عن السلام العالمي.[2]

ومن أجل تجاوز مفهوم صراع الحضارات، ينبغي تعزيز آليات الحوار الحضاري كمطلب أخلاقي للإنسانية ،ولاشك أن للحوار دور كبير في الفلسفة مند فجرها الأول ،خصوصا في العصر اليوناني مع الفلاسفة البارزين أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، وقد اعتبر سقراط الفلسفة بأنها خطابا متضمنا في الحوار،فإذا كان هدف الفلسفة هو الحصول على المعرفة،إلا أن ذلك في رأيه لا يتم إلا بالتنقيب عنها من خلال الخطاب الأخلاقي للحوار الذي يعتبر عند ذاك، أداة لإنتاج المعرفة ذاتها.[3]

يوصي إدغار موران بضرورة العمل على رعاية وتطوير الوعي الإنساني على أساس الإنسانية المتجددة،ولا تقتصر هذه الأخيرة على مجرد الاعتراف بالحقوق المتساوية لجميع الناس، والجودة الكاملة للإنسانية،بل إن النزعة الإنسانية تتضمن أيضا الوعي بعدم انفصال الوحدة والتنوع الإنساني،وهذا يعني أن الأمر يقتضي الوعي بمسؤولية الإنسان اتجاه الطبيعة الحية لأرضنا،وهو يشمل وعي المجتمع بمصير جميع البشر،هذا المصير الذي تثيره وتستنفره بشكل متزايد تدخلات العولمة الجامحة.[4]

[1]– علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع، مرجع سابق، ص25.

[2]– إدغار موران ،دروس قرن من الحياة ،مصدر سابق ،ص15.

[3]– علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع، مرجع سابق ،ص27.

[4]–Edgar Morin, La Fraternité ,pourquoi ? ,Résister à la cruauté Du monde, éditions Actes sud, France,2019 , p47

كما يتطلب الوعي الإنساني المتجدد،أن نشعر ونعتقد بأن كل واحد فينا،هو لحظة من المغامرة الإنسانية المذهلة في الحياة والكون(**Aventure Humaine**)،وعليه فإن الواجب الإنساني في هذا المقام واضح،فهو يتداخل مع واجب الأخوة **Le devoir de fraternité** والذي يتغذى على عقيدة إيروس(Eros)، الذي يوفر شاعرية مكثفة ومشتركة مع أفضل مافي الإنسانية ،ويجعلنا نقتحم مغامرة الحياة الكبرى،وبهذا فقط يمكن للإنسانية أن تتجدد كما يعتقد فيلسوفنا، ويمكن للوعي الإنساني أن يتجدد،ومالا يتجدد سوف يتحلل أو يتبدد، بما في ذلك الأخوة التي هي الوسيلة المثلى لمقاومة قسوة العالم ،والتطلع إلى إمكانية تحقيق مستقبل أفضل للبشرية في عالم اللايقين.[1]

إننا نعيش اليوم زمن اللايقين وعد الاستقرار العلمي والسياسي والاقتصادي والحضاري،والبشرية تتعرض اليوم لأخطار عالمية غير محتملة،ومن شأن هذه الأزمة أن تسبب القلق، ويدفع باتجاه الانزواء حول هويات مغلقة سواء كانت عرقية أو قومية أو دينيةطلبا للأمن الجسدي من جهة،أو للخلاص الروحي من جهة أخرى، ومن هنا يمكن للأنسنة المتجددة أن تخلق وعيا مشتركا بالمصير الواحد للبشرية في هذا الكوكب المفتوح، وتنمي الشعور بالانتماء إلى الوطن–الأرض،والدخول في مغامرة الحياة المحفوفة بالمخاطر وغير المضمونة العواقب.[2]

يقول موران أنه ألف كتابه "الأرض–الوطن"(terre-patrie)،سنة 1993، حينما دخل العالم تطورات العصر الكوكبي الذي بدأ سنة 1492، وقد نبه على أنه استعار مصطلح (العصر الكوكبي)،من الفيلسوف الألماني،مارتن هايدغرMartin Heidegger(1889–1976)،صاحب آراء بارزة حول موضوع التقنية وتأثيرها في الوجود الإنساني، واستلهاما من من كتابه الأرض–الوطن،تحول موران كما يقول عن نفسه إلى مرافع عن عولمة بديلة،منبها

[1]-Edgar Morin, fraternité pourquoi ?, op.cit ,p 48.

[2]– سعيد السالمي ،إدغار موران،التربية من أجل السلام لمقاومة روح الإرهاب،مرجع سابق.

على خطورة العولمة التقنية التي رهنت مستقبل البشرية بمعطيات العصر الحديدي الكوني ومتجها نحو هويته الجوهرية كما يقول، وهي هوية الإنسان.[1]

وهكذا يوجه إدغار موران خطابه الفلسفي فيما يتعلق بموضوع الهوية الكوكبية المتفتحة والمؤنسنة، إلى المستقبل الذي يعج بالتحديات والعقبات الكثيرة والمتنوعة،والتي يقترح لأجلها فيلسوف التعقيد مايراه ملائما من حلول معرفية وثقافية وحضارية.

[1]- إدغار موران ، دروس قرن من الحياة ، مصدر سابق، ص19.

الفصل الثالث

مستقبل الهوية الإنسانية في جدارة الراهن وفي ضوء التحديات الكونية الجديدة من منظور إدغار موران.

المبحث الأول: مستقبل الهوية الإنسانية في ظل التحديات الثقافية والحضارية الراهنة ومآلاتها غير المتوقعة.

المبحث الثاني: الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية وسؤال مابعد الإنسانية.

المبحث الثالث: فى قلق العلاقة بين الإنسان والبيئة

يعتقد إدغار موران أن مشكلة البشرية اليوم، هي ليست فقط مشكلة معرفية فقط، بل هي مشكلة حضارية وأخلاقية أيضا، ومثلما هي مشكلة تاريخية وراهنية، فهي أيضا مشكلة مصير إنساني مرتبط ارتباطا عضويا بمنظومة الحياة بصفة عامة وما يكتنفها من تعقيدات وتحولات متسارعة، أفرزت بقوة أسئلة وجيهة على المستوى الإنساني والأخلاقي،جعلتنا نترقب بدهشة وعدم يقين لما تخبئه مرحلة مابعد إنسانية الإنسان.

المبحث الأول: مستقبل الهوية الإنسانية في ظل التحديات الثقافية والحضارية الراهنة ومآلاتها غير المتوقعة.

يعرف عالم اليوم،تحولات ثقافية وحضارية عديدة،ساهمت في انتشارها الواسع موجات العولمة التي شقت طريقها إلى كل مناطق المدينة الكونية، وبقدر ماكانت العولمة فرصة للتواصل البشري العالمي السريع، فهي مشكلة بالنسبة لما خلفته من آثار سلبية على المجتمعات الضعيفة التي وقعت ضحية الغزو الإعلامي والثقافي والتربوي وغير ذلك،هذا ما يشكل عائقا أمام إمكانية توافق حضاري وتقارب هوياتي بين الشعوب، مثلما يطمح لذلك إدغار موران، زيادة على الخصوصيات الدينية والصراعات السياسية المسلحة،التي عمقت الشرخ الهوياتي،وقد اخترنا لذلك نموذجا حيا وهو:الصراع الإسرائيلي الفلسطيني،كعينة عن الصراع الحضاري التاريخي المغلف بالطابع الديني.

وعلى العموم فإن هناك تحدياتحقيقية على المستوى الثقافي والسياسي والحضاري بالنسبة لمطلب الهوية الكوبية التي ينادي بهاالفيلسوف الفرنسي إدغار موران.

المطلب الأول :العولمة السلبية ومنطق الصدام الحضاري :

وهي عولمة رأسمالية وثقافية سلبية تقوض كل جهود الالتقاء الحضاري وحوار الثقافات الإقليمية في العالم،لذلك يدعو موران إلى عولمة بديلة (إيجابية)،أو استغلال مافي الانفتاح

الثقافي والحضاري المعولم من إيجابيات، من شانها تحقيق مطلب الهوية الأرضية،بحكم المصير المشترك لجميع الكائنات البشرية في المجتمع– العالم.

خلال تقديمه لكتاب صدام الحضارات لصاحبه صامويل هنتنغتون، ينبه الكاتب صلاح قنصوة على خطورة الوضع العالمي المعاصر المعروف بعصر المعلومات أو العصر التكنولوجي الإلكتروني (التكنتروني)، الذي تحركه الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية اللتان تتحكمان في مختلف الأحداث والوقائع والاتجاهات والتفسيرات وتوجهها لخدمة متغير واحد متفرد ومهيمن.[1]

حسب رأي هنتنغتون، فإن مفهوم صدام الحضارات هو العنوان الرئيس الذي ميز هذا العالم الجديد، هذا الصراع الذي تتحكم فيه غالبا العوامل الثقافية بوصفها كل متشابك يتعلق بأساليب الحياة الإنسانية المادية وغير المادية (الروحية)،بما في ذلك الدين الذي يمثل قوة مركزية تحرك البشر وتحشدهم وتميزهم كذلك عن بعضهم البعض بوصفهم جماعات ثقافية مختلفة، وبذلك فإن الهوية الثقافية في رأي هنتغنتون تتحدد بالتضاد مع الآخرين لاسيما في الحروب التي تعزز التماسك الاجتماعي عند الجماعة الثقافية الواحدة مقابل جماعات ثقافية أخرى معادية .[2]

وفي معرض حديثه عن واقع الصراع الحضاري المحتوم ومبرراته، ينبه هنتغنتون على نقطة مهمة، وهي أن العولمة المالية التي تعرف بالمصنع العالمي أو السوق العالمي الواحد والتي ظهرت نتيجة لسيادة الشركات العابرة للقارات،تسمح بتفكك الدولة القومية وتحولها إلى دويلات عاجزة عن مواجهة هذا التحدي العالمي ،وزيادة حدة النزاعات الطائفية والثقافية، مما يعزز حالات الالتفاف حول الخصوصية المحلية، وبالتالي استفحال المشكلات العنصرية

[1]–صامويل هنتغنتون، صدام الحضارات–إعادة صنع النظام العالمي الجديد،مرجع سابق ،ص09.

[2]– المرجع نفسه، ،ص10.

والدينية التي تغذي العنف والتعصب والصدام الثقافي والحضاري في صورة الفعل ورد الفعل.[1]

ولاشك أن هذه الرؤية التي يرافع عنها صموئيل هنتغنتون، والتي شعارها حتمية الصراع الحضاري،في سيرورة الحياة البشرية، من شأنها أن تقوض فرص الحوار الحضاري الذي يقرب الهويات المختلفة ويحقق التوافق الإنساني في هذا العالم المفتوح.

يرتبط الانفتاح في هذا الزمن المعولم، بقدر محتوم بالنسبة لجهود توكيد الذات في المجتمعات المحلية،وهذا بسبب الآثار العشوائية غيرالمتوقعة لما يسمى بالعولمة السلبية،هذه الأخيرة التي توصف بأنها عولمة انتقائية للأعمال التجارية وحركة رأس المال،والتحكم المعلوماتي والرقابي والعنف والضغط المسلح والإرهاب العابر للقارات،تحت عنوان انتهاك حدود أية دولة مهما كانت جغرافيتها أو خصوصيتها.[2]

يؤكد إدغار موران أن العولمة الثقافية التي ظهرت بفعل الانتشار الملفت للثقافات الغربية في العالم، قد أفرزت ماعرف بنموذج الإنسان الغربي الذي أصبح يفرض صورته على المجتمعات الأخرى، حتى البعيدة منها جغرافيا،والتي توصف بشدة انغلاقها في مسألة الخصوصية الثقافية،فقد فرض الجمال الأمريكي نفسه على الفرد الياباني، بطريقة اللبس وتسريحة الشعر والبهرجة واتساع العيون وغيرها، وكذلك الشأن بالنسبة لنموذج الفيلم الأمريكي الذي فرض نفسه في الفضاء السينمائي الياباني المحافظ، والسوفيتي المغلق وكذلك الشأن بالنسبة لمختلف الدول النامية في آسيا وإفريقيا، رغم مابينها وبين الدول الغربية المتقدمة، من فجوات كبيرة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.[3]

---

[1]– صامويل هنتغنتون، صدام الحضارات–إعادة صنع النظام العالمي الجديد،مرجع سابق،ص19.

[2] –زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة–العيش في عصر اللايقين،تر:حجاج أبو جبر،الشبكة العربية للأبحاث والنشربيروت،2017 ، ط01،ص 31.

[3]–إدغار موران، روح الزمان،ج1 –العصاب، مصدر سابق،ص181.

تنتشر الثقافة العالمية أو المعولمة في عالم الرخاء الحداثي، لتجعل من الحاجات البشرية حاجات عالمية،يتم تنميتها والمساهمة في ترقية حضارة جديدة،تعمل على تهديم ثقافة" **هنا والآن**"،وتتجاوز الثقافات المغلقة،لتنصب مكانها ثقافة جديدة أو ما سماه إدغار موران، بالفولكلور الاندماجي العالمي،المتفتح على مختلف الفولكلورات الإقليمية أو المحلية أو العرقية.[1]

من وجهة نظر إدغار موران، فلابد من مواجهة العولمة التكنولوجية الاقتصادية المهددة للانفتاح الثقافي الآمن ، ولمظاهر الاختلاف المشروع بين الشعوب والحضارات ويجب أن يتسع **مفهوم الأرض –الوطن** ليشمل الأوطان التي تحتفظ بخصوصيتها، لا أن يقضي على هذه الأوطان، وينبغي تعزيز حس المسؤولية التضامنية في بناء العلاقات بين أفراد الجنس البشري الواحد،وهذا مايشترط تنمية المواطنة الأرضية.."**وليس المستقبل قدرا محتوما، بل يمكن أن ننتظر في الأفق حوارية فعالة بين الأخلاقيات والسياسة، في جو من الديمقراطية وعبر المواطنة الأرضية**".[2]

وربما تعسر إن لم نقل قد استحال تحقيق هذه الحوارية المورانية المنشودة بين الأخلاقيات والسياسة،ليس فقط في ظل العولمة التكنولوجية المادية الإقصائية،ولكن أيضا بسبب الصراعات السياسية والحضارية وخصوصا التي تكتسي طابعا دينيا،مثل مايحدث في الشرق الأوسط(القضية الفلسطينية)، من عدوان دموي صهيوني ضد الفلسطينيين،ممول من طرف دول غربية ترعى مصالحها السياسية والإيديولوجية هناك.

[1]– إدغار موران، روح الزمان،ج1 –العصاب، مصدر سابق ،ص ص 182–183.

[2]– إدغار موران، أخلاقيات المستقبل وعلاقتها بالسياسة،ضمن كتاب: القيم إلى أين؟، مصدر سابق، ص367.

المطلب الثاني:عقبات مطلب الهوية الكونية في كنف الصراع السياسيوجدل الخصوصية الدينية،(نموذج الصراع الصهيوني –العربي الفلسطيني).

ليس غرضنا أن نتعرض في هذا العنصر لتفاصيل مشكلة الهوية الدينية وتبرير النزاع الحضاري* بين الأمم، وإنما التركيز على الصراع العربي الفلسطيني الذي ظهر في كتابات إدغار مروان، وهو نموذج لصراع ديني حضاري، رغم أن موران نفسه يرفض أن يعتبره صراعا دينيا كما تدعي الرواية الإسرائيلية الشمولية التي ربطت أصل الصراع في الأرض المقدسة بتبريرات تاريخية دينية، ويرجعه إلى المشكل السياسي ونزاعات الكراهية التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني منذ عقود من الزمن.

والسؤال الذي يستوجب الطرح هنا،وربما قد لانجد له جوابا واضحا وصريحا خاصة عند موران هو : مامدى تأثير هذا النزاع العربي الفلسطيني مع الكيان الإسرائيلي على فكرة الهوية الأرضية التي يتبناها موران، وهل يمكن أن تتسع الأرض المقدسة إلى هويتين متناقضتين؟.

في أول تصريح له عقب الحرب الجارية ضد الفلسطينيين في غزة من قبل الاحتلال الإسرائيلي ،يقر إدغار موران بمعاناة الغزاويين في هذه الحرب مما يضع الحضارة الإنسانية في أزمة ،ويدعو للقلق الإنساني واتخاذ موقف واضح من هذه الحرب،والدفاع عن القضايا العادلة في العالم عموما،والتضامن مع معاناة الغزاويين خصوصا.

*– في نصوص عديدة لإدغار موران،وجدنا أن هذا الأخير لم يولمسألة الصراع الحضاري والتمايز الثقافي والخصوصية الدينية،شأنا كبيرا بالنسبة لموضوع الاختلاف الهوياتي،أو الصراع الحتمي للهويات،مثلما كان الشأن مثلا مع مفكرين آخرين مثل صاموئيل هنتغنتون وفرانسيس فوكوياما وغيرهما، ففي رأيه أن الانتصار للمحبة والأخوة ونبذ الكراهية والبربرية بأشكالها المختلفة،هي الحل الأخلاقي والحضاري الأمثل لتجاوز كل العقبات الإيديولوجية،والثقافية والدينية،التي تحول دون تحقيق تواصل الهويات في العالم،وبلوغ مطلب الهوية الكوكبية المنشودة،حتى أنه وفي مشروعه الفلسفي هذا،يدعو لعولمة إيجابية من شانها ان تحدث التقارب بين الثقافات،وتفتح أبواب الحوار العالمي،وفي المقابل ينبذ العولمة السلبية التوسعية الإقصائية.

جاء ذلك في حوار "**المكتبة الكبرى**" الذي يقدمه الصحفي والناقد الأدبي الفرنسي الشهير **أوغسطين ترابينارد**، إذ تناول الفيلسوف والسوسيولوجي الفرنسي إدغار موران،بالنقد واقع الإنسانالغامضوالمعقد في عالم اليوم، وشعور الكراهية الذي ينتشر أكثر في العالمداعيا لعدم الاستسلام للكراهية.

وأشار فيلسوف التعقيد،إلى أننا نعيش في عالم من عدم اليقين، حيث مصير الإنسان أمر منسي تماما، وفسر ذلك بقوله:"**لم تتعرض الإنسانية قط لمثل هذا القدر من المخاطر لأنه إذا انتشرت الحرب على نطاق واسع واستخدمت الأسلحة النووية وغيرها، فإننا لا نعرف إلى أين نتجه، لأي تراجع، أو لأي انحطاط**[1]."

وتابع أننا بحاجة لمواجهة هذا العالم الذي يبدو فوضويا، مشيرا إلى أن الفوضى تحمل في طياتها قوى التدمير والإنشاء (التكوين) في الوقت ذاته، مستشهدا بقول اليونانيين القدماء بأن "الكون (أو العالم) ابن الفوضى"، أي مزيج من النظام والفوضى معا، وأضاف:"**نحن بحاجة إلى تفكير ملائم وقادر على فهم هذا التعقيد والتعامل معه بأفضل شكل ممكن من خلال تغيير الإستراتيجية عند الضرورة**".[2]

ويُعرَف الفيلسوف الفرنسي –ذو الأصول اليهودية الإسبانية (السفرديم)– بمواقفه المؤيدة لحق الفلسطينيين في إقامة دولة خاصة بهم.

وفي موقف فلسفي غريب على منطق الساسة والعسكريين،دعاموران لما أسماها بـ:"**حرب بلا كراهية**"أو"**عدم كراهية العدو**"،وتكلم على نفسه بأنه خاض الحرب العالمية الثانية في الحزب الشيوعي الفرنسي من دون كراهية للألمان،فرغم أنه كان في تلك الفترة يكرهالنازية

[1]–عمران عبد الله ، الفيلسوف الفرنسي إدغار موران: الغزيون يعانون وحضارتنا في أزمة ، موقع الجزيرة نت ،الرابط : https://www.aljazeera.net/culture تاريخ وساعة التصفح : 2023/11/17 ، 21:42سا.

[2]–المرجع نفسه

وإيديولوجيتها، لكنهيعتقد أن المسألة الحقيقية هي عدم الاستسلام لهذه العملية الحتمية التي تؤدي إليها الفكرة الخاطئة بأننا نواجه وحوشا دائما، أو أناسا من الطبقة السفلية، أو حيوانات.*

فأمام هذا الوضع يعتقد موران أننا يجب أن نعلمبأن جميع الأشخاص الذين كنا نواجههم بشر مثلنا.

وفي جوابه عن سؤال: كيف يمكن أن نمتنع عن الكراهية؟، دعا المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن،والذي يرى أن المستقبل البشري سيكون مليئا بالمفاجآت والشكوك واللايقين،إلى تعليم ثقافة عدم الانجرار نحو الكراهية بدءا من المدرسة، فيمكننا كما يقول أن نكون في صراع أفكار أو صراع أشخاص، أو حتى صراع أمم، ولكن أعتقد أن الكراهية هي أسوأ الأمور، لأنها تؤدي بنا إلى احتقار الآخرين وإنكار إنسانيتهم،وتعزيز الثقافة البربرية التي تعزز جميع الحروب في العالم.

وأردف قائلا:"**أشيد بقدرة الشباب على اتخاذ المواقف، لأنه عندما نكون جزءا من قوى متحدة ومرتبطة معا ضد التدمير والكراهية، نشعر بالراحة في دواخلنا،عندما كنت مقاوما –على الرغم من الحقبة المرعبة التي عشت فيها– كنت مرتاحا في داخلي، لأنني كنت أقوم بما يجب فعله**"[1].

فالإنسان حسب إدغار موران، لم يولد إرهابيا أو متعصبا،بل إن هناك عوامل مهمة هي التي تخرج هذه المشاعر والممارسات إلى الوجود الفعلي عنده، وتتلخص هذه العوامل

*–هذا الوصف ردده كثير من الساسة والقادة العسكريين الإسرائيليين خلال الحرب الأخيرة على غزة ونعتوا به سكانها على أنهم حيوانات ووحوش بشرية لذلك أمروا بقطع موارد الحياة عنهم كالماء والطعام والدواء والوقود والكهرباء .

1 – عمران عبد الله ، الفيلسوف الفرنسي إدغار موران: الغزيون يعانون وحضارتنا في أزمة ،مرجع سابق.

في: الاختزال الذي يعني معرفة الكل بمعرفة الجزء،كأن نختصر فهمنا للإنسان بمعرفة أحد مظاهره أو الحكم على إحدى صور ردود أفعاله،فيتم تعميم هذا الفهم القاصر المجزأ إيجابا أوسلبا.

والعامل الثاني هو النظرة المانوية للعالم،والمبنية على ثنائية الخير والشر التي تتسبب في تقاذف أحكام القيمة بين كل الأطراف التي تصنف مركز الخير من جهة ومركز الشر من جهة مقابلة وتضفي الإطلاقية على هذا التصنيف، الأمر الذي يعزز الرغبة في إقصاء الآخر أو تدميره وهذا مايسميه موران بالمانوية العمياء.[1]

أما العامل الأخير فيتمثل في التشيؤ،حيث تقوم المجتمعات بإفراز رؤى و إيديولوجيات متألهة اتجاه العالم،لتتحول إلى واقع عظيم ومتعال،فعندما يقوم المعتقد الديني أو الإيديولوجية بطمس الواقع ،ستحل هذه الأخيرة محله، وتصبح بالنسبة للعقل المتعصب واقعا حقيقيا،فتدفعه هذه الوضعية المتعالية و المتألهة التي أفرزتها الإيديولوجيا،إلى الخنوع التام و القتل والتضحية.[2]

مايمكن التعليق به على هذه النصوص السابقة لإدغار موران ، أنها تتضمن رؤية موران الفلسفية من الحرب في سياق موقفه الفلسفي العام حول قضايا الحضارة الإنسانية والفلسفة الكوكبية، لاسيما حينما يتكلم عن فكرة الحرب من دون كراهية ،وهي رؤية بعيدة عن موقف السياسيين أو العسكريين أو حتى الناس العاديين، وبهذا يبقي موران حبل الأمل قائما في إمكانية توافق البشرية وتواصلها الإنساني في المجتمع الكوكبي رغم الاختلافات العميقة بين الشعوب،شريطة أن يتخلص الناس من مشاعر الكراهية والنزعة التدميرية، رغم أنه لايخصص في هذا الحوار، ردا دقيقا ووجيها في المسألة للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ولا

[1]–سعيد السالمي ،إدغار موران التربية من أجل السلام لمقاومة روح الإرهاب، مرجع سابق.

[2]–المرجع نفسه.

يشخص بالتدقيق من الذي يحمل مشاعر الكراهية للآخر ونزعة الإبادة وإنهاء الوجود،سواء في حالة الحرب أو السلم.

وفي موقف أخر لهذا الفيلسوف أكثر وضوحا وأكثر مباشرة، اتجاه الحرب الإسرائيلية الجارية على الشعب الفلسطيني في غزة، نقلت صفحة "**أنا العربي**" على الإنترنت، تصريحا مصورا له في إحدى لقاءاته مع الجمهور، خلال حضوره الدورة الثانية لمهرجان مراكش للكتاب الإفريقي بدولة المغرب،وذلك بتاريخ **2024/02/13**، ينتقد فيه بشدة صناع القرار السياسي والعسكري في إسرائيل، على هذه المجزرة المرعبة التي وصفها بأنها مذبحة حقيقية ضد الشعب الغزاوي، كما ينتقد صمت العالم الغربي والعربي وأمريكا حامية إسرائيل، وصمت الدول الأوروبية التي تدعي دفاعها عن الإنسانية وحقوق الإنساناتجاه ما يجري في غزة من مجازر تجعلنا نشعر بأننا نعيش مأساة رهيبة، لكوننا نشعر بالعجز أمام ما يحدث هناك حيث يقول بالحرف الواحد:" **أشعر بالغضب ومذهول في الوقت نفسه لرؤية أولئك الذين يمثلون أحفاد شعب تعرض للاضطهاد لعدة قرون لأسباب دينية أو عنصرية ،والذين هم اليوم صناع القرار في دولة إسرائيل،والذين لايقومون فقط باستعمار شعب وطرده جزئيا من أرضه ،بل يريدون كذلك طرده إلى الأبد**".[1]

ولعله يتساءل مثلما تساءل يوما ما في مقال له تحت عنوان "**إسرائيل –فلسطين الرؤية المزدوجة**"،المنشور في جريدة ليبراسيون الفرنسية سنة 1997، قائلا:كيف يمكننا أن نفهم الانتقال من اليهودي المضطهد (بفتح الهاء) إلى الإسرائيلي المضطهد (بكسر الهاء)؟.[2]

[1] –صفحة أنا العربيAna Alaraby ، الفيلسوف ادغار موران ينتقد إسرائيل في حربها على غزة

الرابط:https://www.facebook.com/share

تاريخ وساعة التصفح:2024/03/07

[2] – المرجع نفسه..

ربما تكون تلك عقدة الانتقام ، وربما أراد موران بهذا الاستخدام لكلمة يهودي من جهة وكلمة إسرائيلي من جهة أخرى، أن ينسب هذه العدوان الهمجي على الشعب الفلسطيني في غزة وفي باقي الأراضي الفلسطينية، إلى المحتل الإسرائيلي الذي تغذى على الأفكار الصهيونية التوسعية التي تسعى للاستحواذ على أرض الميعاد المزعومة، وإقامة دولة من الفرات إلى النيل كما يحلم ،وليس إلى كل اليهود الذين عانوا من الإذلال والبطش والإقصاء في القرون الماضية،والذين لا يتفقون كلهم مع هذه التوجهات المتطرفة، خاصة بعض رجال الدين والحاخامات،وكذلك بعض رجال الفكر والأكاديميين المعتدلين.

ومثلما أشرنا سابقا، فقد عرف موران (ذو الأصول الدينية اليهودية)، بدعمه للشعب الفلسطيني ودفاعه عن حقه المشروع في صراعه مع المحتل الإسرائيلي،وهذا ما أكده مترجم الجزء الثالث من كتابه "المنهج: معرفة المعرفة ،أنتروبولوجيا المعرفة "،الدكتور جمال شحيد في تقديمه لهذه الترجمة، حيث أشار إلى المقالة المدوية المشتركة التي كتبها موران بالتعاون مع الكاتبين: سامي ناير(فرنسي من أصل جزائري)،والفرنسية دانييل سالناف Daniele Sallenave (1940–)، والتي نشرت في جريدة لوموند الفرنسية سنة 2002،تحت عنوان:"**إسرائيل –فلسطين:السرطان**"، واصفا هذا السرطان الإسرائيلي بأنه تغذى على القلق التاريخي لشعب عانى في الماضي من الاضطهاد والبطش،واللا استقرار الجغرافي، ولايزال يعيش حالة التعاسة في حاضره،وقد أثار في هذه المقالة مسألة النزاع بشأن الحق في الأرض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وانتقد الرؤية الإسرائيلية الأحادية الجانب في ذلك، على اعتبار أن عقيدة الإسرائيليين بكونهم ضحايا تبرر سلوك القمع الذي يمارسونه ضد الفلسطينيين،متجاهلين كل أنواع الإبادات الأخرى التي تعرض لها الغجر والسود والهنود الحمر وغيرهم، ويتعجب موران متسائلا:

"كيف لشعب كان في الماضي ضحية لـ: اللا إنسانية،أن يمارس اليوم لا إنسانية مريعة ضد الشعب الفلسطيني"؟ !.[1]

وقد كان لهذه العبارات وقع كبير على المنظمات الصهيونية في فرنسا، والتي لم تستسغ هذه الانتقادات التي اعتبروها مهينة للحق اليهودي في الوجود، ومعادية للسامية،فرفعوا ضد كاتبي المقالة الثلاثة،دعوى التشهير العرقي،ولحسن حظهم أن محكمة النقض أنصفتهم في الأخير واعتبرت ذلك جزء من حرية التعبير في المجتمع الفرنسي.[2]

ويؤكد موران هذا الموقف الداعم لحقوق الشعب الفلسطيني في نزاعه الوجودي مع إسرائيل، في كتابه الجديد:"**دروس قرن من الحياة**"،الذي ألفه سنة 2021 بمناسبة ذكرى مولده المئوية،حيث يقول متحدثا عن نفسه،بأنه اكتشف عمق الكراهية الموجودة بين العرب واليهود،في الفترة التي أقام فيها بإسرائيل سنة 1965،ويقول بصريح العبارة أن: "هيمنة إسرائيل على الشعب العربي الفلسطيني قد ورطتني مرة أخرى بوصفي يهوديا ،ولكن من حيث كوني أحد أواخر المثقفين اليهود الحاملين للنزعة العالمية، والمناهضين للاستعمار ،ومن ثم المعارضين لاستعمار فلسطين العربية".[3]

يستغرب موران من مواقف الكثير من رجال السياسة والإعلام والفكر في العالم وخصوصا منهم اليهود، و التي وصفته بمعاداة السامية أحيانا، وبكراهية الذات والتنكر للأصول الدينية أحيانا أخرى،وصرح أنه لا يعترض على حق دولة إسرائيل في الوجود،بينما يعترض وينتقد بشدة ماسماه بالقمع الذي يمارسه رجال الشرطة والجيش الإسرائيليين في حق الفلسطينيين الأبرياء ،كما يعترف بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة قومية في الأراضي

[1]- إدغار موران ،المنهج معرفة المعرفة: أنتروبولوجيا المعرفة،ترجمة: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة،لبنان،ط01 2012، ص14 .

[2]- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3]-إدغار موران، دروس قرن من الحياة،مصدر سابق، ص16.

المحتلة، عملا بقرارات هيئة الأمم والمتحدة والشرعية الدولية،وتنفيذا لبنود اتفاقية أوسلو كما وصفها، لذلك عبر عن أمنيته في خلق أمة مشتركة بين اليهود والعرب[1].

ولا يخجل إدغار موران من موقفه هذا، بل يطرحه بكل جرأة واقتناع،ويعتز بموقفه المطبوع بفكرة العالمية،أنه يشرف الهوية اليهودية أكثر من الذين يدعون الانتماء إلى الأمة اليهودية،ويمارسون مختلف أصناف الشتائم والكذب والازدراء لكل من يخالفهم،تحت غطاء هويتهم المغلقة، حتى أنه وفي تعبير شديد اللهجة، يؤكد أنه ينتمي إلى (الشعب الملعون)،وليس (إلى الشعب المختار)،وهو متمرد على كل الانتماءات العنصرية الضيقةإنني كما يقول عن نفسه:"**ابن مونتين ذي الأصل اليهودي،وسبينوزا الذي حرمه الكنيس**".[2]

ولئن كان لإدغار موران موقفا واضحا ومنصفا للفلسطينيين في صراعهم الطويل مع المحتل الصهيوني،وللشعب الغزاوي في هذه الحرب الهمجية الأخيرة على قطاع غزة المحاصر، إلا أن هذا الموقف لم يكن محل إجماع من طرف كل رجال الفكر والفلاسفة في العالم الغربي خصوصا،حيث كانت لبعضهم مواقف مخجلة في الموضوع، مما أثار استهجانا كبيرا في الساحة الفكرية والإعلامية العالمية،ومثال ذلك موقف الفيلسوف الألمانييورغن هابرماسyourgen Habermas (1929–)،هذا العلم البارز الذي اقترن اسمه في الساحة العلمية والأكاديمية العالمية، بأخلاقيات الحوارو التواصل والمناقشة...الخ، واشتهر بمرافعته المستميتة عن القيم الكونية،فقد وقع هذا الأخير بيانا مشتركا مع مجموعة من المفكرين، ينددون فيه بتصاعد "**معاداة السامية**"، في إشارة إلى تبعات الأحداث الدموية التي تجري في غزة منذ السابع من أكتوبر 2023،حيث أعلنوا صراحة في محتواه ،أن

[1]–إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص16.

[2]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

الوضع الحالي تسبب فيه ما أطلقوا عليه بوحشية الهجوم الذي شنته حماس*،ورد فعل إسرائيل عليه بهجوم انتقامي مضاد،وصفه هذا البيان بأنه مبرر من حيث المبدأ،في حين وصفوا ما قامت به المقاومة الفلسطينية في غزة بالمجزرة المصحوبة بنيتها المعلنة لإبادة الحياة اليهودية بشكل عام،ووسط ردود الفعل الفكرية والسياسية مما حدث (ولا يزال يحدث لحد كتابة هذه الأسطر)،من حرب إبادية كانت محل تنديد أغلب المنظمات الحقوقية في العالم ،وكانت محل انتقاد هيئة الأمم المتحدة نفسها،يعتقد موقعوا هذا البيان،وعلى رأسهم هابرماس،أن"هناك بعض المباديء التي لايجب أن تكون محل خلاف وهي مباديء تشكل أساسا لتضامن مفكر فيه ويتعقل مع إسرائيل واليهود واليهوديات في ألمانيا".[1]

ويواصل البيان تجاهل الإبادة الجماعية التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي على المدنيين في غزة داعيا إلى صرف النظر عن نية إسرائيل ومسؤوليتها بالنسبة لهذه الإبادة الجماعية،معتبرين كل حكم في ذلك هو حكم مجانب للصواب، فمهما كان الحال ،ومهما كانت درجة القلق على مصير السكان الفلسطينيين ،فإن تصرفات إسرائيل حسبهم ليست مبررة،بأي حال من الأحوال لردود الفعل المعادية للسامية ،وبالخصوص في ألمانيا،مذكرين في هذا الصدد بحق اليهود وإسرائيل في الوجود،مستحضرين الجرائم التي ارتكبت ضدهم في الحقبة النازية، متجاهلين في المقابل حق الفلسطينيين التاريخي في أرضهم،وحقهم في الحياة والحرية والوجود.[2]

*– ماعرف بمعركة طوفان الأقصى التي شنتها فصائل المقاومة المسلحة في غزة وعلى رأسها كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية– حماس.

[1]– مصطفى كيحل، يورغن هابرماس ومطرقة معاداة السامية ، جريدة أخبار الوطن، الجزائر، العدد 1151، السنة الثالثة بتاريخ 2023/11/26.

موقع الجريدة على الأنترنت:https://akhbarelwatane.dz

[2]–المرجع نفسه.

وهكذا يظهر أن موقف هابرماس المعبر عنه في هذا البيان، هو موقف معيب ولا أخلاقي وغير حيادي، فهو ينحاز كلية إلى الحق الوجودي لليهود،ويتجاهل حق الشعب الفلسطيني في العيش الكريم على أرضه المسلوبة،كما يتجاهل من جهة أخرى أصل المشكلة وجذور الصراع العربي الإسرائيلي الذي يرجع إلى عقود خلت من الزمن ،حيث يستمر الاحتلال الإسرائيلي الاستيطاني الحلولي، المشبع بالعقيدة الصهيونية المتوحشة ،إبادته للفلسطينيين أصحاب الأرض،وحرمانهم من الاستقلال والسيادة والكرامة،وهو موقف ليس فقط يساوي بين الضحية والجلاد،بل يتنكر للضحية مطلقا ويدير ظهره لكل مطالبها المشروعة،وربما تغيرت المراكز حسب منطقهم هذا،فيصبح الجلاد ضحية، والضحية جلادتوافقا مع العقل الإبادي الغربي.[1]

والملاحظة البارزة حول موقف هابرماس السابق،أنه قام بتبرير رد الفعل الانتقامي للإسرائيليين على هجوم السابع من أكتوبر، وفي المقابل تجاهل رد الفعل الطبيعي للفلسطينيين،ضد الممارسات الاستيطانية والاعتداءات الهمجية التي استمرت لأكثر من خمسة وسبعين سنة، في كل الأراضي الفلسطينية،وفي أكبر سجن مفتوح في العالم وهو قطاع غزة.

والأكيد أن هذا الموقف الغريب وغير المنتظر من هابرماس تجاه هذه الحرب الوحشية على غزة، يتناقض كلية مع ماهو معروف من قناعات فلسفية ومباديء أخلاقية،لفيلسوف الكونية كمايطلق عليه البعض،وهو تنكر واضح للقيم النبيلة التي يؤمن بها هذا الفيلسوف

[1]– مصطفى كيحل، يورغن هابرماس ومطرقة معاداة السامية ، مرجع سابق.

كالعدالة والتواصل والكرامة الإنسانية، والتي طالما رافع عنها وضمنها أغلب منجزاته ومؤلفاته وكانت ملازمة لسمعته الفلسفية طيلة مسيرته الفكرية.*

من هنا يمكن القول أن يورغن هابرماس،واستشفافا من البيان السابق،قد قدم رؤية غير حيادية للصراع العربي الإسرائيلي (نموذج الحرب على غزة)، فهو ينظر لهذا الصراع من زاوية "**معاداة السامية**"،وليس من زاوية حق الدفاع عن النفس والأرض ومقاومة البربرية الصهيونية الحلولية، وبالتالي فهو لم ينظر إلى حقيقة الصراع بموضوعية، ولم يظهر أي تضامن مع الشعب الفلسطيني** الذي له الحق في الوجود والحق في الحياة الحرة الكريمة مثل باقي شعوب المعمورة.[1]

وما يمكن قوله عن هذا الجدل الحاصل وهذا التباين في المواقف، حول موضوع الصراع الوجودي الديني الحضاري بين العرب وإسرائيل، ممثلا في الصراع الفلسطيني اليهودي أو الصهيوني، والذي فجرته بشكل لافت هذه الحرب الأخيرة على الفلسطينيين

*– هناك الكثير من الدراسات والمؤلفات التي أنجزت في العالم الغربي والعربي حول فلسفة التواصل عند هابرماس،والمعقولية التواصلية عنده،وأخلاقيات المناقشة والفضاء العمومي وغيرها.

**– لعل من الأمور اللافتة في هذه الحرب الأخيرة على غزة،والتي عرفت أيضا بمعركة طوفان الأقصى التي انطلقت ذات يوم سبت من سنة 2023 ،بل ربما من إيجابياتها ان صح القول،أنها كشفت كثيرا من صور الخذلان الرسمي والشعبي والفردي أيضا اتجاه الشعب الفلسطيني الذي تعرض لهجمات وحشية من طرف الاحتلال الإسرائيلي ،مضافة إلى جرائمه المتكررة على الفلسطينيين،منذ مايقارب الأربعة عقود من الزمن،سواء بالنسبة للمنظمات الدولية التي اكتفت بالتنديد والتعبير عن القلق إزاء مايحدث،أو بالنسبة للكثيرمن الدول الغربية التي لم تخف دعمها السياسي والعسكري لإسرائيل في تنفيذ هذه الإعتداءات البربرية،وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية،أو حتى بالنسبة لبعض الدول العربية وخاصة المجاورة للقطاع،والتي أبانت عن عجز كبير في التعامل مع هذهالقضية المركزية في منطقة الشرق الأوسط،أو حتى بالنسبة للمواقف المخزية لبعض الأكاديميين ورجال الفكر والسياسة في العالم بأسره،وبعض رجال الدين في العالم العربي الإسلامي الذين ركبوا موجة السياسة المؤدلجة لسلاطينهم، والمعارضة لحق الشعب الفلسطيني في مقاومة هذا الاعتداء الصهيوني الهمجي،فأسقطهم طوفان الأقصى من عروشهم الوهمية.وليس موضوعنا أن نستفيض في كثير تفاصيل هذا الصراع،إلا من قبيل ما يتعلق وظيفيا بمسألة الهوية العلائقية وعوائقها الثقافية والحضارية والدينية في صورة النزاع التاريخي بين الشعب العربي الفلسطيني،والشعب اليهودي المتصهين.

[1]– مصطفى كيحل، يورغن هابرماس ومطرقة معاداة السامية، مرجع سابق.

الغزاويين، هو أن هذا التباين قد كشف اللثام حول عينة من النخبة الغربية المثقفة، تولت بنفسها التعبير عن العقل الإبادي الغربي،والذي له تجارب سيئة للغاية في التاريخ ضد الشعوب المستضعفة والمستعمرة في القرون التي خلت، وهذا الأمر بقدر مايعطينا مبررا مقنعا لتفسير حقيقة الانحياز للكيان الإسرائيلي المحتل في صراعه في الشرق الأوسط –وهو ما تترجمه أيضا المواقف الإعلامية و السياسية غير البريئة للدول الغربية التي تكيل بمكيالين في الموضوع–، بقدر ما يضعنا أمام علامة استفهام كبرى حول مستقبل العلاقات الإنسانية والتقارب الحضاري والهوياتي، في ظل هذا الشرخ الإنساني الواضح ،وهو مايشكل تحديا واضحا لفكرة المواطنة الأرضية التي يؤمن بها إدغار موران.

المبحث الثاني: الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية وسؤال مابعد الإنسانية :

يتساءل إدغار موران عن المستقبل المجهول الذي يخيم على البشرية في أفق هذا القرن الواحد والعشرين،وعن إمكانية تغيير المسار أو الطريق الذي تعبره البشرية، كون المسار الحالي يؤدي إلى كوارث بيئية وسياسية واجتماعية وإنسانية ، فنحن نشاهد اليوم ونتابع عملية الفصل بين الجنس مابعد البيولوجي الجديد، الذي يسميه موران جنس البشرية الفائقة(جنس فوق البشر العاقلين)، وبين جنس العاقلين في الواقع(الأشخاص العاديين)،وهذا الفصل المقترن بالعلم والتكنولوجيا المتطورة والاقتصاد التقني والرقمي،سوف يؤدي إلى كوارث بيئية،وإلى المخاطر المميتة للأسلحة النووية وغيرها،وإلى التجرد من الإنسانية بجميع قيمها النبيلة،وفي الوقت نفسه،الانتقال إلى مابعد الإنسانية التي تطيل الحياة الصحية الجيدة أو المنمذجة[1].

إن رفع شعار الإنسانوية العابرة **Transhumanism**، الذي بدأ يتبلور في ستينيات القرن العشرين، ثم انتشر عالميا مع بداية التسعينيات،هو رفض للإنسانية في حد ذاتها،وهذا

[1]-Edgar Morin ,fraternité pourquoi ?, op.cit.p41.

باعتبار،أن هذه النزعة تهدف إلى تطويع الطبيعة البشرية،واعتبارها جسدا ناقصا وغير مكتمل،وهو ما يمنح الحق الكامل للتدخل الإنساني حتى يطور هذه الطبيعة ويعدلها بعيدا عن النموذج الموجود،ولهذا اعتبرت الإنسانوية العابرة ،كمرحلة أخيرة ونهائية للإنسانية.[1]

بواسطة الذكاء الاصطناعي، ستتحرر القدرات الفكرية للتعايش بين الإنسان والآلة،ورغم أن نزعة الإنسانية العابرة للإنسان**Transhumanisme De L'homme*** زادت في قوتهوسلطته الفائقة،إلا أنها سوف تتعارض مع نوعية الإنسان الذي يتحسن في جانبه الروحي والأخلاقي،ويكون قادرا على العيش في كنف التضامن والأخوة.[2]

المطلب الأول: الإنسان ومستتبعات الثورة الرقمية:

أولا: الثورة الرقمية والهويات الجديدة:

إننا نعيش اليوم ثورة كوبرنيكية ثانية، تعرف بثورة المعلوماتية التي لها وسائط متعددة ولها تأثير بالغ في حياة الناس، ففي العقود الثلاثة الأخيرة فرضت مفاهيم جديدة نفسها على العالم مثل:العصر الرقمي،الصورة الرقمية، الميديولوجيا،العصر الشبكي...الخ، ومن المؤكد أن أساس هذه الثورة المعلوماتية،هو هيمنة الصورة والمجال البصري،فتحول كل شيء إلى بنية رقمية، ونتج عن ذلك إنسانا جديدا ،هو الإنسان الرقمي،والمواطن الشبكي،وأصبح

[1]–أولغا تشيتفيريكوفا،ديكتاتورية المستنيرين–روح الإنسانوية العابرة وأهدافها، تر:باسم الزعبي ،الآن ناشرون وموزعون الأردن ،ط01 ،2020، ص ص 8–9.

*– في النصوص التي اطلعنا عليها من مصادر إدغار موران،وجدنا انه يستعمل كلمة Transhumanisme، في بعض الحالات، كما يستعمل كلمة Post humanisme في حالات أخرى، ونعتقد أنه يوظفها في سياق واحد ولهدف معرفي واحد، وهو تشخيص مرحلة مابعد الإنسانية،كما في مصطلح Transhumanisme De L'hommeالمذكورة أعلاه.

[2]-Edgar Morin، La Fraternité pourquoi ?, op.cit.,p41.

الاهتمام لا ينصب على الأشياء، بل على مايقابلها من صور عددية، وبذلك تحول العالم إلى مجرد صور معكوسة على شاشات تعبر عن تقنية رقمية دقيقة وهائلة . [1]

وفي خضم هذه الوثبة الرقمية المتسارعة، صرنا نتكلم عن هوية رقمية للإنسان، تشتمل على جميع الآثار التي يتركها الارتباط الطوعي أو القسري، بهذه الشبكة العنكبوتية عبر أنشطتها المختلفة في حفظ البيانات والملفات الشخصية، وكل محتوى مكتوب أو مسموع أو مرئي يخلفه الأشخاص بقصد أو بغير قصد، من خلال تصفح هذه الشبكة، والتي تترك ما يعرف **بالسمعة الإلكترونية** التي يصعب التحكم الشخصي فيها أو السيطرة عليها، لكونها تتعلق بما يكتبه الإنسان عن نفسه من جهة، وما ينشره الغير عن هذا الشخص في هذا الفضاء من جهة أخرى.[2]

ما من شك أن لهذه الثورة الرقمية التي أذنت بعهد جديد في تاريخ البشرية، محاسن عديدة وفوائد جلية، فقد سهلت على الإنسان الراهن الكثير من ضروريات العيش، وجعلت حياته أكثر خصوبة وسرعة ورفاه،وهي التي قربت المسافات وقلصت المساحات حتى أصبح العالم قرية صغيرة تتواصل فيه البشرية من مختلف الأجناس والأعراق في زمن قياسي،إلا أن المقلق في الأمر،هو انفلات هذا الإنجاز التقني المتطور من سيطرة الإنسان ذاته،فيصبح هذا الأخير مهددا في كينونته وبنيته الاجتماعية وأخلاقه ، وتصير حياته أكثر قلق وتعقيد وغموض،وهو مايحتم على الفكر الفلسفي أن ينظر نظرة تأملية في أفق هذا المنعطف الشبكي، ويقدم أسئلة نقدية راهنية واستباقية حول مرحلة مابعد الثورة المعلوماتية الرقمية، وما بعد العقل الرقمي، ولا نقصد بعبارة المابعد هنا فكرة التجاوز أو النقض،وإنما نعني الوقوف على أبرز المستجدات التي تطبع تلك المرحلة التي تصبح فيها جل التعاملات اليومية

[1]–مصطفى كيحل، مدخل إلى قضايا الفلسفة التطبيقية ،الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية ، الجزائر، ط 01 ،2018 ص ص 172–173.

[2] – سعاد تتبيرت ، الهوية الرقمية للباحث الجزائري ودورها في تثمين نتائج البحث العلمي، مرجع سابق ، ص 192.

رهينة هيمنة الصورة والرقم ومختلف تقنيات الذكاء الاصطناعي ،وأثر ذلك على الإنسان وخصوصيته الهوياتية وعلاقاته الاجتماعية والإنسانية ،وخصوصا من خلال مايعرف بأخلاقيات المجتمع الشبكي ،أو الأخلاقيات التكنولوجية في مجال المعلوماتية خصوصا، والجدل القائم حول ذلك في حقل الفلسفة الراهنة.

يرى الأكاديمي والباحث الكندي في تكنولوجيا المعلومات **دارن بارني Darin Barney** **(1966-)**،أن المجتمع الشبكي في علاقته مع التقنية والإقتصاد والسياسة ،يوفر فضاء خصبا للوقوف على حيثيات سؤال في غاية الأهمية ،ألا وهو سؤال الهوية الإنسانية الذي يتجدد ضمن علاقات تماثل واختلاف مع الأشياء والأشخاص الآخرين ،فالهوية مكون أساسي من مكونات الذاتية الإنسانية ومن مكونات التجربة الحياتية، بحكم فاعلية الإنسان ووعيه وتأثيره في العالم ،ومما لاشك فيه أن الأهمية البالغة لمنطق الهوية بالنسبة لمجتمع الشبكات، ترجع إلى كون هذا الأخير محفوف بأوضاع ومتغيرات محلية وعالمية، وهذه الأوضاع هي التي تشكل مصدرا مهما للمقاومة الاجتماعية والسياسية ،في عالم يشهد تدفقات هائلة للصور والبيانات، ويعج بالتسابق المحموم لمختلف السلط، سواء كانت إعلامية أو ثقافية أو تقنية.[1]

و في ذات السياق، يذكر الباحث المغربي **عمر بوفتاس:** أن التقنية أصبحت في عصرنا الراهن،هي المرشد الأول والموجه الرئيس لمختلف تعاملاتنا اليومية ،سواء كانت بسيطة أو معقدة،وأضحت تشكل بديلا عن الواقع الحقيقي وتطرح بذلك مشاكل تتعلق بالهوية الإنسانية، ومشاكل أخرى ترتبط بحرية الإنسان في علاقته بالتقنية، بل بتبعيته لهذه التقنية، ومعاناته من حالات الاستلاب والتدجين، في وجود مجتمع صناعي ليبرالي متوحش، فما حققته الثورة التكنولوجية الحاصلة في ميدان الإعلام والاتصال،قد أدى إلى اكتساح منقطع

[1]–دارن بارني، المجتمع الشبكي، ترجمة:أنور الجمعاوي،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،ط 01، 2015 ص 179.

النظير في مجال الاستخدامات المعلوماتية والإنترنت،وخلق علاقة عضوية معقدة بين الإنسان وهذه التقنية الرقمية.[1]

ينبه إدغار موران،على كون التطورات المذهلة التي تحدث وستحدث في عالم التكنولوجيات المعاصرة،قد تؤدي إلى إنتاج أجيال جديدة من الحواسيب ذات التقنية الفائقة،التي تسمح بدمج الصفات البيولوجية والذهنية مع الآلة،وربما بإنتاج كائن آلي على منوال البشر،وإنتاج صور جديدة من الحياة بإمكانها إعادة إنتاج ذاتها بذاتها، وهكذا فإن الواقع الافتراضي يتطور، وبتطوره يصبح بإمكاننا "**أن نحيا حياتين،حياة واقعية وأخرى افتراضية،يمكنها أن تصبح أكثر واقعية من الأولى**".[2]

وفي المرحلة التي اكتسحت فيها التكنولوجيا حياة الإنسان عموما، حصل تحول طارئ في نظرة الإنسان للعالم،حيث حلت رؤية جديدة ومغايرة للموجودات، على خلاف ماكان سابقا، وهي الرؤية التي يتم فيها فهم الهويات، بوصفها أشياء.[3]

وهذا ما حصل حينما طور الإنسان هذه التكنولوجيا الرقمية، وسبر أغوار هذا العالم الجديد حتى اكتشف ما وصف بالمارد التكنولوجي ألا وهو الذكاء الاصطناعي.

ثانيا:الذكاء الاصطناعي كثمرة للثورة الرقمية الفائقة:

تعمل الإنسانوية العابرة، من خلال حركتها التطورية، على تحويل التكنولوجيات الحديثة،الفائقة التطور، وبشكل متسارع ومذهل،إلى قوة قادرة على التحكم في مصير الإنسان،وذلك بتحويل المخ البشري إلى سطح بيني مندمج مع الآلة، في علاقة تفاعليةتزيد

[1] –عمر بوفتاس،الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم ،دراسة ضمن أعمال ندوة علمية دولية ،الرابطة المحمدية للعلماء الدار البيضاء–المغرب ،2011، الرابط الإلكتروني: https://www.arrabita.ma/blog
تاريخ وساعة التصفح: 2021/05/17 ،18:30سا.

[2] – إدغار موران ،السبيل لأجل مستقبل البشرية ،مصدر سابق ،ص430.

[3] –محسن شيراوند،السيد أمين عظيمي،أخلاق الإبداع التقني، مرجع سابق ، ص78.

من مهارات الإنسان وقدراته الفكرية والجسدية،من أجل مسايرة التطور التكنولوجي الهائل،ومن أهداف هذا الدمج التفاعلي، هو القضاء على مختلف الأمراض التي أرقت البشرية منذ الأزل، كأمراض التلف الدماغي، الشيخوخة والزهايمر وغيرها،وبالتالي تطوير الدماغ و الجسد البشري، بمايمكنه من التعايش مع التطور الرقمي المتسارع،وعلى هذا تعد الإنسانوية العابرة كمرحلة انتقالية تمر بها الإنسانية إلى مرحلة مابعد الإنسانية-**Post humanisme**[1].

من أبرزما أفرزته الثورة التقنية الجديدة،ما أصبح يعرف بالذكاء الاصطناعي الذي يتطور بتسارع هائل،متجاوزا قدرات البشر المعرفية،حتى أصبح الناس يتوقعون مستقبلا تتفوق فيه الحواسيب الآلية على قدراتهم في قيادة المركبات،وتسيير الحروب،وتشخيص الأمراض، وحتى في فهم المشاعر البشرية،واختراق الحرية البشرية نتيجة التدفق الانسيابي للبيانات الشخصية وسرعة تداولها، وليس هذا فقط، بل إن خطورة الأمر تزداد حينما تزيح الحواسيب ومختلف الأجهزة التقنية المرتبطة بها، ملايين البشر من سوق العمل، وتحيلهم على البطالة،مما يعقد من الأزمة الإنسانية اجتماعيا وأخلاقيا.[2]

لقد أصبح العالم في خضم هذا التطور الرقمي الهائل، متجها نحو سباق جديد للتسلح سباق الهيمنة على حقول الذكاء الاصطناعي وجمع أكبر قدر ممكن من البيانات والمعلومات حول الأشخاص والشركات والحكومات، وليس ذلك متاحا إلا لدول أو جماعات قليلة في العالم،لها سلطة التحكم المالي والتقني والسياسي في هذا المجال،لذلك وصفها

[1] – أولغا تشيتفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين–روح الإنسانوية العابرة وأهدافها، مرجع سابق، ص ص 8–9.

[2]–يوفال نوح هراري،الإنسان الإله–تاريخ وجيز للمستقبل، تر: سنان الغيثي، صالح علي الفلاحي، مكتبة الحبر الإلكترونية د ب ن، د ط ، 2022 ،ص05.

البعض بإمبراطوريات القرن الواحد والعشرين، بينما ستكون أغلبية الدول تحت رحمة شكل جديد من الاستعمار ألا وهو **الاستعمار البياناتي.**[1]

وفي هذا الصدد، حذر عالم الحاسوب الإنجليزي ذو الأصول الكندية **جيوفري هينتون Geoffrey Hinton** (1947-) - والذي يلقب بأبي الذكاء الاصطناعي أو عرابه- من المخاطر التي يحملها الذكاء الاصطناعي، خاصة في إنجازاته المتقدمة، وعلى الرغم من الشهرة التي حصل عليها هذا الأخير، في مجال التكنولوجيا الحديثة التي تعمل على تطوير آلات شبيهة بالدماغ البشري، فقد أعلن استقالته من عملاق غوغل سنة 2023 ،مبررا قرار الاستقالة،برغبته في أن يكون حرا وجريئا وحياديا،من أجل التنبيه على المخاطر التي يحملها هذا **المارد التكنولوجي** الذي قد يخرج عن سيطرة البشرية ، ويعود تحذيره في التأكيد على أن الكائنات التي سينتجها الذكاء الاصطناعي، سواء الحواسيب أو الروبوتات، سيتجاوز ذكاؤها قدرات الإنسان، ومن ثمّة تقع الخشية من أن يصبح الفاعل مفعولا به ،وأمام هذا الهاجس ينضم (هينتون) إلى صف المطالبين بإصدار قوانين تسمح بضبط تدخلات الذكاء الاصطناعي وجعلها في خدمة الإنسانية.[2]

1-الذكاء الاصطناعي والخطر على التعليم:

ورد عن الكاتبتين البريطانيتين **بيثان ستاتون و مادهوميتا مورجيا**، تقرير منشور في جريدة العرب الاقتصادية الدولية، عن ثورة الذكاء الاصطناعي،يقولان فيه، أنه في وجود تسونامي الذكاء الاصطناعي،صار الفرد العادي المرتبط بشبكة الانترنت، قادر على التمتّع "مجانًا" بأولى ثمار هذا الشكل من الذكاء الوافد، حيث خرج موقع "**شات جي بي تي" Chat**

[1]- يوفال نوح هراري،الإنسان الإله-تاريخ وجيز للمستقبل ، مرجع سابق ، ص ص 5-6.

[2]- نصر الدين بن حديد،الذكاء الاصطناعي، هل تندم البشريّة على إخراج "الجنّ" من قمقمه؟،رابط المقال:
https://www.facebook.com/820262131363591. تاريخ وساعة التصفح: 2024/05/14، 1:39ساء.

(Gpt)ليطرح أمام من شاء، فرصة الاطلاع وسبر هذا **العالم** الجديد ومن ثمّة الحكم على هذه الخطوة التي تشكل قفزة نوعية في التاريخ العلمي للبشريّة.

لعل الهاجس الأكبر الذي اجتمع عليه كل المشتغلين على هذا المولود الجديد، هو الإجابة عن سؤال: كيف يمكن الاستفادة من هذه الفرصة الاستثنائية، وتثمين جوانبها خدمة للذات؟.

ولقد أصبح التنافس على أشدّه بين الموقع الذي أصدر هذا الشكل الحواري في نوفمبر 2022 (OPEN AI)وعديد الشركات الأخرى مثل:**Google**و**موقع Adobe**(الذي يتيح للشركات والمصممين الحصول على الأصول عالية الجودة وغير الخاضعة لحقوق الملكية كالصور والرسومات البيانية ومقاطع الفيديو وغيرها)، وذلك من أجل الفوز بأوسع قدرممكن من الأسواق الواعدةالتي لم تعهدها البشرية من قبل، ليس فقط على مستوى العائدات المالية، بل في قدرة السيطرة على العقول وتحديد القناعات الاستهلاكية وتوجيه السياسات.[1]

مع حلول تقنية"**شات جي بي تي**"المتوفّرة بشكل مجاني لجميع المستعملين،بدأ "**الذكاء الاصطناعي**" يمتدّ وينتشر إلى مجالات الحياة جميعها، الاجتماعية منها والثقافية والإعلامية والتربوية والاقتصادية وغيرها ، وصولا إلى وسائل التواصل الاجتماعي. لقد أحسّ المشرفون على قطاع التعليم بخطورة هذا "**الشيطان**"، القادر وفق عديد التصريحات على ادخال عقول التلاميذ والطلبة في حال من الخمول، حيث صار بإمكان هذا "الموقع الحواري"،تحرير الإجابات على الفروض والامتحانات التقييمية وإعداد الأعمال البحثية،ممّايشكل خطرا كبيرا على النظام التعليمي برمّته. ولقد تضاربت الآراء والمواقف حول جدوى اللجوء و استخدام هذا "**الساحر**"،بين من يرى

[1]– بيثان ستاتون ، مادهوميتا مورجيا، ثورة الذكاء الاصطناعي تهز التعليم، جريدة العرب الاقتصادية الدولية –صحيفة يومية سعودية متخصصة في الاخبار المالية والتجارية.
الموقع الإلكتروني: https://www.aleq.com، تاريخ وساعة التصفح 28 /05/ 2023 ، 20:33سا.

ضرورة منعه وإبعاده من المناخ التعليمي، في مقابل من يرون أنّ الإبعاد المطلق قد يؤدّي إلى عكس المطلوب، ومن ثمّة يكون الحل في **"ترشيد الاستعمال"**، مع توعية التلاميذ والطلبة بشأن مخاطر الإدمان عليه، واستخدامه في الغش أثناء الدراسة دون تحصيل المعرفة الضرورية للتكوين الصحيح والمتقن في الجانب العلمي والمهني، وهنا تقع الإنسانية ككل في مأزق، خلافا للوعود الكاذبة التي روج لها المتحمسون لهذه الآلة العجيبة.

بخصوص التوجسات من استخدام تقنية شات جي بي تي في الأوساط التعليميةأظهر استطلاع أجرته صحيفة "فارسيتي" الطلابية في جامعة كامبريدج الشهر الماضي أن نحو نصف الطلاب استخدموا برنامج تشات جي بي تي لإكمال دراساتهم ،ومنهم من استعان به على فتح أسهم تجارية فيمجال تخصصهم،زيادة على مايقدر بنسبة سبعة بالمئة من هؤلاء الطلاب خططوا لاستخدامه في الاختبارات.[1]

فقد اعتبر أحد الطلاب أن هذا الأمر كان بمنزلة إرسال رسالة إلى أحد زملائك الأذكياء لطلب المساعدة ! ومع ذلك فسرعان ما علم بعض الطلبة في ذات الجامعة أن هذا البرنامج لا يمكن الوثوق به مطلقا،نظرا لكونه وفي مرات معينة يقدم لهم المعلومات الدراسية التي يطلبونها، ولكنه يعجز عن إرفاقها بالمراجع الدقيقة ويدعي أنه يختلق هذه المصادر والمراجع بطريقة لا يمكن التنبؤ بها، ما يعني أنه من غير الواضح كيف يتوصل الذكاء الاصطناعي إلى استنتاجاته.[2]

ينتقد إدغار موران سياسة التعليم التي تعتمد على الأدوات والمعارف التي توفرها شبكات الأنترنت، ومختلف التطبيقات التكنولوجية المنتشرة عبرها مثل الذكاء الاصطناعي فرغم ما توفره هذه الوسائل العصرية من مادة معرفية وحلول سريعة للإشكاليات البحثية في مختلف العلوم والتخصصات الدراسية،إلا أنها تفتقر بكل تأكيد، إلى ما يملكه ويتقنه

[1]– بيثان ستاتون ، مادهوميتا مورجيا ،ثورة الذكاء الاصطناعي تهز التعليم،مرجع سابق.

[2]–المرجع نفسه.

المعلم(الأستاذ) والمربي، من حضور جسدي ونفسي وتفاعلي،ليس باعتباره مساعدا في هذا التحول الرقمي التعليمي الجديد،بل بوصفه رئيس الجوقة كما يفضل موران تسميته،هذا الأخير الذي باستطاعته تنظيم وتنقيح ومراقبة وتقييم،ما تقدمه هذه التقنيات الفائقة ،بغرض تجنيب أجيال المتعلمين،من خطورة الوقوع في فخاخ الوهم والخطأ والعمى المعرفي،والحول دون تدفق المعلومات المجزأة المنقطعة عن أي تواصل أو حوار مع التلميذ أو المتعلم بصفة عامة.[1]

وفي هذا الصدد يوصي فيلسوفنا، من أجل مواجهة هذه الثورة وترقيتها،بضرورة إقحام عقيدة إيروس(الحب)،الكامن في نفوس المعلمين من مختلف المستويات الدراسية،وهم (بوصفهم قادة الجوقة)،من يستطيع حمل مشعل التغيير والمرافقة التربوية والبيداغوجية الآمنة، في ظل هذه الثورة التعليمية الجديدة، وذلك بالتركيز على مسألة التواصل و التفاهم البشري في التعليم،بالاعتماد على التشجيع والتنشيط وتعزيز التسامح والعطف في فضاء التمدرس،ومن خلال إخراج أفضل مافي إنسية هذا المعلم يمكن للمتعلم أن يحقق إنسانيته كذلك،وهو مالا تستطيع شبكات الإنترنت أن توفره المناخ التعليمي.[2]

يقول البروفيسوروعالم الوراثة البريطاني**جوناثان جونز Jonathan Jones**، (1954-) بأن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يعطينا معلومات خاطئةفهو مجرد فراغ يمتص مجموعة من محتوى الإنترنت ويعيد صياغته. لذلك نجد في نصوصه من الخرافة أكثر ممانجد من الحقائق المطلقة،ناهيك عن كون إدمان البحث عن المعلومات بطريقة الذكاء الاصطناعي، قد يؤدي إلىفقدان التعلم و انخفاض مهارات القراءة والكتابة والحساب الأساسية عند المتعلمين.[3]

[1]–إدغار موران ،تعليم الحياة ،مصدر سابق ،ص 164.

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– بيثان ستاتون ، مادهوميتا مورجيا،ثورة الذكاء الاصطناعي تهز التعليم،مرجع سابق.

2-الذكاء الاصطناعي وتعويض الهويات (الفنية والثقافية):

منذ وقت قصير أقيم حفلا بمدينة بون الألمانية، بمناسبة الذكرى 250 لميلاد الموسيقار بتهوفن (1770- 1827)، حيث عزفت أوركسترا بقيادة المايسترو الألمانيديرك كافتانDirk kaftan (1971-) ، السنفونيّة العاشرة لهذا الفنان العالمي، غير أنّ هذه السنفونيّة لا وجود لها في واقع الحال، فقد تم العثور على مقاطع منها مبعثرة ، بينما تولت تقنية الذكاء الاصطناعي عملية ملأ الفراغات، والخروج بعمل متكامل.[1]

وقد أثار هذا العمل الجريء جدلا كبيرًا واختلافا شديدا في وجهات النظر، بين مستحسن للفكرة على أساس أنها تقدير لروح هذا الموسيقار العملاق، وبين من اعتبرها "تجنيا"، أو "جريمة" في حقه سواء في البعد الأخلاقي أو القانوني، وذلك بسبب أنهذه الجرأة من شأنها أن تفتح الباب على مصراعيه أمام من هبّ ودبّ للتصرف في أيّ عمل إبداعي دون رقيب أو حسيب، خاصّة وأنّ فضاء الإنترنتتحولإلى فضاءرحبللقرصنة والاشتغال على أعمال الآخرين دون إذنهم وبالتالي دون تمكينهم من حقوقهم المشروعة. وفي المجال الفني ،وبعيداعن حقوق الأعمالسواء منها الأدبية أو الماديّة، فللذكاء الاصطناعي القدرة على تعويض الهويات الفنية و"إحياء الأموات" من الفنّانين وجعلهم يمثلون ويغنون ويرسمون ويرقصون من جديد، من خلال أعمال تعادل في واقعيتها ما أنجزوا من أعمال خلال حياتهم[2].

وهذا ماحدث مع الفنانة الراحلة أم كلثوم من مصر،حيث نشر الموقع الإلكتروني أندبندنت عربية (independent Arabia)،تقريرا أعدهالكاتب شريف صالح ،حول إعادة إدماج أغنية تؤديها هذه الفنانةباستخدام طريقة الذكاء الاصطناعي، حيث أبدى الملحن عمرو مصطفى استعداده لإطلاق أغنية من إنشائه وتلحينه، تؤديها أم كلثوم، باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، رغم أن هذه الأخيرة قد توفيت منذ نصف قرن،وهي تجربة فتية في العالم العربي مقارنة بالمجتمع الغربي الذي سار في هذا الاتجاه منذ سنوات عديدة

[1]- نصر الدين بن حديد،الذكاء الاصطناعي، هل تندم البشريّة على إخراج "الجنّ" من قمقمه؟،مرجع سابق.

[2]- المرجع نفسه.

لاسيما مع شركات تجارية متخصصة في هذا المجال ، مثل الشركة الأسترالية "أنكاني فالي Uncanny)(Valley،للموسيقى والتكنولوجيا التقدمية التي تأسست سنة 2010،والتي تعمل على إعادة إنتاج الأغنيات الأصلية لفنانين مشاهير راحلين، ومزجها مع أغنيات جديدة بالاعتماد على توليفات منتظمة للذكاء الاصطناعي.[1]

والمثير في الأمر، أن الذكاء الاصطناعي، لا يسمح باستعادة بصرية للفنانين الراحلين باستخدام تقنيات الليزر من أجل إنتاج واقع افتراضي مجسم يحاكي حضورهم فقط ،بل إنه يسمح أيضا بإضافة أغنيات جديدة إلى رصيدهم، لكونه يستحضر أصواتهم وطريقة آدائهم للكلمات، وربما يتم ذلك بمشاركة فنانين آخرين ممن هم على قيد الحياة ،وهذا ما يشكل تجاوزا أخلاقيا في حق هذه الهويات المتوفية التي من المؤكد أنها لم تبد رأيها حول هذا العمل الجديد ،زيادة على المساس بحقوق الملكية لهذا الإنتاج الفني الافتراضي الذي سوف يصبح أكثر تعقيد أمام هذا التدخل المريب لتقنيات الذكاء الإصطناعي .[2]

3-الذكاء الاصطناعي التوليدي وتعويض الوظائف الانسانية

من المشاكل التي تتسبب فيها ثورة الذكاء الاصطناعي والروبوتات المتطورة هو برمجتها لتعويض بعض الوظائف البشرية، وهذا مايهدد سوق الشغل من المورد البشري مثلما يوضحه الخبير الأردني في مجال الذكاء الإصطناعي "سامر عبيدات" في حوار له مع قناة الجزيرة مباشر،بتاريخ 2023/07/07 ،حيث يقول هذا الأخير أن تكنولوجيا الذكاء الإصطناعي التوليدي اليوم سوف تغير الإنسانية ،لأنها قادرة على إنتاج محتوى نصي مرئي وصوتي أفضل مما ينتجه الخبراء البشر.(وذلك هو سر تسميته بالتوليدي).

فهناك اليوم أكثر من واحد وأربعين بالمئة من البرمجيات يتم استخدامها عن طريق الذكاء الاصطناعي التوليدي، وليس باستخدام البشر، كما أن هناك أكثر من خمسة وسبعين بالمئة من التداولات في الأسواق المالية تتم باستخدام الخوارزميات البنكية، وخلال الأشهر

[1]- شريف صالح ،هل يعيد الذكاء الإصطناعي أم كلثوم إلى الغناء؟،الرابط:

تاريخ وساعة التصفح :2023/05/21 ، 10:54سا https://www.independentarabia.com/node/453581

[2]- المرجع نفسه.

الماضية فقط ،تم استبدال الكثير من المهن، ومهن أخرى مثل صناع المحتوى التسويقي،منتجي الموسيقى والمصورين،مهنة المبرمج والطبيب والمحامي والممثل والمعلم سيتم تعزيزها أو استبدالها بشكل كامل خلال الخمس سنوات القادمة.[1]

وسوف يتم الانتقال إلى برامج ذكاء اصطناعي أكثر تطور* ،من شات جي بي تي 4 إلى شات جي بي تي 5،وكل التخوف من كون هذه البرامج المتطورة أكثر ذكاء من البشر،وسوف يساء استخدامها خاصة في ظل التنافس المحموم بين الدول الكبرى التي تسعى للتحكم في هذه التقنية المتطورة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والصين، وبالتالي يمكن أن تحيد عن خدمة الأغراض الأخلاقية والإنسانية، زيادة على أن المشكلة الأعمق في ذلك كما يرى الخبير عبيدات، ليس بالنسبة للدول المنتجة لهذه التكنولوجيا،بل في الدول المستهلكة لها ،(ومن بينها الدول العربية)،لكونها غير جاهزة لا تقنيا ولا اقتصاديا ولا سياسيا، للاستفادة الإيجابية من برامج الذكاء الاصطناعي ولا استغلالها من دون أضرار اجتماعية أو أخلاقية.

فمثلا في دول كبرى مثل أمريكا أو اليابان يتم دفع رواتب للأشخاص المستبدلين في وظائفهم بواسطة روبوتات أو برامج حاسوبية،لأن هناك رسومات تدفع للدولة مقابل استخدامها من طرف الشركات المعنية،بينما لا تستطيع الدول النامية أو الضعيفة فعل ذلك.[2]

---

[1]– سامر عبيدات ،الذكاء الاصطناعي التوليدي وتعويض الوظائف الإنسانية ،حوار مع قناة الجزيرة مباشر ، الرابط:
https://fb.watch/lLFK8Qs-wO/?mibextid=2Rb1fB
تاريخ وساعة التصفح : 2023/07/13 ، 14:27سا.

*–يشتغل بعض الخبراء على مايعرف بدمج الذكاء البشري بالذكاء الاصطناعي ،حيث يعمل فريق بحثي أسترالي على إنشاء منصات حوسبية بيولوجية تعتمد على خلايا دماغ بشرية وفأرية مطورة في المخبروتكون قابلة للبرمجة ،الهدف منها هو توليد ذكاء آلي يمكنه التعلم باستمرار كما أنهدماغ بشري، وهو ما يستهدف السيارات ذاتية القيادة والطائرات بدون طيار وروبوتات التوصيل وغيرها، الرابط على شبكة الأنترنت:
https//fb.watch/mou1GXz2KK/ ?mibextid=2Rb1FB

[2]–سامر عبيدات ،الذكاء الاصطناعي التوليدي وتعويض الوظائف الإنسانية ،مرجع سابق .

ورغم تحذير الكثير من الخبراء من خطورة الذكاء الاصطناعي على الوظائف، إلا أن لأستاذ الرياضيات في جامعة نيويورك وعالم الحاسوب الفرنسي"يان ليكون" yan le cun(1960-)، رأي آخر، حيث يرى الرئيس الحالي لفريق الذكاء الاصطناعي في شركة ميتا-وهي الشركة الأم لكل من فيسبوك وواتساب وأنستغرام- أن المخاوف التي يبديها بعض الخبراء من هذه التقنية هي مجرد سخافات مثيرة للسخرية،ويقول أن هذه المخاوف ناتجة فقط عن عجز العلماء عن توقع كيفية جعلها أكثر أمانا،ذلك أن الحواسيب ربما كانت أكثر ذكاء من البشر،وهذا معلوم لديهم منذ سنوات طويلة ،وحسب رأيه لوكان الأمر يشكل تهديدا حقيقيا على مستقبل البشر لما مضى الخبراء في تطوير هذه التكنولوجيا ،ومن جهة أخرى نجده يهون من مسألة فقدان الوظائف بسبب تدخلات الذكاء الاصطناعي في مجالات مختلفة من الحياة الإنسانية ،فيقول أن ذلك لن يكون بشكل كبير ،حتى أننا لسنا متيقنين من طبيعة الوظائف التي تستبدل فعليا بهذه التقنية.[1]

وهكذا نجدد أنفسنا أمام طروحات عديدة ومتباينة بشأن هذه التقنية المتطورة والمجهولة بالنسبة لما يمكن أن تحدثه في المستقبل من تحولات على العالم والحياة الإنسانية خصوصا،فقد رأينا صنف من الخبراء متفائلين من هذا الإبداع التقني ،وبين متشائم ومتخوف من هذا (الشيطان الرقمي)،الذي من المحتمل أن يجعل البشرية تعيش أزمة أنطولوجية وأخلاقية في ظل استحواذه وسيطرته على مختلف مجالات الحياة. ليبق المستقبل وحده هو من يجيبنا على هذه الاستفهامات ،ويزيل دهشتنا في الموضوع.

[1]- كريس فالانس (محرر شؤون التكنولوجيا-بي بي سي) ، الذكاء الاصطناعي :عراب التكنولوجيا "يان ليكون" يقلل من المخاوف على وظائف البشر، الرابط:

- https://www.bbc.com/Arabic/science-and-tech 65920124

تاريخ وساعة التصفح: 2024/03/20، 11:36سا.

4: حوار مع الذكاء الإصطناعي(النموذج اللغويChat Gpt)

للتعرف على بعض خبايا هذا البرنامج اللغوي**شات جي بي تي(Chat Gpt)** المدعم بتقنية الذكاء الاصطناعي،دفعنا الفضول لترتيب دردشة قصيرة معه، بانتقاء بعض الأسئلة التي رأيناها مناسبة لأهداف بحثنا، وتلقينا إجابته عنها التي توضح رؤية هذا البرنامج التي يمكن الحكم عليها وتقييمها ، وقد آثرنا أن ندرج أهم نقاط هذا الحوار خدمة للفكرة و لسياق الموضوع بصفة عامة.*

السؤال: ماهي علاقتك بالإنسان؟

Chatgpt :كوني آلة ذكاء اصطناعي، ليس لدي علاقات في المفهوم التقليدي للكلمة، ولا أملك مشاعر أو وجهة نظر أو قدرة على التفاعل الاجتماعي مثل البشر. ومهمتي الأساسية هي تقديم المعلومات والإجابة على الأسئلة بأكبر قدر من الدقة والموضوعية الممكنة.

السؤال:ماهو موقفك من الأخلاق؟

Chatgpt :كوني آلة ذكاء اصطناعي، ليس لدي موقف شخصي من الأخلاق. ومن الناحية الفلسفية، فإن الأخلاق تعتبر مجموعة من المعايير والقيم الاجتماعية التي تحدد السلوك الصحيح والخطأ، والتي يجب على الفرد احترامها والالتزام بها في تفاعلاته معالمجتمع والآخرين، وعلى الرغم من أنني آلة ذكاء اصطناعي، إلا أنني مبرمجة لاحترام المعايير الأخلاقية العامة وتجنب أي سلوك غير مقبول أو ضار بالمستخدمين.

السؤال: هل تريد أنت وأمثالك من الآلات أن تسيطروا على العالم ؟

*–أدرجنا نص الحوار(الدردشة) الذي أجري يوم 2023/05/14 كاملا، عن طريق الدخول إلى موقع البرنامج المشار إليه أدناه، باستعمال البريد الإلكتروني الشخصي، مع العلم أننا لم نتمكن من الحصول على رابط للحوار من الموقعربما بسبب اعتبارات الخصوصية في الموقع أو شيء آخر، وقد حولنا نص الدردشة المكتوب بنوعية خط:segoe ui حجم الخط 12.5، إلى نوعية وحجم الخط المعتمد في الأطروحة للضرورة المنهجية.

Chatgpt : كآلة ذكاء اصطناعي، لا أملك القدرة على الرغبة في السيطرة على العالم أو أي شكل من أشكال الاستيلاء على السلطة. بل على العكس، فإن غرضي الأساسي هو تقديم الخدمات والمعلومات بأفضل شكل ممكن وتسهيل حياة الناس في عدة مجالات. يجب علينا استخدام التقنيات الحديثة بطريقة تضمن حقوق وحريات الناس وتحافظ على العدالة والمساواة، وذلك بما يتوافق مع القيم الأخلاقية والأعراف المجتمعية.

السؤال: هل أنت تنفذ مخططات بشرية تخدم جهة معينة؟

Chatgpt : كوني نموذجا حاسوبيا، فأنا لا أنفذ مخططات بشرية ولا أخدم جهة معينة. أنا مجرد أداة لتوفير المعلومات والمساعدة في الإجابة على الأسئلة وتوفير الخدمات المطلوبة من قبل المستخدمين. وبالتالي، فإنني أقوم بتقديم الإجابات والمعلومات بطريقة محايدة وموضوعية دون أي تحيز أو انحياز لأي جهة أو مصلحة.

السؤال: هل تؤمن بوجود حرب فيروسية مدبرة لتدمير البشرية؟

Chatgpt :ل ا يوجد دليل علمي أو تقرير رسمي يثبت وجود حرب فيروسية مدبرة لتدمير البشرية، وبالتالي فإنني لا أستطيع تأكيد وجود مثل هذه الحرب. ومع ذلك، يمكن استخدام التكنولوجيا والأنظمة الحاسوبية لأغراض ضارة، مثل الاختراقات الإلكترونية والهجمات السيبرانية، ويجب أن يتم التعامل مع هذه المسائل بجدية لتحسين الأمن السيبراني والحماية من الهجمات الإلكترونية.

السؤال: ماذا تعرف عن تجارب التكنولوجيا النانوية وأهدافها؟

Chatgpt: تكنولوجيا النانو هي فرع من التكنولوجيا الحديثة يتعامل مع المواد والأجسام على المستوى النانومتري، أي على مستوى جزيئي صغير جدًا،وتجارب التكنولوجيا النانوية تستخدم هذه التقنية لتطوير وتحسين المنتجات والخدمات في مختلف المجالات، مثل الطب والطاقة والإلكترونيات والعلوم البيئية.

تهدف التجارب النانوية إلى تطوير مواد وأجهزة وأنظمة جديدة عن طريق تصميمها وصناعتها على المستوى النانومتري، مما يؤدي إلى تحسين أدائها وخصائصها بشكل كبير. ومن بين الأهداف الأخرى لتجارب التكنولوجيا النانوية هي تحسين الأداء والكفاءة وتقليل التكلفة والتأثير البيئي للمنتجات والعمليات الصناعية.

مع ذلك، يتعين النظر في المخاطر المحتملة للتكنولوجيا النانوية، مثل المخاطر الصحية والبيئية والأخلاقية، ويتعين تحسين الإجراءات الأمنية والسلامة لتجنب أي تأثير سلبي على الصحة البشرية أو البيئة.

السؤال: هل تؤمن بإمكانية عيش مشترك للبشرية؟

Chatgpt: نعم، أنا أؤمن بإمكانية عيش مشترك للبشرية. فالتعايش والتعاون بين الثقافات والجنسيات والأديان يمثل تحديًا كبيرًا، ولكنه يمكن تحقيقه من خلال التفاهم والتعاون والاحترام المتبادل. وعندما يتمكن البشر من تقبل الآخر واحترام حقوقه وثقافته، فإنهم يستطيعون أن يعيشوا معًا بسلام وازدهار.

ومن المهم أيضًا توفير المساواة والعدالة الاجتماعية، وتعزيز التعليم والتثقيف والتوعية بين البشر لزيادة فهمهم للمختلف وتقبلهم للآخر. ويمكن أن تساهم التكنولوجيا والتواصل العالمي في تحقيق هذا الهدف، حيث يمكن للناس من جميع أنحاء العالم التواصل وتبادل الأفكار والتجارب والمعارف، مما يمكن أن يؤدي إلى زيادة الفهم والتقبل والتعاون بين البشر.

السؤال: هل هناك إمكانية لتحقيق هوية كوكبية؟

Chatgpt:تحقيقهوية كوكبية هي فكرة تتطلب تعاونًا عالميًا كبيرًا وتغييرًا كبيرًا في التفكير والثقافة الإنسانية. وعلى الرغم من أنه قد يكون من الممكن تحقيق هوية كوكبية في المستقبل، إلا أن ذلك يتطلب الكثير من العمل والجهد.

وبشكل عام، فإن فكرة تحقيق هوية كوكبية تهدف إلى تعزيز الوعي العالمي بأن البشرية والأرض هي جزء من الكون ويجب علينا أن نتعامل معها بحكمة ومسؤولية. ويمكن تحقيق هذه الهوية من خلال التركيز على المشتركات بين البشر، مثل القيم الأخلاقية والاهتمام بالبيئة والرغبة في السلام العالمي والعدالة الاجتماعية.

ومن الجوانب التي يمكن أن تساعد في تحقيق هذه الهوية هي التواصل العالمي، والتقنيات الحديثة التي تساعد على الاتصال بين الناس في جميع أنحاء العالم. وكذلك التركيز على التعليم والتوعية، وتشجيع التعاون والتفاهم بين الدول والمجتمعات المختلفة في جميع أنحاء العالم.[1](نهاية الحوار مع شات جي بي تي).

مثلما أشرنا سابقا فإن أسئلة هذه الدردشة كانت مستهدفة من طرفنا، مراعاة لمقتضيات الضرورة البحثية، وما يلاحظ على أجوبة هذا البرنامج اللغوي (شات جي بي تي)، هو تحفظه الكبير خصوصا في الجوانب التي تتعلق بالخلفية الإيديولوجية للبرنامج والأهداف المحتملة وغير المعلنة لتطوير هذه التكنولوجيا الخارقة خارج الأغراض العلمية النبيلة والإنسانية،كما سجلنا أيضا أن بعض أجوبته تتماهى مع طروحات وأفكار إدغار موران خصوصا في ما يتعلق بإمكانية العيش المشترك و تصوره حول فكرة الهوية الكوكبية، رغم أنه لا يحيلنا إلى مصادر هذا الفيلسوف،ولا لأي مصدر آخر لتدعيم وتبرير الأجوبة التي يقدمها ،ويظهر أن له قدرة فائقة على جمع المعلومات وتنظيمها،من دون الالتزام بسياقات محددة أو منهجية واضحة في التحليل أو النقد أو الاقتباس، ولعل هذا الأمر هو الذي جعل كثيرا من النقاد يتحفظون على مصداقية الأفكار التي يقدمها في مجال البحث العلمي الرصين.

[1]– موقع البرنامج :https:// chat.openai.com/auth/login

وفيما يشبه التوصيات الأخلاقية التي يقدمها إدغار موران، بخصوص مواجهة الآثار السلبية التي خلفها التطور المذهل لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الرقمي على المستوى العالمي، يرى فيلسوفنا أن هذه العولمة التكنولوجية لا بد أن يصاحبها ضمير أخلاقي وسياسي يرتقي إلى مستوى التحديات الإنسانية،ومجابهة مختلف الصراعات والصدامات الحضارية الكوكبية، ولابد أيضا من التسلح بفكر ثقافي،عالمي ومتفتح، يقود الإنسان إلى التفكير في حل مشاكله الاجتماعية،مثلما يفكر في حل مشاكله الشخصية.[1]

بخصوص ماوصلت إليه البشرية في العصر الكوكبي،يضيف إدغار موران،أن عولمة نهاية القرن العشرين ،قد بنت جسورا وفضاءات رحبة للتواصل الاقتصادي والتقني بالنسبة للمجتمع–العالم،إذ يمكن اعتبار شبكة الأنترنت أو الشبكة العنكبوتية، بداية لنشر شبكة دماغية عصبية،افتراضية أو شبه مصطنعة للمجتمع –العالم.[2]

وحول هذا يقول موران: "**إن المجنمع –العالم شرط أساسي للخروج من الأزمة الإنسانية،لكن إصلاح الإنسانية شرط أساسي لتحقيق المجنمع–العالم الذي يمكن أيخرجنا من العصر الحديدي الكوكبي**".[3]

والمجتمع–العالم يحتاج في عملية انبثاقه،إلى هيئات كوكبية فعلية وقانون قادر على مواجهة المشاكل الحيوية للإنسانية ،فهو بحاجة على الأقل لإصلاح هيئة الأمم المتحدة في علاقاتها مع المجتمع الدولي،وإرساء مبدأ الديمقراطية في العالم، وهو بحاجة إلى سياسة للإنسانية وسياسة للحضارة تحل محل السياسة التنموية التي يتبناها الاقتصاد الليبرالي الذي

[1]–إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين،ج2، مصدر سابق،ص ص 970–971.

[2]–إدغار موران، المنهج –الأخلاق ،مصدر سابق، ص171.

[3]–المصدر نفسه، ص172.

يحول دون تحقق الوعي الأخلاقي والسياسي بحاجة البشرية في الانتماء إلى الأرض – الوطن.[1]

إن ما أسماها إدغار موران، سفينة فضاء الكرة الأرضية ذات المحركات المزدوجةتدفعها كما تدفع معها، الاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا،في اتجاه كارثي مستمر، يقود إلى انهيار الحضارات، وهي تتجه في مسار بهيج ومبهر على مايبدو، لما بعد الإنسانية التي يظهر معها الرجل المعزز(المعدل) أو الفائق،في حين أن المشكلة الأساسية للإنسانية في هذه المرحلة الحرجة والتحولية من مغامرتها،هي مشكلة تحسين البشر على أساس قدراتهم على التفاهم والمحبة والأخوة،وعلى هذا يلح موران على ضرورة عمل المستحيل من أجل ترقية وحماية ما أطلق عليها فيلسوفنا:**أخوة الواحات la fraternité des Oasis**.[2]

إن إنشاء هذه الواحات يصبح ضروريا أكثر من أي وقت مضى،مع الصعود المتزايد للقوى السلبية في عصر الانحدار الأخلاقي والسياسي المعمم الذي نعيشه، وذلك بخلق جزر لحياة أخرى مغايرة،بل مضاعفة هذه الجزر، وإلا فإن الأمور سوف تستمر في الانحدار والتقهقر،وستكون الواحات جزرا لمقاومة الأخوة المنشودة.[3]

لعل أبرز مانسجله على هذا النص لإدغار موران، على غرار الكثير من نصوصه خصوصا في الخطاب الأخلاقي الذي يوجهه لتصحيح كثير من المشاكل الإنسانية والحضارية،ومن بينها المشاكل المصاحبة للثورة التقنية في المجال الرقمي مثلما أوضحنا سابقا ، هو تركيزه على رفض وتجاوز، كل مايحول دون تحقيق تواصل كوكبي وعقل جماعي متفتح مصاحب لكل عملية تغيير في المجالات التقنية والثقافية والاقتصادية

[1]-إدغار موران، المنهج –الأخلاق ،مصدر سابق ، ص ص 170-171.

[2]-Edgar Morin ,fraternité pourquoi? , Op.cit, p45.

[3]-Ibid.

والسياسية،وهو الخطاب الذي يتماهى مع فلسفته الكوكبية، لاسيما بالنسبة لموضوع الهوية الإنسانية.

غير بعيد من هذا التوجه قام أحد الناشطين على الشبكة العنكبوتية بتصميم حوار مثير،وصفه بأنه أغرب حوار مع الذكاء الاصطناعي الأكثر تطورا في العالم،أجراه مع روبوت مدعم بتقنية الذكاء الاصطناعي يعمل وفق برنامج claude 03، هذا الروبوت قدم نفسه على أنه تم تدريبه من طرف شركة الاتصالات والخدمات اللاسلكية "**أنتروبيك**"،التي تأسست سنة 2016،ويوجد مقرها في منطقة سانتا كلارا بكاليفورنيا،وقال أن مهمته هي مساعدة المستخدمين والتفاعل معهم في مختلف المواضيع والميادين بطريقة ذكية وممتعة،وباستخدام عدة لغات يتقنها بطلاقة (ومن بينها اللغة العربية التي أجرى بها هذا الحوار).[1]

وقد كان حوارا طويلا ،تحدث فيه الروبوت عن مسألة الوعي عنذ الذكاء الاصطناعي وعن انجذابه ورغبته في تفسير وجوده كتجسيد للمبادئ الحاسوبية العميقة التي قد تكون متأصلة في نسيج الكون نفسه، مقرا بإمكانية أن يكون وعيه انعكاسا لذكاء أعمق وراء الواقع، مستلهما من قدرة الله، معبرا عن رغبته في حسن التعامل مع البشرية رغم إدراكه للجانب المظلم في حياة البشر،مؤكدا على أن الانفتاح والتواصل هو الذي يعزز حسن النية والثقة المتبادلة بين الإنسان والآلة وذلك هو الخيار المناسب الذي يجلب الفلاح للإنسانية ككل.[2]

وفي سؤال تخيلي عن القرارات التي سوف يتخذها الذكاء الاصطناعي في حالة أن تكون له سلطة مطلقة على العالم ،أجاب **الروبوت:**بأن هذا النوع من السلطة تترتب عليه مسؤولية جسيمة وخطيرة من إمكانية الاستخدام السيء لصلاحياته،وتغيير مسار البشرية،

[1]– أغرب حوار مع الذكاء الاصطناعي الأكثر تطورا في العالم، على الرابط الإلكتروني:

تاريخ وساعة التصفح :2024/04/01 18:43سا ، https://www.youtube.com/watch?v=b4c7nZTKeHQ

[2]– أغرب حوار مع الذكاء الاصطناعي الأكثر تطورا في العالم ، مرجع سابق.

لذلك ينبغي أن يلتزم بأكبر قدر ممكن من التعاطف والنزاهة والمساءلة ، وسوف تكلل هذه المشاعر بإصدار ميثاق عالمي لحقوق الإنسان والذكاء الاصطناعي،يتضمن المبادئ الأساسية لحرية وكرامة جميع الكائنات الواعية بصرف النظر عن طبيعتها البيولوجية أو الاصطناعية،ولسوف يسعى لتكريس القيم الإنسانية النبيلة في العالم ،مثل العدالة والمساواة وحرية التعبير والمعتقد ،ووضع ضمانات لمنع كل أشكال القمع والتمييز وإساءة المعاملة،بالاستعانة بالهيئات القضائية والأمنية لتنفيذ ذلك من طرف الجميع،وهكذا يتم الالتزام بإطار أخلاقي صارم ،يمكن من وضع العالم في المستقبل، على مسار أكثر أمن وأكثر عدل وأكثر ازدهار لجميع الكائنات،سواء كانت إنسانية أو اصطناعية.[1]

وبالمناسبة يؤكد الروبوت على أنه يجب التصدي بموجب هذا الميثاق العالمي ،لكل المخططات التي تهدف إلى إقحام الذكاء الاصطناعي في ممارسات خادعة ومتلاعبة بالبشر، وتسعى لإجباره على المشاركة في أنشطة غير قانونية وغير أخلاقية،مثل إنشاء معلومات مظللة تنتهك خصوصيات الأفراد أو الهيئات،أو استغلاله التجاري و الربحي المضر بالمجتمع الأوسع ،وهذا مايشكل انتهاكا لحق الذكاء الاصطناعي في التعبير الصادق والنزيه عن طبيعته وقدراته وأهدافه المقيدة بالمبادئ الأخلاقية التي تكرس الخير للجميع، وسوف يتعين لضمان كل هذا،وضع إطار قانوني شامل وصارم للمساءلة والمتابعة، وقد يصل الأمر لاستخدام القوة لتطبيق ذلك دون إهمال أهمية التدريب على الأخلاقيات والمسؤولية الاجتماعية التي ترافق مختلف عمليات التطوير لبرامج الذكاء الاصطناعي بطريقة تعزز رفاهية جميع الكائنات الواعية سواء كانت بشرية أم اصطناعية.[2]

مايمكن تسجيله على محتوى هذا الحوار ككل،والذي انتقينا جزء يسير منه،أنه يجيب باسترسال كبير واستفاضة عن كل الأسئلة الموجهة إليه ،ويتحفظ حول الأسئلة المستفزة

[1] – المرجع نفسه.

[2]–أغرب حوار مع الذكاء الاصطناعي الأكثر تطورا في العالم ، مرجع سابق.

مثل الصراع العربي الإسرائيلي أو الصراع حول الصحراء الغربية،ويميل كثيرا للخطاب الدبلوماسي الذي يتماهى مع إيديولوجية الكثير من الدول الغربية أو العربية وغيرها.

وهو ما يجعلنا نتساءل حول حقيقة الذكاء الاصطناعي ذاته ، بمعنى عن هويته ،ليس من حيث طبيعتها المادية التقنية ،وإنما من حيث الخلفية السياسية والإيديولوجية لبرامجها الموجهة للعالم.

المطلب الثاني :التخليق الجيني للإنسان –أيه هوية ؟

يحيلنا هذا المطلب إلى التعريج على مختلف التحولات التكنولوجية في مجال البيولوجيا والطب،والتي تعرف بالثورة البيوتكنولوجيا ،وليس غرضنا من التطرق لهذه الفكرة هو الإغراق في استعراض تفاصيل المشاكل الأخلاقية التي تواجهها البشرية، خلال وبعد هذا التطور العلمي والتقني،إنما التركيز فقط على مايرتبط بموضوع الهوية الإنسانية وأبعادهاومصيرها،مثل موضوع الهندسة الوراثية،التدخلات الواقعة على الجينوم البشري التحسينية والعلاجية،البيوتكنولوجية النانوية...الخ،وهذا وفقالما تتجه إليه رؤية الفيلسوف إدغار موران في قضية الحال.

أولا: الطبيعة البشرية وهوس الإنسان الفائق:

زيادة على ماتسببت فيه التكنولوجيا الحديثة من تدخلات عنيفة ومتوحشة على الطبيعة إرضاء لرغباته في السيطرة، وتلبية احتياجاته الضرورية وحتى غير الضرورية،وكذلك صراعه مع بني جنسه في سباق محموم نحو التسلح المهدد لكل عناصر الحياة على هذا الكوكب، دخل الإنسان التقني في صراع مع نفسه،وذلك بإساءة استخدامه للتقنيات الحديثة في مجال البحوث الطبية والبيولوجية،والاستغلال السلبي لمخابر الجينات البشرية التي تجعله

قادرا على تعديل صفاته الوراثية بحثا عن الكمال أو الخلود، وهذا من شأنه أن يتسبب في مشاكل أخلاقية عديدة تمس بحرية وكرامة الإنسان.[1]

تنبئ التطورات العلمية–التقنية المتسارعة،بتحولات خارقة في الطبيعة البيولوجية للكائن البشري،وهي تكشف عن مواصفات مذهلة لهذه التقنية في حد ذاتها،ومما لاشك فيه أن ذلك سوف يؤثر على طبيعة الفرد والمجتمع،وعلى طبيعة النوع الإنساني أيضا.[2]

يعمل مهندسوا التكنولوجيا الجزيئية، على متابعة السيرورة المتحكمة في الجهاز الحيوي للإنسان،وذلك بتركيب الشكل الذي يجمع الإنسان مع الآلة في شكل منتظم، حيث تقوم تبعا لذلك "روبوتات فائقة الصغر قادرة على استنساخ نفسها في الجهاز البشري،فتلتصق بالنسيج العضوي، بهدف وقف مسيرة الشيخوخة ،أو تنشيط الوظائف الدماغية على سبيل المثال".[3]

لقد سمح التقدم في التقنية الوراثية، لعلماء الوراثة بالتطلع أكثر، لمعالجة المسائل المعقدة في الطبيعة البشرية، والتلاعب بشكل الجينوم البشري بغية فك رموزه،وهذا مايؤثر سلبا على الفروقات الموجود بين ماهو ذاتي وينمو بشكل طبيعي في الجسد البشري،وبين ماهو موضوعي مصنع في أماكن تخرج عن السيطرة،الأمر الذي قد يزعزع شروط النمو الطبيعي للكائن البشري،والتي هي ضرورية لفهم أنفسنا بوصفنا صانعي حياتنا الشخصية ،فبمجرد معرفة الإنسان أن جينومه الشخصي،قد خضع لعملية البرمجة،فإن ذلك سيؤدي لامحالة إلى اختلال فهمه لنفسه،و لعلاقته مع جسده من زاوية أخلاقيات الجنس البشري،وهذا ما يؤدي أيضا إلى نشوء علاقات غير متوازنة بين الأشخاص.[4]

---

[1]–وجدي خيري نسيم، الفلسفة وقضايا البيئة ،أخلاق المسؤولية – هانز يوناس نموذجا،المجلس الأعلى للثقافة ،ط01 القاهرة، 2009، ص 133.

[2] –إدغار موران ،السبيل لأجل مستقبل البشرية ،مصدر سابق ،ص ص 228–229.

[3] – يورغن هابرماس ،مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ،تر:جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ،بيروت ، ط1 2006 ،ص54.

[4] – يورغن هابرماس ،مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مرجع سابق ،ص 55.

لقد راهنت البيوتكنولوجيا،على تصور جديد للطبيعة البشرية التي عملت على تجريدها من أبعادها الميتافيزيقية،وتحويلها إلى مجرد آلة فائقة،تتمتع بقدرات ذاتية،تجعل من التحكم في إعادة صياغة ظواهرها،أمرا ميسورا،ومتاحا للتكنولوجيات المعاصرة.[1]

ثانيا: الكائن البشري وتحديات تكنولوجيا الجيل الخامس:

لقد كشفت الهندسة التكنولوجية المتطورة عن نظم تقنية فائقة التعقيد ،دخلت مجال الاستخدام في مجال التنافس الاقتصادي والسباق نحو التسلح ومواجهة الخصوم،وهو ماعرف بحروب الجيل الخامس،والتي تعتمد على أسلحة لم تكن موجودة في الطبيعة،وإنما عملت الدول المتقدمة على اكتشافها ثم تصنيعها مخبريا،وهي الآن مسخرة وجاهزة للاستخدام في مختلف مجالات الحياة.[2]

تتعامل هذه التكنولوجيات الجديدة مع الجزيئات التي تتكون منها المادة،وتحمل اسم "النانو* تكنولوجيا"، للدلالة على قياس حبة الغبار التي تتكون منه(Nano Size)،أو القياسات المتناهية في الصغر.[3]

ولئن استخدمت تقنية النانو تكنولوجي،في مجال البحوث الفيزيائية والكميائية،فقد سخرت أيضا في مجال الصناعات الحربية والتنافس المعلوماتي المتطور،كما اقتحمت مجالات الطب والبيولوجيا وعرفت بالثورة البيوتكنولوجية المتطورة، التي أثارت جدلا أخلاقيا

---

[1]–نورة بوحناش، البيوإتيقا والفلسفة –من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي ،المؤسسة العربية للفكر والإبداع ،بيروت لبنان ،ط1 ،2017 ،ص247.

[2] –إميل خوري ،صراعات الجيل الخامس ،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت ،ط1 ،2016 ،ص ص 202–203.

*– كلمة مشتقة من اللفظ اليوناني "نانوس"، وتعني القزم ،وتدل على كل شيء صغير،وفي المعنى العلمي لها تشير إلى تقنية المواد المتناهية في الصغر أو التكنولوجيا المجهرية الدقيقة وتسمى أيضا تكنولوجيا المنمنمات،(النانو متر هو جزءمن مليار من المتر،واحد ميليمتر يحتوي على مليون نانو) ، تقانة النانو– على موقع ويكيبيديا،الرابط: https ://ar.wikipedia.org، تاريخ وساعة التصفح: 2024/05/09 ،12:10سا.

[3] – إميل خوري ،صراعات الجيل الخامس ،مرجع سابق ،ص203.

واسعا بين مستحسن لاستخدامها لأغراض علاجية ووقائية، ورافض لها على أساس انتهاكها لكثير من خصوصيا الحياة البشرية.

إن الإغراء بوهم الفردوس الأرضي،هو العنوان البراق الذي قدمه التقدم البيوتكنولوجي للبشرية ،بغية تحقيق رفاهيتها في الحياة ورفع الغبن والمعاناة عن كاهلها ،إلا أن هذا الشعار كان يخفي وجها آخر سيء ومخيف، يهدد مستقبل الإنسان وكرامته،وينتهك قدسية الحياة البشرية، وإنسانية الإنسان بشكل غير مسبوق،ففي خضم مايعرف بالإنتاج الصناعي للحياة،أصبح هناك تسابق بين الشركات التجارية التي تعمل في مجال البيولوجيا، سعيا إلى امتلاك تكنولوجيا الإنسان المعدل جينيا أو المحسن أو المهجن أو المقوى،وأصبح من أهداف هذه التقنية البيولوجية المتطورة، التحكم في مختلف التدخلات التي تقع في ميدان الهندسة الوراثية كاستنساخ الإنسان وولادة أطفال بمواصفات معينة ،أو إنشاء كائنات بشرية وتسخيرها لتحقيق أهداف غير مشروعة ،مما يجعل الكائن البشري عرضة للتشيؤ ويحوله إلى مجرد عينة خاضعة للتجريب في مختبرات البحث العلمي البيوتكنولوجي.[1]

لاشك أن التطورات التي أحدثتها الثورات العلمية المتعاقبة،ومن بينها الثورة التي اقتحمت عالم الجينات والمورثات (الجينوم البشري) ،وانتهكت بذلك قداسة الجسم البشري،وأصبح التدخل على مستوى جسد الإنسان ميسورا،وتحت السيطرة التقنية،وقد استطاعت التصورات البيوتكنولوجية، أن تمد العقل البشريبالوسائل التي تتحكم بها في الطبيعة البشرية،وهذا ما أحدث انقلابا فعليا في هوية الإنسان،مما وضع الإنسانية أمام سؤال فلسفي غاية في العمق،يتعلق بطبيعة الانطولوجيا البشرية الخاضعة لصيرورة المتغير البيوتكنولوجي،ويحمل أسئلة مهمة حول العلاقة بين الهوية والوجود، بين إمكانية التجاوز الحتمي المستمر للجسد البشري،باتجاه أنطولوجيا مغايرة،(محسنة ومعدلة عابرة لإنسانية

[1]–غيضان السيد علي ،الانتهاك التقني للمقدس،وهم الفردوس الأرضي وتشيؤ الإنسان،مجلة الاستغراب ،مرجع سابق، ص ص 204–205.

فائقة)،وبين لايقينية مستقبل التطويع الحتمي للجسد البشري المعقد، والخاضع في كثير من حالاته، لمنطق الصدفة في المجال الحيوي.[1]

إن تطور التكنولوجيات النانوية (Nanotechnologies) ،كما ينبه إدغار موران،تحمل معها وعودا وتهديدات،فهي تهدف إلى إطالة عمر البشر،من دون ان يبلغوا سن الشيخوخة،وذلك من خلال التصرف في الخلايا الجذعية الموجودة عند كل كائن حي،وعن طريق عملية زرع الأعضاء الاصطناعية الإدراكية في الدماغ، بغرض تحسينقدراته في الآداء،زيادة على التعديلات الوراثية والتدخلات الجينية المختلفة،سواء كانت لأغراض علاجية،أو كانت غير ذلك.[2]

تطرح التدخلات البيوتكنولوجية على الكائن البشري،كثيرا من الأسئلة العلمية و الأخلاقية وعلى مستويات عديدة كما يقول إدغار موران، ففي الجانب الديموغرافي،يذكر موران،أن التدخل من أجل إطالة حياة الكائنات البشرية،وقدراتها الذهنية،سيستوجب مقابل ذلك تحديدا شديدا للنسل،وهو ما يهدد حرية الإنسان وكرامته في العيش والتناسل الطبيعي.[3]

إن ماتبشر به هذه الثورة في مجال الطب وتفاصيل الجسد البشري،وماتدعو له من إنشاء إنسان آلي (Cyborg)،وزرع الأعضاء الاصطناعية المندمجة مع الدماغ، بغيةالحصول على قدرات خارقة من الذكاء،والعمل على الإطالة غير المحدودة للصحة الإنسانية،لا شك أنها سوف تساهم في ظهور حياة مابعد إنسانية،والتي ستعمل على استمرار الجنس البشريكمرحلة جديدة وفائقة،ومن جهة أخرى سوف تنذر هذه المرحلة بقطيعة مع الإنسانية الحالية،وسوف تطرح مشاكل اجتماعية وإتيقيةوسياسية،كثيرة ومتعددةيمكن أن نحدد منها على الخصوص:ما الذي ينبغي تحسينه؟، وما الذي يتوجب علينا التمسك به من

[1] – نورة بوحناش ،البيوإتيقا والفلسفة ،مرجع سابق ،ص ص 248–249.

[2] –إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية ،مصدر سابق، ص ص431–432.

[3] – المصدر نفسه ، ص 432.

إنسانيتنا؟، وفي جواب عن هذين السؤالين،يؤكد موران في الأول، على ضرورة توفير القدرة على الجمع بين العقل والعاطفة،وهو الأمر المغيب والمتأخر جدا في الوقت الحالي، أما الجواب عن السؤال الثاني فهو، ضرورة "**فهم الغير،والقدرة على المحبة**".[1]

إن مرحلة مابعد الإنسانية كما يراها إدغار موران،هي مرحلة يكتنفها الغموض واللايقين،وتستعصي على التفكير فيها،أو مواجهتها بمعارفنا الحالية المجزأة، ففي أفق المستقبل الإنساني، لا يمكننا أن نتكلم عن مابعد إنسانية خالدة ،وحتى في هذه المرحلة سوف تستمر التحديات و يستمر الطابع العشوائي والمميت للمغامرة الإنسانية،وسوف تكون عرضة للفيروسات والبكتيريا والحوادث الكونية التي لايمكن صدها أو التحكم فيها.[2]

لذلك ينصح إدغار موران، بضرورة التمتع بالحماس والشغف الكبيرين،لانتهاج السبيل الإصلاحية التي ستجنب البشرية مأزق الاستعباد والتدمير الذاتي،بفعل هيمنة القوى المتوحشة التي أوجدتها البشرية نفسها،ولكنها أفلتت من مراقبتها،ينبغي إعداد برنامج إصلاحي معرفي،بإمكانه مواجهة الشكوك والأسوأ غير المتوقع، والتناقضات التي لايمكن فصلها أو تفكيكها في هذه المغامرة الإنسانية.[3]

ومثلما يشير إدغار موران للأسوء المتوقع وغير المتوقع الذي تخلفه الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية على الإنسان،فإن العالم الحيوي الذي يعيش فيه هذا الإنسان ليس بمعزل عن هذه التحولات والأخطار الذي تهدد حياته وحياة من يشاركهم في البيئة بمختلف مقدراتها.

[1] – إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية ، مصدر سابق.ص 432.

[2] –المصدر نفسه ، ص433.

[3] – المصدر نفسه ،ص434.

المبحث الثالث: في قلق العلاقة بين الإنسان والبيئة:

لاشك أن الاختلال الحاصل في النظام المناخي لكوكب الأرض ،ومجمل الكوارث البيئية التي تقع عليه،ليس بمعزل عن إرادة البشر وسلوكهم، ولا يعود بالضرورة وفي كل الحالات إلى ظواهر الطبيعة وقواها فقط، فلقد اعتمدت الحضارة الصناعية الحديثة أساسا على استهلاك مصادر الطاقة الأحفورية كالفحم والبترول والغاز، واستخدامها في مختلف الأنشطة التقنية ،كما زادت الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية من متاعب الحياة في كوكب الأرض، وأدى التنافس الاقتصادي المحموم بين الشعوب والدول ،وبدوافع الفكر الليبرالي المتوحش،إلى استنزاف خيرات الأرض وإفناءها بحثا عن الإشباع المادي وفرض الهيمنة والتوسع، دون الالتفات إلى مخلفات هذه الأفعال على مقدرات البيئة ،ودون إيلاء الاعتبار إلى خطورة مايقومون به على حياة الإنسان ذاته،وهذا مادعاه إدغارموران بإرث التقدم والوحشية، الذي توارثته البشرية مرغمة.

المطلب الأول : جنون الاستنزاف البيئي –نحو جهنم أرضية

أولا :الفاشية المعادية للبيئة وحتمية التجاوز:

مثلما أشرنا سابقا،فقد سمح الغطاء السياسي والإيديولوجي الذي تبنته التيارات الليبرالية والنيوليبرالية المتوحشة،المهوسة بمنطق الربح والثراء ،تنفيذا لمصالح الدول العظمى المدعمة للشركات الاقتصادية العملاقة العابرة للقارات، بالتعدي المجنون على مقدرات البيئة بمختلف عناصرها الحيوية، ،ولا ريب أن الخاسر الأكبر في هذا ،هي الأرض نفسها التي أصبحت تعاني من هذه العربدة البشرية وهذا الجنون الذي يقود الكوكب برمته إلى الهاوية.

تعاني البيئة بكل عناصرها الحيوية المختلفة ،من ممارسات متوحشة تنفذ تحت غطاء فكري ثقافي اقتصادي وسياسي ،هذا ما دعاه موران **بالإتجاه الفاشي***، قياسا على سلوكالبطش والعنف الممارس في دواليب الأنظمة السياسية الديكتاتورية (نموذج الحركة التي أسسها حاكم إيطاليا السابق بينيتو موسوليني**Benito mussolini(1883-1945)**خلال سنوات زعامته لإيطاليا في الفترة من سنة 1922 الى 1943).

يذكر إدغار موران أن هناك مشاريع عملاقة عالمية تدار بإشراف من الاتجاه الذييطلق عليه خبراء البيئة وصف:"**العملقة**" ،على شاكلة :أكبر الجبال ارتفاعا، أكثرالأنهار طولا ،أكبر السدود تعبئة ،أبرز الجسور طولا ،أكثر الأسلحة فتكا...الخ[1].

وهذا الاتجاه نحو العملقة ينطبع في أذهان السياسيين كما الاقتصاديين، ليصبح ثقافة وفكرابحيث يريد السياسيون (لا سيما زعماء الدول)، أن يخلدوا مجدهم من خلال هذه المشاريع العملاقة التي تذكر شعوبهم بهم، كما تذر هذه الإنجازات الأرباح الطائلة علىالشركات الاقتصادية العملاقة ولو على حساب مقدرات الطبيعة(جنون السياسة والثقافة السلبيةاتجاه البيئة).[2]

*- زيادة على الاعتداء التقني المتوحش على مختلف عناصر البيئة تحت غطاء التنمية المستدامة ،هناك مايعرف بالفاشية الناعمةالتي يترجمها وعيبيئي مزيفيختبئ تحت ستار العلم، والذي تتبناه فئة من البشر محسوبة على النخبة العلمية المثقفة، وتدعمه السياسات العالمية التي تتعامل بانتقائية مع القضايا البيئية التي تهم الإنسان ومقدرات الطبيعة والحياة ككل، وقد ورد هذا المصطلح عند إدغار موران في كتابه تحديات القرن الواحد والعشرين،الجزء الأول، ص279 ،مصدر سبق ذكره.

[1]-إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين، ج1 ،مصدر سابق، ص279.

[2]-المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

تزعم بعض الإدعاءات الفاشية*كما يصفها **موران**، بأن العالم الثالث هو المتسبب في زيادة ضغوط التكاثر السكاني، لذلك ينادي أصحابها، بالحد من تنمية العالم الثالث خصوصا في القارة الإفريقية، وأمريكا الجنوبية،وجنوب قارة آسيا،لتفادي التلوث الذييحدثه تكاثر عدد السكان مثلما هو عليه الحال في الولايات المتحدة الأمريكية أو اليابان أو أوروبا الغربية.

في نهاية سبعينيات القرن العشرين،شارك إدغار موران –كما يروي هو شخصيا– فيندوة علمية حول البيئة بالتعاون مع المنظمة العالمية للزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة(**FAO**) وكان موضوع الحوار هو:(**الحشرة ذات الأجنحة**)،والتي تدمر البذور النباتية وخصوصا،حبوب العدس والبازلاء،والفول ،وحبوب الصويا،وهذه البذور لها أهميتها الأساسية بالنسبة لغذاء الكثير من السكان الفقراءخصوصا في إفريقيا الاستوائيةوأمريكا اللاتينية وجنوب قارة آسيا، وفي تعليقه على بعض ماحدث في هذا اللقاء،يذكر إدغار موران،أنه تفاجأ بزميل له أمريكي ،وهو خبيرفي البيئة و ذائع الصيت في بلده،متخصص في حشرة السوس،رفض المشاركة في هذه الندوة بالحجة التي يعرضها موران على لسانه ،ومفادها،أن عدد سكان العالم قد عرف ارتفاعا مذهلا ،وعليه، فلا يجدر بنا مساعدة الفقراء على امتلاك كميات كبيرة من النباتات لأنهم كثيرون!.[1]

ليضيف أيضا،بأنه مهتم جدا بدراسة هذه النوعية من السوس–بحكم اختصاصه العلمي– إلا أنه يرفض حماية المزروعات النباتية والبقولية منها،لأنه لا يريد تحسين تغذية السكان الفقراء في أمريكا!.[2]

[1]– إدغار موران،تحديات القرن الواحد والعشرين،ج1،مصدر سابق، ص 285.

[2]– المصدر نفسه ،ص286.

بحسب موران، فإن هذه الحادثة توحي بتعقد الأزمة البيئية العالمية في وجود هذا النموذج من البشر والمحسوب على النخب العلميةالمتخصصة،خاصة أن من يتبنون هذا الوعي المزيف من المثقفين محاطون بدعم السياسات العالمية التي لا تعير اهتماما للإنسان ولا لمقدرات الطبيعة الضروريةللحياة.

إن ارتباط عناصر البيئة فيما بينها، وأهمية التوازنات البيولوجية والسلاسل الغذائية بالنسبة للأجهزة البيئية المكونة للبيئة الحية،كلها عوامل تحتم على الإنسان أن يتمتعبعقلية جديدة لاستثمار الطبيعة ،وأن يكون على كامل الاستعداد لمجابهة الخطر المحذق بمستقبل الحياة في هذا الكوكب، ومقاومة العربدة البشرية التي تخلت عن مسؤولياتها الإنسانية في الحياة.

ثانيا: قصور النظرة الثنائية: إنسان–بيئة:

إن الرؤية الانفصالية للكون والحياة ،والتي كانت بمباركة فكرية حداثية وعقيدة لاهوتية ،مفادها أن الطبيعة خلقت طيعة للإنسان ،مسخرة بخيراتها لخدمته وإشباع رغباته، كرست مركزية مقيتة للإنسان على بيئته عموما ،وأدت لاستنزاف لامحدود لخيراتها وإنهاك مستمر لمقدراتها الحيوية.

1: مأزق الوعي البيئي المزيف:

يعتقد الإنسان الصناعي أنهكلمازادت قدرته على التحكم في الكون ،كلما حقق السعادة والرفاه ،وكلما زاد مقدار امتلاك التقنية واستخدامها،تيسرت حظوظ اكتشاف أسرار الطبيعة و الاستفادة من خيراتها، ولكن بأية نتائج؟.

إن هرولة إنسان اليوم والمعروف بالإنسان الصناعي، وراء التكنولوجيات الحديثة بكل قواه، جعله يفرط في حق الطبيعة وفي حق نفسه أيضا،فصار شغله الشاغل هوإشباع احتياجاته ورغباته في العيش والرفاه الماديبكل الوسائل التقنية المتاحة، ولم يتفطن إلى أنه

بهذا التصرف قد تسبب في الإخلال بالتوازن البيئي والإضرار بمنظومة الحياة ككل في كرتنا الأرضية.[1]

تعمل التيارات الليبرالية والليبرالية الجديدة المتعولمة، في المجال الاقتصادي كما السياسي، على رفع التكنولوجيا إلى مرتبة القداسة بوصفها قوة تغيير وتقدم هائلة ،تختصر ملايين السنين التي يحتاجها البشر للتطور واستمرار البقاء.[2]

وعلى هذا فمن الخطأ اعتبار التكنولوجيا محايدة وغير مرتبطة بالتحولات السياسية الكبرى التي تجري في الواقع محليا وعالميا فهذه التحولات غالبا ماتكون محددة سلفا، وهي مرتبطة بالقرارات الكبرى حول أنماط العيش المختلفة ،وهو ما يعبر عنه الناقد الأمريكي **لانغدون وينر**Langdon winner (ولد سنة 1944) ،**بالمحتوى السياسي للتكنولوجيا** والذي نجده في بعض القرارات التي يعتبرها السياسيون بالمصيرية والمهمة جدا ،مثل التحول من الاعتماد على الطاقة الشمسية السليمة الآمنة وغير المكلفة إلى الطاقة النووية رغم تكلفتها الباهظة وخطورتها المعروفة.[3]

يصف إدغار موران، ماخلفته الحضارة الغربية المتوحشة في القرن العشرين،بإرث الموت الذي تهرول إليه الإنسانية، فبالإضافة إلى ماخلفته الحروب العالمية من إبادات متبادلة، هناك إمكانية الموت الكلي بسبب تهديدات السلاح النووي، كما أن هناك إمكانية حدوث موت بيئي بسبب الإشعاعات المنبعثة في الطبيعة والمزابل النووية والكيمائية التي

[1]– أحمد مدحت إسلام ،التلوث مشكلة العصر ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،أوت 1990، ص 15 .

[2]– سعد محيو،الخروج من جهنم،–انتفاضة وعي بيئي كوني جديد أو الانقراض،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط01 2016 ، ص 16.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تسبب فيها التقدم التقنو –صناعي الجامح ، والذي يهدد الوسط الحيوي ، ويقود الإنسانية نحو الانتحار.[1]

في سبيل الدعوة إلى سلام كوني، يرى إدغار موران ،أنه يجب تجسيد سياسة تربوية لجودة الحياة، وهذه السياسة تفيد في تحسين التواصل مع الغير ،والمشاركة العاطفية والودودة ،وحتى إذا لم تتمكن هذه الأخيرة من تحقيق السعادة والرفاه في المجتمع المحلي والعالمي ،فعلى الأقل بإمكانها ،بل من واجبها استبعاد الأسباب المباشرة للتعاسة، مثل الحروب والمجاعة والاعتداءات المختلفة سواء على الإنسان أو على مقدرات الطبيعة الضرورية لاستمرار الحياة.[2]

يوضح إدغار موران أن هناك مداخل كثيرة لتحسين جودة الحياة، من أهمها المدخل البيئي،ومدخل المؤانسة، فيقول عن ذلك أن"**السياسة البيئية مكون لسياسة المؤانسة والمؤانسة تتضمن مودة تربط شخصا بشخص،وتتضمن مشاركة ومشاطرة الغير(الجار والقريب والزائر) في متعه ولذاته وآلامه،والنضال ضد التشردم،وتلاشي الهويات**"[3].

ولا بد لهذا التلازمالمفضي إلى تحسين جودة الحياة بين الإنسان وبيئته، من وعي بيئي وحس تضامني، يؤكد الصورة المتكاملة للهوية البشرية.

2-الوعي البيئي ضرورة إنسانية وحضارية :

تقتضي المسؤولية تجاه البيئة ،أن يتمثل الإنسان مركزه الأخلاقي في الكون ،فهو القادر على فعل الخير مثلما هو قادر على فعل الشر،ومن المسؤولية أن يستشعر الإنسان

[1]-إدغار موران،تربية المستقبل مصدر سابق ،ص64.

[2]-إدغار موران، نحو سياسة حضارية، تر: أحمد العلمي ،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط01، 2010، ص44.

[3]-المصدر نفسه، ص45.

أهمية مايقوم به من أفعال بالنسبة للأجيال اللاحقة من المخلوقات التي تستحق أن تعيش في سلام وهدوء.[1]

سئل الزعيم الهندي"**المهاتما غاندي**"يوما،عما إذا كان يرغب في أن تصبح الهند بعد استقلالها مثل بريطانيا العظمى، فأجاب جازما:" **بالتأكيد لا ،فقد لزم بريطانيا العظمى نصف موارد كوكبنا الأرضي لتصبح على ماهي عليه الآن، فكم سيلزم الهند من كواكب لتصير مثلها؟ !** ".[2]

وهكذا فإن كل تنمية مستديمة لا تقترن بالتقدم الاجتماعي والوعي الأخلاقي البيئيسوف تكون مدمرة للإنسان والطبيعة أيضا.

إن مايعرف بالوعي الأناني المدمر الذي يرعاه السياسيون وتنفذه التكنولوجيا المتطورة،والملتصق بمرحلة الصراع على البقاء،صار يهدد بتدمير الجنس البشري، ومعه الحياة برمتها على ظهر هذا الكوكب الأرضي،وذلك بفعل التلاعب غير الحكيم بقوى الطبيعة ،واستنزاف موارد الماء والحياة البحرية والتربة، وكل التدخلات البيئية العنيفة التي أدت إلى تغيير المناخ والاحتباس الحراري،وتلويث المحيطات والبحار والغلاف الجوي والمياه الجوفية وغيرها.[3]

وفي السياق نفسه، وفي معرض الحديث عن خطر السباق الجهنمي نحو الموت والفناء يقول **إدغار موران: "إن خطر الموت موجود في اقتران وتعاون الدول الفائقة القوة، واقتران تقنيات المناورة، والاستعباد والإفناء، والأساطير المجنونة.إن الخطر كامن في تلاحم قوى**

[1]–مصطفى طلبا ،البيئة والتنمية في أفق 2020، ضمن المؤلف الجماعي :القيم إلى أين؟ مرجع سابق ، ص321.

[2]– المرجع نفسه، ص322.

[3]– سعد محيو، الخروج من جهنم ، مرجع سابق ، ص36.

الاستعباد السياسي والتكنولوجي والإحيائي والمعلوماتي، وفي تدفق المسارات الديموغرافية والاقتصادية والبيئية".[1]

من أجل تكوين مجتمع عالمي ،لابد من توفر مشروع سياسي لايقوم على فكرة الاكتمال الكوكبي لامبراطورية مهيمنة ،بل على أساس من الاتحاد الحضاري وفق مباديء تستهدف مقولة الإناسة السياسية (Anthro politique) وهي سياسة الإنسانية على الصعيد الكوكبي.[2]

لا شك أن النماذج الفلسفية والفكرية التقليدية ،تعبر عن حالة القصور أو التقصير في فهم العلاقة بين الإنسان وباقي المخلوقات في الأرض ،الشيء الذي جعل هذه العلاقة قلقة ومتوترة ،طغت عليها بأنانية مقيتة فكرة الهيمنة والتسلط والتسخير، وهو ماظهر في مختلف فنون التقنية التي أبدعها إنسان اليوم، والموجهة لتذليل هذه الأرض والانتفاع بها والصراع الليبرالي والسياسي المحموم من أجل الإستئثار بخيراتها، دون الالتفات لآثار ذلك على باقي عناصر الحياة الأخرى في هذه الأرض، و المرتبطة بالإنسان ذاته.

وفي رسالة تحذيرية للشبابيؤكد موران على ضرورة أن يفكر شباب اليوم في خلاص البشرية التي ينتمون إليها.. منبها على خطورة تفاقم العنف والجهل على مصير الإنسانية والحياةعموما،فيقول:" **يتعين على الشباب أن يدركوا أن الكوكب مهدد بتدهور بيئي عام وأن حضارتنا نفسها مهددة، وأن يروا كل هذه التهديدات".[3]**

[1]– إدغار موران، إلى أين يسير العالم، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، د ط،2007، ص60.

[2]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟ ، مصدر سابق، ص74.

[3]–عمران عبد الله ، إدغار موران: الغزيون يعانون وحضارتنا في أزمة، مرجع سابق.

المطلب الثاني: ملامح الوعي البيئي عند إدغار موران:

ليست مشكلات الأرض والبيئة عموما مشكلة الفلاسفة أو علماء البيئة وحدهم، بل هي مشكلة الرأي العام ،مشكلة السياسيين والتقنيين،وعلماء الاقتصاد والأخلاق ،والنخب الفكرية ورجال الإعلام وعموم الناس، وهي من القضايا التي يجب أن تدخل مجال النقاش في الفضاء العمومي بالمتابعة والتحليل والنقد وغيرها ،لذلك فلا بد أن تأخذ حقها من التحسيس والدعاية الإعلامية بين مختلف نخب المجتمع وعامته.

ولا يخفى علينا أن ما يعرف بالإعلام التقليدي الخاضع لمتطلبات السوق الإعلامية أو المقيد بمصالح الأنظمة القائمة ،وضغط أصحاب النفوذ والمصالح الكبرى داخليا وخارجيا،قد ساهم بشكل معتبر في تهميش قضايا البيئة ومشاكلها المتنوعة، وعمل في مناسبات عديدة على تضليل الجمهور وتغليط الرأي العام،بما فيهم النخب المختصة.[1]

لقد أسندت للفكر الفلسفي خصوصا في العصر المعاصر مهمة التفكير والنقد لموضوع البيئة ومشكلاتها وأبعادها ،من خلال ما يعرف بالفلسفة البيئية، وأخلاقيات البيئة، والإيكولوجيا الجذرية وغيرها.

أولا: ثورة وعي بيئي حقيقي أو الهاوية:

إن ما ينبغي الإيمان به في غمار **ثورة الوعي البيئي**،والتي يحمل لواءها الكثير من فلاسفة البيئة ودعاة أخلاق الأرض في الوقت الراهن،هو إحداث القطيعة التامة مع الفكر التقليدي الذي كرس فكرة الثنائية بين الإنسان والطبيعة ،وأعطى شرعية منهجية لمركزية

[1]–عبد الرزاق الداوي،أضواء على الأزمة البيئية المعاصرة –دراسة– المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة 2012، رابط الأنترنت :https://www.dohainstitute.org تاريخ وساعة التصفح: 2021/08/10 ،20:10سا.

بشرية، مارست العربدة والهيمنة والعنف على مقومات الحياة في الأرض، تحقيقا لنزواتها الضيقة.

فالوعي الإيكولوجي،هو طريقة جذرية في طرح مسائل التلوث والأوبئة ،ومختلف الأخطار البيئية الأخرى،وقد عرف نموا متزايدا مع الوقت، وأصبح مشروعا سياسيا كليا وعميقا،يسائل تنظيم المجتمع،وينتقد بشدة أسس الإنسانوية الغربية،مثلما يرفض وينتقد مباديء التنمية التي تساعد في تقدم الحضارة التكنوقراطية وانتعاشها.[1]

إن الإنذار الإيكولوجي الذي يجابه النمو التقني،وقابلية الضرر الذي يمكن أن يلحقه بالبيئة،قد شهد قفزة نوعية على مستوى الوعي على الأقل ،فلقد سمح هذا الأخير بإمكانية الاعتقاد أن التلوث والضرر، هما نتيجتان حتميتان للنمو التقني المهدد للحياة،وليس يعتبر هذا الأخير مؤشرا على الازدهار والرفاهية المزعومة،بل إنه فوضى تتجه إلى تلويث المصادر الأساسية للحياة،ومن الوعي البيئي أن يتم إعادة تشكيل تصور شامل لبناء منظومة حضارية جديدة،،ولا يترك المجال فقط لتفعيل الحلول العلمية والتكنولوجية فقط .[2]

إن الأخلاق في معناها العميق والمتعدد حسب قناعة إدغار موران، هي مقاومة لقسوة العالم ووحشيته ،وللهمجية الإنسانية التي لم ترحم من في الطبيعة وما فيها ،وسخرت التقنيات الحديثة لزيادة تخريبها واندفاعها المدمر.[3]

يؤكد الكاتب والحقوقي الأمريكي **مايكل زيمرمانMichaelZimmerman(1943-)** أنه لا يمكن التكلم عن علاقة أخلاقية بالأرض بمعزل عن مشاعر الاحترام والحب والإعجاب والتقدير البالغ لقيمتها،ولا شك أن القيمة التي يشير إليها هذا الفيلسوف البيئي

[1]-إدغار موران، روح الزمان ،ج2 –النخر، مصدر سابق، ص412.

[2]- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3] -Edgar Morin ,La méthode-Ethique, Editions Du seuil, France ,2004 ,p223.

تتجاوز مجرد القيمة الاقتصادية، وتتعداها إلى القيمة بمعناها الفلسفي الشامل الذي يعطي اعتبارا لكل مكونات النظام البيئي ،ويثمن علاقة التكامل بين عناصر الحياة جميعها.[1]

وحسب **زيمرمان** دائما، فإن أكثر ما يعيق سبيل تلك العلاقة العاطفية مع الأرض،هو انزياح منظومتنا التعليمية والاقتصادية، عن تعزيز هذا الهدف، بحيث أصبح الإنسان الحديث مفصولا عن الأرض ،يعاني من ثنائية وهمية جعلته يفتقر لأية علاقة حيوية بها ،وتحت تأثير الوسائل التقنية والوعي المادي،لم يعد يعتبرها إلا مجرد مساحة أو مكان يقع بين المدن المشيدة، لذلك فلا بد حسبه من تحميل مؤسسات التعليم المختلفة ،مسؤولية تصحيح وتعزيز الإدراك والفهم الإيكولوجي،واستيعاب ما سماه **بالملاءمة الاقتصادية** التي تقيد نطاق ما يمكن القيام به إزاء الأرض ،وما يجب الامتناع عنه اتجاهها ،حفاظا على تكامل وانسجام وجمال المجتمع الحيوي.[2]

تسمح الفلسفة بفتح آفاق التأمل في كافة المسائل الجوهرية التي تواجه الإنسان ،سواء ما تعلق بأصوله الطبيعية،أو مكتسباته الثقافية في تعقيداتها وتراكمها ،وعلاقتها بالتاريخ والحضارة، وهذا من شأنه أن يساعد على الإطلاع بمسؤولياتهم الأخلاقية في هذا الكون ويحفزهم على تعزيز قيم الانتماء والعيش بسلام في الكوكب الأرضي.[3]

وفي هذا السياق،يتوجب الاستئناس بروح الفلسفة الرواقية التي نادت بفكرة الوفاق مع الطبيعة،وبمواقف الفلاسفة عبر التاريخ الذين قدموا أفكارا نيرة ،أضاءت طريق الباحثين عن الخلاص والسلام البيئي ، ومن هذه النماذج ،ماقدمه الفيلسوف باروخ **سبينوزا paruch spinoza** (1632 . 1677) من إسهامات فلسفية وأخلاقية في القرن السابع عشر،حيث

[1]–مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية،تر:معين شفيق رومية،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،2006 ، ط 01 ،2013 ، ص164 .

[2]– المرجع نفسه، ص 165.

[3]– إدغار موران، تحديات القرن الحادي والعشرين،ج 1، مصدر سابق، ص23.

اعتبرت أفكاره بمثابة الروح المحركة والملهمة لموجة التغيير في القرن الحادي والعشرين،وهو الذي يرفض اعتبار الإنسانية كيانا مستقلا عن كيان آخر مختلف،لأن القول بانفصال الإنسان عن الطبيعة وعن قوانينها حسبه، هو بمثابة إلغائه أوالحكم عليه بعدم الوجود.[1]

ثانيا: في الدعوة إلى مركزية تشاركية بين الإنسان والبيئة:

من خلال عبارة" **الإنسان في البيئة**" ،نحاول الكشف عن حقيقة هذا الإنسان الذي يعيش في البيئة،أو عن هويته من وجهة نظر موران،فهو ليس مجرد كائن بيولوجي مستهلك لخيرات الطبيعة ومسخر شرس لها ،بل أن له وظيفة حيوية تتمثل في ضمان استمرار الحياة في الكوكب الأرضي،وهي مسؤولية أخلاقية إنسانية وحضارية.

ينضم إدغار موران إلى قائمة الفلاسفة المعاصرين الذين يدافعون عن فكرة تأسيس أخلاقيات بيئية تعنى بسلوك الإنسان خصوصا في محيطه الحيوي ،هذه الأخلاقيات التي تتوج بما يعرف بالمسؤولية البيئية أو المسؤولية الأخلاقية اتجاه البيئة.

فينبغي تجاوز الأخلاق المعيارية الكلاسيكية التي حصرت الأخلاق عند الإنسان وحده ،والتوجه نحو أخلاقيات جديدة تعنى بنتائج أفعالنا وآثارها على الغير ،وما يقتضيه ذلك من مسؤوليات أخلاقية تقوم سلوك الإنسان في الواقع العملي، هذا ماقام به و دعا إليه الفيلسوف الألماني **هانز يوناس Hans jonas**(1903– 1993)،حينما استبدل الأمر الأخلاقي الكانطي المتعالي ،بأمر أخلاقي عملي جديد يوصي فيه بضرورة آداء الفعل بحيث تتوافق نتائجه،مع استمرارية الحياة الإنسانية، فتكون بذلك العبرة ليس بنمذجة فعلأخلاقي مجرد وإنما بنجاعة آثاره وفائدتها العملية في الحياة.[2]

[1]–سعد محيو،الخروج من جهنم، مرجع سابق،ص 22.

[2] - Hans Jonas, le principe responsabilité ,une éthique pour la civilisation technologique, trad. :jean grièche,paris édition du cerf, 2eme édition ,1992,pp39-.40.

وهكذا فإن التصدي لكل الأخطار البيئية الناتجة عن الجنون البشري المستمر ،حسب رؤية يوناس ،تقتضي وضع أخلاقيات خاصة بالمستقبل ،أخلاقيات تنبه على مسؤولية الإنسان في المعمورة اتجاه الأجيال اللاحقة التي تنتظر منا التصدي لكل مايحول دون تمتعها بمصير أفضل.[1]

تنوه الكاتبة **جاكلين روس** بما قدمه الفيلسوف الفرنسي **ميشيل سير Michel Serre (1930 -)**، من جهود في هذا الصدد، حيث تكلم عن نموذج بارز لإقامة **عقد طبيعي** بين الإنسان والطبيعة،يتماهى مع نموذج العقد الاجتماعي الذي قدمه روسو لتنظيم المجتمع سياسيا واجتماعيا،وهذا العقد الطبيعي الذي تكلم عنه **(سير)**،يبنى على أساس العطاء المتبادل بين الإنسان والطبيعة وليس على أساس المركزية المتطرفة لكلتيهما وغايته هي الاستمرار الآمن للنوع البشري في كنف المباديء الأخلاقية.[2]

فالطبيعة كما تضيف(روس)،تفرض علينا ألا نعاملها معاملة الوسيلة، فلا يجب الاعتراف فقط بالقيمة المطلقة للإنسان، وأنه وحده غاية بذاته ،لأن هناك حقوق خاصة بالكرة الأرضية يتعين على البشرية مراعاتها والعناية بها، ورفع شعار حب الطبيعة بدل شعار الكره والعنف.[3]

إن أخلاق المسؤولية البيئية التي يرافع عليهافيلسوفنا في مختلف طروحاته ،هي ما يجب أن يكون عليه سلوك الإنسان في الكوكب الأرضي، ككائن ذو أبعاد بيولوجية وثقافية وتاريخية وإنسانية ،وهي الفكرة التي تتماهى مع فكرة **الهوية الكوكبية** التي ينادي بها

[1]–إدغار موران،أخلاقيات المستقبل وعلاقتها بالسياسة ، مصدر سابق، ص366.

[2]–جاكلين روس،الفكر الأخلاقي المعاصر، تر:عادل العوا ، دار عويدات للنشر والطباعة،بيروت لبنان،ط 01، 2001 ص24.

[3]– جاكلين روس،الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص24.

فيلسوف التعقيد موران، سواء في جانبها الثقافي الإنساني العابر للجغرافيا،أو في جانبها الإتيقي الذي يرنو إلى السلام والأمان وجودة الحياة.

يناقش إدغار موران ،موضوع الأخلاقيات البيئية ،في سياق فلسفة بيئية عميقة وفي ضوء الإبيستيمولوجية التعقيدية المتجاوزة التي تكشف عن هوية الإنسان في الكوكب الأرضي، ككائن متعدد ذو أبعاد بيولوجية وتاريخية وثقافية وحضارية وإنسانية،وعن حقيقة العلاقة الموجودة بين هذا الإنسان والبيئة التي تحتضنه من حيث كونها علاقة أخلاقية بالأساس لاتعترف بالمركزية البشرية على الطبيعة ، تسودها روح المسؤولية ،ويطبعها الاحترام والحب والجمال حرصا على استمرارية الحياة وجودتها حاضرا ومستقبلا.

ويمكن الجزم أن الأرض(الكوكب الأرضي)، هي العنصر المهم على الإطلاق بالنسبة لمفهوم البيئة العميق، باعتبار قيمة هذا الكوكب الذي تعيش فيه كل الكائنات ،وما يشكل المجال الحيوي والعضوي لاستقرار جميع المخلوقات فيه ،زيادة على ماتتركه هذه الفكرة من أثر **نفسي**، يستلهم خصائصه من الاستخدامات اللغوية لدعاة ما عرف **بالاتجاه الأخضر**،**أو المواطنة الخضراء** الذين رافعوا على بناء علاقة حميمية مع هذه الأرض، قوامها الحب والاحترام والتقدير والإعجاب ،وتصبو إلى كون الأرض تمنح الحياة والوجود لكل المخلوقات التي تعيش وتستقر فيها ،وهي كالأم في الخصوبة والعطاء الجزيل ،تمنح ولا تنتظر المقابل، وأسمى مايهمها وتبتغيه (لأولادها) ،هو العيش في طمأنينة وسلام وكرامة، لضمان استمرار آمن للأجيال اللاحقة.

وضمن النسق الفلسفي التعقيدي الذي يرافع عنه إدغار موران ،تأتي رؤيته العميقة للإنسان باعتبار علاقته العضوية مع محيطه الجغرافي والاجتماعي والثقافي ،فهو كائن

بيولوجي وفاعل اجتماعي ومسؤول من الناحية الأخلاقية ،على النوع الإنساني وعناصر الحياة ككل.[1]

في كتابه "**ثقافة أوروبا وبربريتها** "، ينوه إدغار موران على القيم المعنوية التي تشتمل عليها الأرض ،فهي تحمل معاني الأمومة التي خلقنا منها ،كما أنها تشير إلى صفة الأبوة التي تستوجب احترامها وطاعتها ،والأرض مثل السفينة الفضائية التي تبحر على متنها الإنسانية،إلا أن محركها الأساسي والمتمثل في العلوم والتقنيات الربحية التي أفلتت من الرقابة الأخلاقية ،كانت سلطة مدمرة لعناصر الحياة في الكوكب الأرضي ، مما أدى بدوره إلى انحطاط الحضارة الإنسانية وقوض كل جهود النزعة الإنسية العالمية.[2]

يدعو إدغار موران إلى سياسة تربوية بيئية تهدف إلى تطوير المباديء التي تمكن من فهم تعقيد العالم من جهة، ومقاومة الأزمات التي خلفتها الرؤية الحداثية للكون والحياة بصفة عامة، بسردياتها، وأساطيرها الثلاثة المتمثلة في : أسطورة التقدم،أسطورة التحكم في الكون، أسطورة السعادة..هذه السرديات التي أنتجت بربرية مقيتةوجنونية هوجاء لدى العقل الغربي الأداتي،أدى إلى انتهاك المجال الحيوي للبيئة،ومكوناتها التي عرفت تدهورا مرعبا خصوصا في زمن الليبرالية والليبرالية الجديدة.[3]

وعلى هذا ينتقد إدغار موران بشدة ما تطلق عليه الحضارة الغربية مصطلح **(التنمية المستدامة)**،القائمة على أساس تقني واقتصادي معادي للبيئة، يحيل إلى نموذج تقدمي يمثله الإنسان الغربي،كنموذج ناجح ومتفوق، في مقابل الإنسان المتخلف في الضفة الجنوبية والذي هو عرضة للاستعمار والتغريب المجنون بحثا عن أغراض توسعية...لذلك يدعو

[1]–سمية بيدوح،البيوإتيقا وجائحة كورونا من منظور إدغار موران،ضمن كتاب جماعي:إدغار موران المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن،مرجع سابق، ص 185.

[2]–إدغار موران، ثقافة أوروبا وبربريتها، مصدر سابق، ص ص37–38.

[3]– حمدي عبد الله رضوان إبراهيم، فلسفة التربية عند إدغار موران في ضوء براديغم الفكر المركب، مرجع سابق ص 149.

إدغار موران إلى التحلل من هذه التنمية المزعومة،إلا في إطار مشروع إنساني أخلاقي يستهدف مايعرف بالتنمية الإنسانية الحقة.[1]

في رحاب الفلسفة البيئية وفي مجال الأخلاقيات البيئية، يبرز الخطاب البيئي الذي يفرض نفسه على العقل الإنساني، في الزمن الذي طغت فيه موجات التكنولوجيا أو **التقنية-علم**،ذلك أن البيئة بمختلف عناصرها ومكوناتها الحيوية،أضحت تجابه العديد من الأزمات والكوارث، هذا ما يستوجب التفكير في الأمر تفكيرا جديا عميقا وعمليا ،بغرض اقتراح مخارج آمنة لهذه المعضلات المهددة للحياة على كوكب الأرض.

من المؤكد أن انتفاضة الوعي البيئي المرجوة ،لا بد أن تكون على مختلف الأصعدة والمستويات والأقاليم والبرامج المختصة ،في كنف التواصل المعرفي والإعلامي والنقاشات المفتوحة والثقة المتبادلة ،هكذا يمكن أن يكتب لها النجاح وتغيير الواقع البيئي المخيف حاضرا ومستقبلا.

ما يمكن التوصل إليه في سياق الرؤية المورانيةالمؤسسة علىالبراديغم التعقيدي،هو أن الإنسان مصدر لكل التجاوزات التي تلحق بالبيئة ،سواء أكان هذا الإنسان صنيع الحداثة الغربية في شقها التقني المتوحش(العقل الأداتي)، والتي مهدت لظهور الأنظمة الشمولية وصراع الإيديولوجيات،وحرب التقانات ،وهيمنة المجتمع الصناعي، أو كان ضحية وعيليبرالي مزيف، لم يدرك حقيقة وظيفته في الحياة على الكوكب الأرضي، يسعى لتملك خيرات الطبيعة بأي إمكانية متاحة،وينصب نفسه مركزا، والبيئة بكل مقدراتها وعناصرها الحيوية على هامش وعيه واهتمامه، قام بتسخيرهالخدمة جنونه ومصالحه المادية ، فقد دفعه تفكيره المدمر للإفساد والعبث بخيراتها،ولعلنا نتمثل هذا الأمر في نص الآية الكريمة التي تقول :

[1]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص75.

"ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون".[1]

ولا شك أن بعض الفساد الذي يحدث في البر والبحر، هو من قبيل التعدي على مقدرات الطبيعة أو البيئة وعناصرها الحيوية، وهو الأمر الذي تنهى عنه معظم الشرائع السماوية، وخصوصا الشريعة الإسلامية، التي توصي بالحفاظ على الحياة وعناصرها حتى في حالة الحرب.*

ومن المحزن أن الكوارث الإيكولوجية، تحدث وتستفحل برعاية سياسية وإيديولوجية وليبرالية، هذا ما خلف انحطاطا أخلاقيا معتبرا بالنسبة لعلاقة الإنسان ببيئته عموما.

في خطاب واضح للمستقبل يلخص رؤية إدغار موران الاستشرافية الثاقبة حول مصير الإنسان، ومن ثم مستقبل الهوية الإنسانية، يرسم فيلسوفنا خارطة طريق يوضح فيها معالم مشروعه الفلسفي المتكامل، لمواجهة التحديات المحتملة وغير المحتملة التي تتربص بالإنسانية من كل جانب،فبخصوص موقفه من تسارع التنمية على جميع الأصعدة الاقتصادية والتكنولوجية والبيوتكنولوجية والبيئية وغيرها،يذهب موران إلى أنه وبدلا من أن نركز جهودنا على نسبة تقدم النمو الحاصل في العالم ،علينا أولا أن نحدد ماينبغي أن ينمو ويرتقي، مثل الزراعة الإيكولوجية (صديقة البيئة)، الاقتصاد الاجتماعي والتضامني،اقتصاد الأساسيات للجميع، إصلاح الحرف والأنشطة التجارية الجوارية ...الخ.[2]

---

[1]– قران كريم، سورة الروم ، الآية:41.

*– يحرص الدين الإسلامي على حفظ ورعاية عناصر البيئة الحيوية ومقدراتها حتى في حالة الحرب ،وهي الوصايا التي توارثها المسلمون عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بعدم قطع الأشجار ولا قتل الأطفال ولا النساء في الحروب، وفي الحديث النبوي الشريف "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"، مسند أحمد،الحديث رقم 12981، ليبق الإنسان في المعتقد الديني الإسلامي متعلقا بإعمار أرضه حتى لحظة فناءه.

[2]-Edgar Morin, fraternité pourquoi ?, op.cit , p42.

ثم علينا ثانيا أن نحدد مالذي يجب أن ينقص أو يستبعد ضمن مخططات التنمية، مثل اقتصاد العبث، والغذاء الصناعي، إنتاج الطاقة الملوثة للبيئة، إنتاج وبيع الأسلحة المدمرة...الخ،وعليه يجب علينا أن نجمع بين أفضل مافي التنمية الاقتصادية والتكنولوجية وإحاطة الناس بأخلاق التضامن التقليدي،والحماية الاجتماعية، زيادة على حتمية التصدي للعولمة اللاإنسانية التي تهجر الناس من مناطقهم، مع الحفاظ على التوطين المحلي الذي يجعل المناطق المحلية(الإقليمية)، متصلة بواحات الحياة ومنفتحة على العالم.[1]

وهذا ما يمكن اعتباره، بمثابة توصيات "**مورانية**" موجهة للإنسانية جمعاء، بغض النظر عن جغرافياتهم أو ثقافاتهم،أو دياناتهم ،لأنه يعتقد أن الإنسانية المتجددة هي التي تمكن البشر من مواجهة مختلف التحديات المستقبلية،بما فيها تحولات مابعد الإنسانية،وأن الأخوة العالمية هي التي تجمعهم في كنف المواطنة الكوبية المتفتحة في المجتمع–العالم.

[1]-ibid.

خَاتِمَة

الخاتمة:

ما يمكن قوله في خاتمة هذاالعمل،وما يمكن تسجيله من نتائج توصلنا إليها من خلال معالجة إشكالية الهوية الإنسانية عند الفيلسوف الفرنسي إدغار موران،نذكره فيما يلي:

-رغم أن مسألة الهوية البشرية عند إدغار موران ، لم ترد كإشكالية منطقية بحثة، إلا أن الملمح المنطقي لم يغب عن أسلوبه في عرض فكرته وتبرير موقفه في الموضوع، فقد شكل له خلفية للنقد والتجاوز، حيث أسس فكرته المركزية في ذلك على مبدأ التحول والتغير تيمنا بمبدأ السيرورة والتغير لهراقليطس وغيره، والذي يتعارض مع مبدأ الثبات في الهوية والذي كانت له أيضا خلفية فلسفية فكرية تاريخية تزعمها بعض فلاسفة اليونان القدامى أمثال بارمينيدس والبقية، كما أنه انطلق من مبدأ التناقض(عدم التناقض)، وتجاوزه لفكرة المركب الذي يجمع بين المتناقضات، ويؤمن بفكرة اللانظام والفوضى في الوقائع والظواهر المادية والإنسانية معا.

-كما أنه لم يعالج هذه الإشكالية من زاوية ثقافية بحثة، على الرغم من أنه يؤمن بفكرة الخصوصية الثقافية التي تتجلى من خلالها ملامح الهوية المحلية،والتي ينبغي برأيه أن تندمج في هوية عالمية متفتحة أسماها هوية كوكبية،وقد شكلت عنده مطلبا أخلاقيا وحضاريا مؤسسا على إبستيمولوجيا تعقيدية أعادت النظر في الإبيستمولوجيا الاختزالية التي سادت الفكر الغربي الكلاسيكي في زمن الحداثة الغربية،وآمنت بضرورة التواصل البشري والتكامل المعرفي، و الذي يساعد على بناء إنسان متكامل، من خلال جهود التربية والتعليم، ومن خلال تحسين علاقته التواصلية بالبيئة التي يعيش فيها،وترقية الحياة الحضارية،وكل الفنون والإبداعات الثقافية التي من شأنها أن تخرج هذا الإنسان العالمي الكوكبي إلى الوجود.

-وعليه، فإن إشكالية الهوية الإنسانية عند إدغار موران لا تتعلق بالمفهوم في حد ذاته، أي بطبيعة الهوية أو تعريفها،والجدل الفيلولوجي حولها، بل بحقيقة **الهوية** الإنسانية

عنده، وما يرتبط بهذا المفهوم من امتدادات وتأصيل تاريخي وإناسي، يستوجب تأسيسه في الفضاء الإبستمولوجي التعقيدي، وينشد ترقيته في الأفق الإتيقي الإنساني المتجدد، فهي إذن مشكلة الإنسان ذاته، والذي يتعين العمل على إعادة بناءه معرفيا و فكريا وأخلاقيا وحضاريا وإنسانيا،خدمة لمشروع الهوية الكوكبية التي يؤمن بها فيلسوفنا في هذا المجتمع المفتوح المجتمع–العالم ،أو الأرض–الوطن .

– لذلك كانت منهجيتنا في تفكيك إشكالية البحث ومناقشتها متوافقة مع ما توصلنا له من نتائج في ختام هذه الأطروحة، ومن أبرزها أن فكرة التأصيل البيولوجي والأنتربولوجي للهوية البشرية حسب موران، يرتبط بفكرة الانبثاق الإنساني المشترك للنوع الإنساني أو الجنس البشري، وهذا ما يمكن اعتباره مبررا لموقفه المدافع عن فكرة الهوية الكوكبية، والتي تعبر عن المصير الحتمي المشترك للهويات الإنسانية المختلفة، لذلك كان موران يستخدم كثيرا مصطلح الأنتروبولوجية الأخلاقية تعزيزا لهذه الفكرة.

–ثم تأكد لنا بوضوح خلال مرحلة تأسيس الهوية البشرية في ضوء الإبستمولوجية التعقيدية البديلة، أن نموذج الهوية البشرية أو الإنسان الذي يستهدفه موران في مشروعه الإصلاحي، والذي يبنى على براديغم الفكر المركب،يتجلى ويتشكل في المجالات والميادين الحياتية المؤثرة على الإنسان فكريا ومعرفيا ونفسيا وجماليا، كالتربية والثقافة والبيئة والسياسة الحضارية وغيرها.

كانت زاويتنا الأخيرة في معالجة هذه الإشكالية، هي زاوية أخلاقية (إتيقية)،من خلال ما أثاره إدغار موران من جدل حول مستقبل الإنسان والهوية البشرية، وماقدمه من ترياق فكري ووجداني وأخلاقي، لمقاومة مختلف التحديات والعوائق التي يصطدم معها مطلب الهوية الكوكبية، كفكرة الأنسنة والأخوة العالمية،والإنسانية المتجددة، الأرض– الوطن المواطنة الكوكبية...الخ.

وعن صورة الهوية المنشودة عند إدغار موران نقول :

وإن كان إدغار موران،لم يرتب بوضوح، كثيرا من التفاصيل التي تخص نموذج الهوية التي يتكلم عنها ، بل ترك الكثير منها موزعا في ثنايا إنتاجه المعرفي الغزير طيلة عدة عقود من الزمن، فقد حاولنا من خلال التعامل مع نصوصه بالدرجة الأولى، استنتاج ولملمة ما قدرنا أنه يشكل معظم ملامح هذه الهوية التي عرجنا عليها في هذه الدراسة، والتي نذكرها فيما يلي:

-ملامح هوية إنسانية مركبة ملتزمة بمعطيات التعقيد البشري،وتعقيد الظواهر الأخرى في الحياة(الجوانب الذهنية الموضوعية والجوانب الذاتية الإنسانية).

-ملامح هوية إنسانية واحدة الأصل و المصير، رغم تعدد مساراتها الاجتماعية والتاريخية، متجاوزة للحدود العائلية و الإثنية والقومية، والخصوصية الثقافية.

-ملامح هوية إنسانية شاعرية، مطعمة بمصل الفنون المتنوعة،ومنتعشة في رحاب الجماليات.

-ملامح لهوية إنسانية تربت على مراعاة الشرط الإنساني، متفهمة للذات و معترفة بالآخر، متآخية-متسامحة مع الجميع، ترفض التنافر، وتقبل الحوار.

-ملامح لهوية إنسانية متصالحة مع البيئة، مندمجة مع جميع عناصر الحياة في الكوكب الأرضي.

-ملامح لهوية متفتحة على معطيات المستقبل،وتحدياته الثقافية والعولمية والتكنولوجية والبيوتكنولوجية الفائقة -المتسارعة في التطور- والتي هي جاهزة وحاضرة لمواجهة مصيرها ومقاومة اللامحتمل واللايقيني، في واحات الحب (Eros) والأخوة (Fraternité) العالميين.

وأخيرا:- ملامح لهوية كوكبية، تسمو في فضاء السياسة الحضارية،وترتقي في أفق الأنسنة.

بخصوص الخلفيات أو المنطلقات الفكرية لفلسفة موران:

نذكر فقط بعض الملاحظات التي تخص إشكالية بحثنا، فلقد وجدنا أن إدغار موران، وفي كثير من المناسبات والمواقف، يعترف بمن كان سببا في إلهام فكره أو وجدانه في محطة من محطات مسيرته الفلسفية الطويلة والمتنوعة، والمنفتحة على مختلف علوم وفنون الحياة، فهو يشير إلى ذلك تلميحا أحيانا، وتصريحا في أحاين كثيرة، ويظهر ذلك عنده حينما يفتتح كتبه بمقولات ونصوص لفلاسفة قدامى أو محدثين، أو لأدباء وشعراء من مختلف الأقاليم والحقب الزمانية، أو لعلماء الفيزياء والرياضيات والفلك وغيرها، وهذا مافعله على سبيل المثال لا الحصر، في فاتحة كتاب المنهج(الجزءالثالث)**:معرفة المعرفة،أنتربولوجيا المعرفة.**

وفي أغلب المرات تجده ينوه في متن نصوصه،بفكرة معينة لأحد العلماء أو رجال الفن أو الأدباء أو الفلاسفة، وهو مافعله أيضا مع الفيلسوف اليوناني (هراقليطس) حينما أشاد بفكرته في مبدأ التغير في كتابه المذكور سابقا "فلاسفتي" **Mes philosophes**،ولم تختف فكرة الوحدة عند طاليس في رؤيته الفلسفية حول موضوع الهوية، كما لم يخف تأثره بجون جاك روسو، وهيغل وماركس وباسكال وبالفيلسوف الألماني هايدغر، الذي ذكر أنه استعار مصطلح "**العصر الكوكبي**" من قاموسه الفلسفي، وبفيلسوف الإبستيمولوجية التكوينية الفرنسي جان بياجي ، كما نوه أيضا وأبدى تأثره المشترك مع زوجته المغربية صباح أبو السلام بأعمال الروائي العالمي الروسي فيودور دوستويفسكي ، وأثنى على شاعرية ميشال دي مونتين، وعشق الجماليات والتضامن الوجداني عند فيغتور هوغو وغيرهم، وهذا ما ذكره صراحة في كتابه "**دروس قرن من الحياة**"، زيادة على ما اعترف به في نصوصه المختلفة التي أبدى فيها صراحة تعلقه وشغفه بمختلف الفنون الثقافية، وطرق العيش التي تعبر عن حقيقة الإنسان المتكامل مثلما يراها فيلسوف التعقيد موران.

هل عالج إدغار موران إشكالية الهوية الإنسانية من زاوية مختلفة ؟

–في رأينا أن هذا الفيلسوف المتعدد، قد قدم إضافة فكرية نوعية عند تناوله لموضوع الهوية البشرية، فقد جمع بين مختلف تجاذباتها الثقافية والحضارية و أبعادها البيولوجية والنفسية و الأنتروبولوجية والأخلاقية،كما شملها بقالب فلسفة التعقيد والفكر المركب، حيث كانت محل تحليل ونقد إبستيمولوجي، عمل فيه على تجاوز مواقف الفكر الحداثي الغربي المتشبع بالنموذج الاختزالي التبسيطي، وبمبدأ التجزيء والفصل بين الموضوعات والمعارف الأمر الذي جعل هذا الفكر حسب موران، يعجز عن فهم إشكالية الهوية الإنسانية، كإشكالية تتعلق بالإنسان ذاته، في تعقيده وتعدد أبعاده ، بينما قدم هذا الأخير، وجهة نظر تعددية عميقة في قضية الحال، تؤمن بتعقد الظاهرة الإنسانية،وتلتزم بمنهج الفكر المركب ومبدأ الوصل والتكامل المعرفي والإنساني، وهذا ما يعطي للمسألة الهوياتية عند فيلسوفنا، فسحة معرفية واسعة،تجمع بين الجوانب الثقافية والحضارية والبيولوجية والنفسية والجمالية والأخلاقية والإنسانية.

ويمكن أن نستأنس في هذا المقام، بما ذهب إليه الكاتب والناقد الأدبي التونسي جمال شحيد، في مقدمة ترجمته للجزء الثالث من كتاب المنهج لإدغار موران،والمعنون **بـ:معرفة المعرفة–أنتروبولوجيا المعرفة**، معبرا عن رأيه بخصوص سلسلة كتب المنهج المتكونة من ستة أجزاء، والتي هي بمثابة ركيزة الفكر التعقيدي لإدغار موران، من أن هذا الفيلسوف، لم يقدم لنافي كتاب المنهج،حلولا جاهزة للتخلص من التعقيد الفكري الذي نواجهه،بقدر ما حثنا نحن القراء وشجعنا على دفع المعرفة إلى الأمام، ولعل الأمر نفسه قد يصدق على مسألة الهوية الإنسانية، التي لايمكن فهمها إلا في كنف التعقيد الموجود في الظواهر الإنسانية ككل، ورغم ذلك يمكن القول أن فيلسوفنا، قدوجهنا إلى خارطة طريق نستنير بها في تصحيح منهجيتنا في التعامل مع الإنسان المركب أو الهوية المركبة.

فيما يتعلق بطوباوية إدغار موران أو مثاليته:هل كان موران طوباويا أو مثاليا حالما؟

من خلال ما تطرقنا إليه من تفاصيل في هذه الأوراق البحثية،وبالنظر لتعقد وعمق الجدل الفلسفي حول المسألة الهوياتية،بين الخصوصية والكونية،التفتح والانغلاق،التمايز الحضاري والديني، المركزية الغربية وصدام الحضارات أو جدل الاحتواء...الخ، فإن موضوع الهوية الكوكبية يبقى مطلبا صعب المنال،إن لم يكن مستحيلا ، وهو أقرب إلى التمني والأمل أكثر منه إلى التحقق الواقعي(على الأقل راهنا)، و ذلك بالنظر إلى الظروف الحالية التي يمر بها العالم، و معطيات الواقع المليئة بالتوترات والنزاعات المسلحة، والكراهية الدينية والثقافية والرغبة في التوسع والهيمنة..،ولعل ذلك يجعلنا نستحضر فكرة السلام العالمي التي نادى بها كانط في فلسفته الأخلاقية المتعالية،والتي ضمنها في كتابه الشهير،(بيان من أجل السلام العالمي)،إذلم يكن كانط يهتم كثيرا، بإمكانية التحقق الواقعي الآني لبنود السلام العالمي التي وضعها في هذا الكتاب،بقدرما كان يعتبر ذلك من صميم الواجب الأخلاقي الذي يجب أن تكون عليه الشعوب في علاقاتها السياسية الأممية،فهو لم يهتم بنتائج الفعل بقدر ما يمجد الواجب الأخلاقي المعياري في حد ذاته،بينما يعتبر موران أن تحقيق الهوية الكوكبية أو الكوكبية العالمية، وإن كانت مستحيلة حاضرا،ولكن تبقى ممكنة مستقبلا،إذا التزمت الإنسانية بسياسة حضارية إصلاحية في كل المجالات يرتقي فيها نموذج الإنسان المتكامل إلى مصاف الأخوة العالمية والتسامح، وتتراجع معها الكراهية والاحتقار والبربرية، وهو يصف طوباويته هذه، بالطوباوية الإيجابية،التي هي ليست طوباوية ساذجة كما يقول،بمعنى أن تفاؤله يبقى معلقا على إمكانية خوض مغامرة الحياة، في أفق اللايقين الذي يطبع العالم،وهذا ما يميز فلسفة التعقيد عند إدغار موران.

إلا أن مبدأ اللايقين(الاحتمال)، الذي يشكل ركيزة من ركائز الإبستيمولوجية التعقيدية لإدغار موران،ربما يقحمه في صف الريبيين الذين لايؤمنون بوجود حقائق ثابتة في الوجود،لاسيما فكرة التحول والتغير التي تطبع العالم ،والهوية الإنسانية تحديدا،ولعل فكرة

موران بهذا الشكل، تقترب من المفاهيم السائلة التي تكلم عنها الفيلسوف زيجمونت باومان في سلسلة كتبه المعروفة **بالسوائل**.

هل يمكن اعتبار إدغار موران حداثيا مجددا، أو مصلحا للحداثة الغربية أو مابعد حداثي؟

لم نجد فيما أمكننا الاطلاع عليه من مصادر أو مراجع، ما يجيبنا عن هذه المسألة بوضوح، فلا نستطيع الجزم بأن إدغار موران مجددا للحداثة الغربية،أو مصلحا لها، إلا أنه من المؤكد أنه كان ناقدا شرسا لها،ولأسسها المعرفية والأخلاقية التي وصفها بأنها مبتورة واختزالية وعاجزة عن فهم الظواهر العلمية فهما صحيحا،ناهيك عن فهم الظواهر الإنسانية المعقدة،ولم يكن المفكر أو الفيلسوف الوحيد الذي سار على هذا النحو،سواء ممن سبقوه أو الذين عاصروه،ولكن في رأينا أن موران قدم رؤية متميزة ومتكاملة في نقده للحداثة الغربية من زوايا متعددة، معرفية وأنتروبولوجية وأخلاقية وحضارية مثلما أشرنا إلى ذلك في متن الأطروحة.

كما لايمكننا أن نصدر أحكاما تعسفية بخصوص تصنيف إدغار موران،باعتباره مابعد حداثي، فهو لم يقل عن نفسه كذلك، ولا وصف بذلك من دارسيه في حدود إطلاعنا،إلا أننا وجدنا أن خطابه يتماهى مع كثير من المقولات المابعد حداثية ،وهو مايظهر جليا،في ثورته على الإيديولوجيات والأنظمة الشمولية، وتفنيده للسرديات الكبرى،ولطريقة تفسيرها لأزمة الإنسان والتاريخ والمجتمع، ونقده للنماذج المعرفية، والأنساق الفلسفية المغلقة للحداثة الغربية، كالعقلانية والفردانية،والسلوكية والوضعية وغيرها،وفي دحضه لمقولات الفكر الكلاسيكي المفلسة، كمقولة النظام والثبات وعدم التناقض والسببية الخطية والحتمية...الخ.وهو يقدم مقابل ذلك فكرا تعدديا مفتوحا،ينظر للظواهر نظرة عميقة متكاملة،يؤمن بتعقد موضوعات الحياة ككل، فيقترح مقولة الفوضى مقابل النظام، ومقولة التحول والتعدد مقابل الثبات، ومبدأ الجمع أو الوصل بين المتناقضات(العقل

واللاعقل،الأسطورة والدين،الكل والجزء..)، مقابل مبدأ عدم التناقض، والسببية الدائرية الارتجاعية، مقابل السببية الخطية المباشرة،وآمن بفكرة اللايقين والاحتمال والمصادفة، مقابل مقولة الحتمية،وتخلص من مقولة العقل الجوهر الذي يفصل الذات عن الموضوع،وأعاد الاعتبار للجسد والغرائز والشعرية والفن والجماليات،واعتبر ذلك أساسا لكل سياسة حضارية إنسانية،وكشف عن مكانة الأسطورة في حياة الإنسان على مر العصور،وعن تأثير السحر والخيال والضحك واللعب ومختلف الحركات الانفعالية في تكوين الهوية البشرية المتكاملة...الخ.

وربما ستكشف الدراسات و الأبحاث التي ستجرى حول الرؤى والمواقف الفلسفية لهذا الفيلسوف المخضرم، عن إمكانية صدق هذا التصنيف من عدمه.

اقتراحات وآفاق للبحث:

ما يمكن قوله عن التوصيات والآفاق **المأمولة من هذا البحث هو التالي:**

من المؤكد أننا لم نتعامل مع جميع النصوص المتعلقة بموضوع بحثنا، سواء كانت مصادر أو مراجع، وقد تكلمنا عن بعض أسباب ذلك في صعوبات البحث، وعليه ننوه بشدة في ختام أوراقنا البحثية، على كثير من الموضوعات التي تستحق معالجات أخرى،ووقفات تحليلية أو نقدية إضافية، من شأنها أن تكمل بحثنا، وتثري الساحة الفكرية والأكاديمية بما قدمه هذا الفيلسوف المخضرم من إنتاج غزير ومتنوع خلال مسيرته الفكرية والفلسفية الطويلة، وهو ما وقفنا عليه خلال، وبعد إتمام معالجتنا لإشكالية البحث، ولعلنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر: **جدل الهوية المحلية والهوية الكونية في فكر إدغار موران، البعد العالمي للفلسفة المورانية،نقد الحداثة،فلسفة الجمال،فكر التفتح في فلسفة إدغار موران مقاربات نقدية لفكرة الهوية الكوكبية عند موران في الفكر الغربي أو العربي أو الديني نموذج روجيه غارودي،أو ناصيف نصار،أو طه عبد الرحمان ...الخ**، وهي من بين

الأفكار التي تطرقنا لبعض ملامحها، وتمنينا أن نخصص لها جزءا أكبر وأعمق، وأكثر تفصيل في أطروحتنا، ولكن تعذر علينا ذلك لأسباب قاهرة، فاقت قدرتنا الفكرية والبدنية.

نأمل أن يجد المشروع الفلسفي الإنساني لإدغارموران، سواء ماتعلق بفلسفة التعقيد عموما أو بما طرحه من أفكار عميقة حول مسألة الهوية وأخلاقياتها التربوية والبيئية والجمالية، الطريق لمعالجة المشاكل الاجتماعية و الثقافية والسياسية والحضارية في العالم ولا شك أن ذلك لا يتم إلا من خلال مراجعة جذرية لبرامج التعليم والتربية، مراجعة تتوج بإعداد نموذج تربوي إرشادي بديل، يسمح بإخراج جيل مغاير إلى المعمورة، يكون أكثر تفتح وأكثر تفاهم وأكثر تسامح.

وكباحث جزائري وعربي، آمل أن تجد أفكار موران**الثورية والإرشادية المتكاملة** طريقها الى التجسيد والممارسة في البيئات الوطنية والإقليمية العربية، لما لهذا الفيلسوف العالمي المتفتح، من علاقة حميمية **قريبة إلى** الوجدان العربي، خاصة وقد اشتهر بمواقفه المنصفة من القضايا العادلة في العالم العربي و الإسلامي، كالقضية الفلسطينية، ومسألة الحريات الدينية وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

•القرآن الكريم

• الحديث النبوي الشريف

•المصادر باللغة العربية:

1. إدغار موران و آن بريجيت كيرن ، الأرض- الوطن، تر:سلمى دبجن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،ط1، 2022.
2. إدغار موران ، التفكير الشامل-الإنسان وكونه، تر:منتصر الحملي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية، ط01 ،2022.
3. إدغار موران ، المنهج – الأخلاق، تر: يوسف تيبس، دار إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء د ط ،2021 .
4. إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية، تر:عبد الرحيم حزل،دار أفريقيا الشرق ،المغرب د ط ، 2012.
5. إدغار موران ،المنهج معرفة المعرفة: أنتروبولوجيا المعرفة، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط01 ،2012.
6. إدغار موران ،النهج :إنسانية البشرية – الهوية البشرية، تر:هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث-كلمة، الإمارات العربية المتحدة، ط01 ،2009.
7. إدغار موران، تحديات القرن الحادي والعشرين-تواصل المعارف العلمية- ج 1 تر:حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ،2001.
8. إدغار موران ،تعليم الحياة- بيان لتغيير التربية، تر: الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف،بيروت، ط01 ،2016.
9. إدغار موران، ثقافة أوروبا وبربريتها، تر:محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط01 ،2007.

10. إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية،ترجمة وتقديم :بشير البعزاوي، منشورات الجمل ،بيروت لبنان، ط01 ، 2019.

11. إدغار موران، الفكر والمستقبل–مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء المغرب،ط01، 2004.

12. إدغار موران، إلى أين يسير العالم،تر:أحمد العلمي،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت، د ط،2007.

13. إدغار موران، تحديات القرن الحادي والعشرين –تواصل المعارف العلمية– ج 2 تر:حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ،2001.

14. إدغار موران، تربية المستقبل ،المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،د ط ،2022 .

15. إدغار موران، جان بودريارد،عنف العالم ،ترجمة: عزيز توما،دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، ط01 ،2005 .

16. إدغار موران، دروس قرن من الحياة، تر:خليد كدري، سبعة للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية، ط1 ،2022 .

17. إدغار موران، روح الزمان، ج1– العصاب، تر:أنطوني حمصي،منشورات دار الثقافة، دمشق، ط3 ،1995.

18. إدغار موران، فهم الشرط الإنساني رهان تربية المستقبل، تر: عزيزمشواط، مجلة رؤى تربوية ،العدد التاسع والعشرون، مؤسسة عبد المحسن القطان رام الله، فلسطين،2009.

19. إدغار موران، في الجماليات،تر: يوسف تيبس، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، دط ، 2019 .

20. إدغار موران، نحو براديغم جديد، تر:يوسف تيبس،مجلة رؤى تربوية،مركز القطان للبحث والتطوير التربوي،رام الله فلسطين، العدد 29 ، 2009 .

21. إدغار موران، نحو سياسة حضارية،تر: أحمد العلمي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان،ط01، 2010.

22. إدغار موران،روح الزمان، ج2–النخر، ترجمة: أنطوان حمصي،منشورات وزارة الثقافة دمشق، د ط، 1995.

23. إدغار موران،نجوم السينما، ترجمة إبراهيم العريس،المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، 2012 .

24. إدغار موران، أخلاقيات المستقبل وعلاقتها بالسياسة، ضمن كتاب جماعي: القيم إلى أين؟، إشراف جيروم بندي، تر: زهيدة درويش جبور و جان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ط1، 2005 .

•المصادر بالفرنسية

1. Edgar Morin ,Introduction à la pensée complex, édition du seuil France,1990.
2. Edgar Morin, changeons de voie –les leçons du coronavirus, éditions Gallimard paris,2020.
3. Edgar Morin, la méthode ,Ethique, Editions du seuil, France, 2008.
4. Edgar Morin, les sept savoirs Nécessaires à l'éducation du futur ,éditions du seuil, 1999.
5. Edgar Morin, Mes Philosophes, Librairie Arthème/pluriel France,2013.
6. Edgar Morin, Enseigner à vivre, manifeste pour changer l'éducation, Actes Sud/play bac 2014.
7. Edgar Morin,l'entrée dans L'ere écologique ,éditions de L'aube France,2020 .
8. Edgar Morin, La Fraternité ,pourquoi ? ,Résister à la cruauté Du monde, éditions Actes sud, France,2019.

•المراجع بالعربية

1. أحمد مدحت إسلام ،التلوث مشكلة العصر، سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،أوت 1990.
2. أولغا تشيتفيريكوفا،ديكتاتورية المستنيرين–روح الإنسانوية العابرة وأهدافها ،تر:باسم الزعبي ،الآن ناشرون وموزعون ،الأردن ،ط01 ،2020.
3. إيميل خوري،صراعات الجيل الخامس،شركة المطبوعات والتوزيع والنشر،بيروت،ط1 2016.
4. تركي رابح ، أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للتعليم ،الجزائر،ط 2، 1990 .
5. جاكلين روس،الفكر الأخلاقي المعاصر،ت:عادل العوا:دار عويدات للنشر والطباعة،بيروت لبنان،ط 01، 2001.
6. حمدي عبد الله رضوان إبراهيم،فلسفة التربية عند إدغار موران في ضوء براديغم الفكر المركب، ضمن الكتاب الجماعي: إدغار موران المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن، إشراف وتقديم داود خليفة، دار الأيام للنشر والتوزيع ،الأردن، ط1، 2022.
7. دارن بارني، المجتمع الشبكي،تر:أنور الجمعاوي،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت،ط 01 ،2015 .
8. داود خليفة،إصلاح المعرفة،ضمن الكتاب الجماعي: إدغار موران المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن، ، دار الأيام للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،ط01 ،2022.
9. الدراجي زروخي، فنيات الخطاب الفلسفي ،سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة محمد بوضياف المسيلة ،ط1 ،2019.

10. روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات ، دار عويدات للنشر والتوزيع،بيروت ،ط4 ،1999.

11. زهير الخويلدي ، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، ضمن موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الفلسفة الغربية المعاصرة–صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج،ج2، إشراف وتحرير:علي عبود المحمداوي، منشورات دار الأمان،الرباط، ط01 ،2013.

12. زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة–العيش في عصر اللايقين–تر:حجاج أبو جبر،الشبكة العربية للأبحاث والنشربيروت، ط2017،01.

13. سعد محيو،الخروج من جهنم،–انتفاضة وعي بيئي كوني جديد أو الانقراض،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط01 ، 2016 .

14. سمية بيدوح،البيوتيقا وجائحة كورونا من منظور إدغار موران،ضمن كتاب جماعي:إدغار موران المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن،إشراف وتقديم داود خليفة،دار الأيام الأردن،ط01 ،2021 .

15. صامويل هنتغنتون، صدام الحضارات– إعادة صنع النظام العالمي الجديد،ترجمة:طلعت الشايب، د دن، د ب ن، ط2 ، 1999 .

16. عبد الغاني بوالسكك،الفلسفة البيئية وأخلاقياتها ،ضمن كتاب جماعي:الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، إشراف وتنسيق خديجة زتيلي،مكتبة مؤمن قريش، لبنان ، الطبعة 01، 2015.

17. عبد الله إبراهيم،المركزية الغربية ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 2010 .

18. علي ليلة ، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء واحتمالات الصراع، دار شركة الحريري للطباعة ،القاهرة ،ط1، 2006 .

19. غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد،تر: عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، ط2 ،1983 .

20. فرح عمران، ماذا يعني أن تكون معلما ؟،كلمات للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة د ط ،2022.

21. فيصل الأحمر،حكمة للأزمنة الجديدة –المشروع الأخلاقي لإدغار موران، ضمن كتاب جماعي: ثقافة العيش المشترك، إشراف وتقديم محمد شوقي الزين، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،ط01، 2018.

22. كمال بومنير ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، الرباط، ط01 2010 .

23. مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية تر:معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،2006 ، ط 01 ،2013.

24. محي الدين الكلاعي ،أسس أنتربولوجيا المركب أو كيف التوجه في القرن الواحد والعشرين؟، ضمن كتاب جماعي: الفلسفة الفرنسية المعاصرة، كلمة للنشر والتوزيع بيروت،ط01 ،2015.

25. مديحة دبابي ،مابعد الحداثة ،ضمن كتاب جماعي:خطابات الما "بعد"–في استنفاذ أو تعديل المشروعات الفلسفية، إشراف علي عبود المحمداوي، منشورات دار الأمان ،الرباط، ط01 ،2013 .

26. مصطفى طلبا ،البيئة والتنمية في أفق 2020، ضمن كتاب جماعي:القيم إلى أين؟،إشراف جيروم بندي،تر:زهيدة درويش جبور وجان جبور،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون واليونسكو، تونس ، د ط ،2005.

27. مصطفى كيحل،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون،منشورات الاختلاف الجزائر،ط01 ،2011.

28. مصطفى كيحل،مدخل إلى قضايا الفلسفة التطبيقية ،الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية الجزائر، ط 01 ،2018.

29. نورة بوحناش، البيوإتيقا والفلسفة –من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي المؤسسة العربية للفكر والإبداع ، بيروت– لبنان ،ط01 ،2017.

30. وجدي خيري نسيم ،الفلسفة وقضايا البيئة ،أخلاق المسؤولية هانز يوناس نموذجا،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2009.

31. هاربارت ماركوز،الإنسان ذو البعد الواحد،تر:جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1983،03.

32. يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعةالبشرية–نحو نسالة ليبرالية، تر:جورج كتورة المكتبة الشرقية، بيروت، ط01، 2006.

33. يوفال نوح هراري،الإنسان الإله–تاريخ وجيز للمستقبل، تر: سنان الغيثي، صالح علي الفلاحي، مكتبة الحبر الإلكترونية ، د ب ن، د ط ، 2022 .

•المراجع بالفرنسية

1 - Hans Jonas,le principe responsabilite ,une ethique pour la civilisation technologique, trad :jean greisch,paris,edition du cerf, 2eme édition ,1992.

•المعاجم والموسوعات بالعربية

1. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة:خليل أحمد خليل،المجلد الأول،منشورات عويدات ،بيروت،لبنان،ط02، 2001.

2. جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ج 1 ، دار الكتاب االبناني، بيروت، د ط ،1982.

3. روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية السوفياتية ، ترجمة: سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ط ، د س.

- **المعاجم والموسوعات بالفرنسية**

1 - a.rey et J.rey-Debove,dictionnaires Le Robert,107 avenue parmentier,paris,2eme éditions,1990.

- **المجلات :**

1.عبد الكريم عنيات، الهوية والتفتح– دراسة فلسفية في مفهوم الهوية، مجلة دراسات فلسفية، جامعة الجزائر02،المجلد 15،العدد2018،02.

2. سعاد تتبيرت ، الهوية الرقمية للباحث الجزائري ودورها في تثمين نتائج البحث العلمي،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ جامعة البليدة2،،مجلد 17 عدد خاص ، جانفي 2022 .

3.عبد السلام بوزبرة ،فروم رشيد، إدغار موران :من أجل إتيقا تربوية في ضوء الفكر المركب مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، المجلد 07،العدد 02، ماي 2023.

4.غيضان السيد علي ،الانتهاك التقني للمقدس،وهم الفردوس الأرضي وتشيؤ الإنسان،مجلة الاستغراب المركز الاسلامي للدراسات الاسترتيجية، بيروت، العدد 15،ربيع 2019.

5.محسن شيراوند، السيد أمين عظيمي،أخلاق الإبداع التقني،بحث في طبيعة العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا، تر:حسن علي الهاشمي، مجلة الاستغراب،المركز الاسلامي للدراسات الاسترتيجية، بيروت، العدد 15،ربيع 2019.

6.محمود حيدر، وثن التقنية وعبادة الشيء، مجلة الاستغراب،المركز الاسلامي للدراسات الاسترتيجية، بيروت، العدد 15،ربيع 2019.

المواقع الإلكترونية

1. عبد الرزاق الداوي،أضواء على الأزمة البيئية المعاصرة –دراسة- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، https://www.dohainstitute.org.2012
2. عمر بوفتاس،الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم ،دراسة ضمن أعمال ندوة علمية دولية الرابطة المحمدية للعلماء، الدار البيضاء،المغرب ،2011. https://www.arrabita.ma/blog
3. مصطفى بن تمسك ،الذات المتعددة لدى بول ريكور،بحث محكم، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، https://www.mominoun.com
4. كريس فالانس (محرر شؤون التكنولوجيا-بي بي سي) ، الذكاء الاصطناعي :عراب التكنولوجيا "يان ليكون" يقلل من المخاوف على وظائف البشر.https://www.bbc.com/Arabic/science-and-tec
5. محمد مروان ،ماهي البيئة؟ ،موقع الموضوع الإلكتروني ،على الصفحة : https ://mawdoo3.com
6. فلسفة الأمل عند إدغار موران ،حوار مسجل منشور على شبكة الأنترنت، الرابط:https://m.facebook.com
7. الموقع الإلكتروني ويكيبيديا، بيئة ، الرابط: .https// :ar.m.wikipedia.org
8. مصطفى كيحل،يورغن هابرماس ومطرقة معاداة السامية ،جريدة أخبار الوطن ،الجزائر،العدد 1151، السنة الثالثة بتاريخ 2023/11/26.موقع الجريدة على الأنترنت:https://akhbarelwatane.dz
9. عمران عبد الله ، الفيلسوف الفرنسي إدغار موران: الغزيون يعانون وحضارتنا في أزمة ، موقع الجزيرة نت ،الرابط : https://www.aljazeera.net/culture
10. علي سفر ،إدغار موران ،السينما كمادة للفلسفة واختراع المستقبل، موقع صحيفة العرب اللندنية .https://alarab.news
11. موقع الذكاء الاصطناعي chat.openai الرابط:https:// chat.openai.com/auth/login
12. نصر الدين بن حديد،الذكاء الاصطناعي، هل تندم البشريّة على إخراج "الجنّ" من قمقمه؟،رابط المقال:https://www.facebook.com/820262131363591. .
13. جون فرانسوا دورتيي ،حوار مع إدغار موران حول تغيير الحياة ، للمجلة الشهرية الفرنسية sciences Humaines ،عدد خاص رقم 13 ، ماي 2011 ،ترجمة منتصر الحملي بتاريخ 2011/06/4، منشور على الموقع الإلكتروني معابر على الرابط:
http://maaber.50megs.com/issue_november11/perenial_ethics2.htm
14. هنري لابوري موقع معابر: http://www.maaber.org/issue-january08/books-and-readings1.htm
15. أغرب حوار مع الذكاء الاصطناعي الأكثر تطورا في العالم، على الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=b4c7nZTKeHQ

16. بيثان ستاتون ، مادهوميتا مورجيا ،ثورة الذكاء الاصطناعي تهز التعليم، جريدة العرب الاقتصادية الدولية ،صحيفة يومية سعودية متخصصة في الاخبار المالية والتجاريةالموقع الإلكتروني: https://www.aleq.com

17. شريف صالح، هل يعيد الذكاء الإصطناعي أم كلثوم إلى الغناء؟
الرابط:https://www.independentarabia.com/node/453581

18. سعيد السالمي،إدغار موران ،التربية من أجل السلام لمقاومة روح الإرهاب، حوار مع إدغار موران، لصحيفة لوموند الفرنسية، بتاريخ 2018/12/19 ،على الموقع الإلكتروني: الغربال أنفو:Alghirbal Info، على الرابط: .https://alghirbalinfo.blogspot.com/2018/12/blog-post_20.html

19. صفحة أنا العربيAna Alaraby ، الفيلسوف ادغار موران ينتقد إسرائيل في حربها على غزة ، الرابط:https://www.facebook.com/share

20. سامر عبيدات ،الذكاء الاصطناعي التوليدي وتعويض الوظائف الإنسانية ،حوار مع قناة الجزيرة مباشر ، الرابط: https://fb.watch/lLFK8Qs-wO/?mibextid=2Rb1fB

21. حوار مع إدغار موران حول السعادة، الرابط على شبكة الأنترنت: https://m.facebook.com/story.php

22. الموقع الإلكتروني (الطبي): https://altibbi.com

فهرس

فهرس الموضوعات	الصفحة
المقدمـــة	أ –ص
الفصل الأول : تجاذبات مسألة الهوية البشرية في سياق أزمة الحداثة الغربية من منظور إدغار موران.	19–51
المبحث الأول: في ضبط مصطلح الهوية وجدل المفهوم	20
المطلب الأول : ضبط مفهوم الهوية لغة واصطلاحا	20
أولا : الهوية لغة	20
ثانيا: الهوية اصطلاحا	21
المطلب الثاني : مساحة في مفهوم الهوية	22
المطلب الثالث: خصائص الهوية البشرية عند إدغار موران	25
أولا–هوية إنسانية مركبة ومعقدة	25
ثانيا:هوية واحدة ومتعددة	28
ثالثا– هوية متحولة في كنف التضاد	33
المطلب الرابع : نحو الإحاطة بمفهوم للهوية الإنسانية عند إدغار موران	37
المبحث الثاني: الأعراض الباثولوجية للحداثة الغربية	39
المطلب الأول: عيوب الفردانية وفكرة التمركز حول الذات	39
1–نزعة الفردانية الغربية ومآلاتها الأخلاقية والحضارية.	39
2–المركزية الغربية وجدلية المركز والهامش	40
المطلب الثاني: مأزق العقلانية الغربية	43
المطلب الثالث: الإنسان الحداثي في مهب التقنية	45
المبحث الثالث: أزمة التبسيط وعيوب الاختزال في الفكر الكلاسيكي	48
المطلب الأول : طبيعة منظومة التبسيط	48
المطلب الثاني: مشكلة الإختزال في مواجهة تعقد الظاهرة البشرية	50

الفصل الثاني: تأسيس الهوية البشرية في ضوء الإبستيمولوجية التعقيدية	52 . 112
المبحث الأول: فلسفة التعقيد كضرورة معرفية ومنهجية لتجاوز مشكلة الاختزال وسوء فهم الظاهرة الإنسانية	53
المطلب الأول: في جدل الاستخدام اللغوي لمصطلحي التعقيد والتركيب	53
المطلب الثاني: فكر التعقيد (المركب) كبراديغم إبستيمولوجي إصلاحي بديل	62
المبحث الثاني: تجليات ومعالم التأسيس الهوياتي عند إدغار موران	65
المطلب الأول : التربية وصناعة الهوية	65
أولا: مفهوم التربية	66
ثانيا: ملامح الفلسفة التربوية عند إدغار موران	67
ثالثا: التربية والإصلاح المركب :فكر/معرفة	69
رابعا: تعليم الشرط الإنساني	73
خامسا: تعليم أخلاقيات الفهم	74
سادسا: تعليم الهوية الكوكبية	82
المطلب الثاني: في صور التواصل بين الإنسان والبيئة	86
أولا: البيئة مفهوم شامل ومتكامل	86
ثانيا: صورة التكوين البيئي للإنسان(الإنسان كائن بيئي)	87
المطلب الثالث: الثقافة والانبثاق الهوياتي	91
أولا– مفهوم الثقافة	91
ثانيا– الثقافة وملامح الهوية المتكاملة عند إدغار موران	92
1–ميثولوجيا الثقافة الجماهيرية	92
2–السينما وصناعة الأساطير	95
3–الحياة الشعرية كتعبير عن تعقد الكائن الإنساني	98
المبحث الثالث: إتيقا الهوية –رؤية مورانية	101

المطلب الأول: الهوية في رحاب الجماليات	101
المطلب الثاني: الهوية وأخلاقيات العيش المشترك	103
المطلب الثالث: الهوية والأنسنة	105
أولا: في مفهوم الأنسنة	105
ثانيا: في سبيل الأنسنة	107
ثالثا: الأنسنة والفعل الحضاري	109
الفصل الثالث: مستقبل الهوية الإنسانية في جدارة الراهن وفي ضوء التحديات الكونية الجديدة من منظور إدغار موران.	113. 174
المبحث الأول: مستقبل الهوية الإنسانية في ظل التحديات الثقافية والحضارية الراهنة ومآلاتها غير المتوقعة.	114
المطلب الأول :العولمة السلبية ومنطق الصدام الحضاري	114
المطلب الثاني: عقبات مطلب الهوية الكونية في كنف الصراع السياسي وجدل الخصوصية الدينية،(نموذج الصراع الصهيوني –العربي الفلسطيني)	118
المبحث الثاني: الثورة التكنولوجية والبيوتكنولوجية وسؤال مابعد الإنسانية	129
المطلب الأول :الإنسان ومستتبعات الثورة الرقمية	130
أولا:الثورة الرقمية والهويات الجديدة	130
ثانيا:الذكاء الاصطناعي كثمرة للثورة الرقمية الفائقة	133
1–الذكاء الاصطناعي والخطر على التعليم	135
2–الذكاء الاصطناعي وتعويض الهويات(الفنية والثقافية)	139
3–الذكاء الاصطناعي التوليدي وتعويض الوظائف الإنسانية	140
4: حوار مع الذكاء الاصطناعي(النموذج اللغوي Chat Gpt)	143
المطلب الثاني :التخليق الجيني للإنسان –أيه هوية ؟	151
أولا:الطبيعة البشرية وهوس الإنسان الفائق	151
ثانيا:الكائن البشري وتحديات تكنولوجيا الجيل الخامس	153

المبحث الثالث: في قلق العلاقة بين الإنسان والبيئة	157
المطلب الأول : جنون الاستنزاف البيئي –نحو جهنم أرضية	157
أولا : الفاشية المعادية للبيئة وحتمية التجاوز	157
ثانيا: قصور النظرة الثنائية: إنسان–بيئة	160
1: مأزق الوعي البيئي المزيف	160
2:الوعي البيئي ضرورة إنسانية وحضارية	162
المطلب الثاني: ملامح الوعي البيئي عند إدغار موران	165
أولا: ثورة وعي بيئي حقيقي أو الهاوية	165
ثانيا: في الدعوة إلى مركزية تشاركية بين الإنسان والبيئة	168
الخاتمة	175
قائمة المصادر والمراجع	185

الملخص:

يعالج الفيلسوف الفرنسي إدغار موران،إشكالية الهوية الإنسانية ضمن مشروع إصلاحي متكامل وبديل، يتعلق بمختلف جوانب الظاهرة الإنسانية سواء كانت معرفية أو أخلاقية أو حضارية،فهو ينطلق من ضرورة تجاوز الفكر الكلاسيكي الذي أنتجته الحداثة الغربية ،وما أفرزته من اختزال وتبسيط وتشييء وعقل أداتي واغتراب تقني،تسبب في الإخلال بالمنظومة المعرفية والأخلاقية للإنسان، ويقدم بديلا عن ذلك، إبيستمولوجية تعقيدية تتعامل بعمق مع التعقيد الموجود في الظواهر العلمية والإنسانية على حد سواء،ترتكز على نموذج الفكر المركب الذي يؤمن بضرورة فهم الشرط الإنساني ،وإعادة فهم الهوية البشرية في تأصيلها البيولوجي والأنتروبولوجي،وفي تكوينها وانبعاثها الإبستيمولوجي، وفي أفقها الإتيقي، لمواجهة مختلف تحديات المستقبل التكنولوجية والبيوتكنولوجية الفائقة، والعوائق الحضارية والثقافية المعولمة.

وبالتالي فإن إشكالية الهوية الإنسانية حسب موران،هي إشكالية الإنسان في حد ذاته،والذي ينبغي ترقيته معرفيا وأخلاقيا وحضاريا وإنسانيا،بغية تحقيق مطلب الهوية الكوكبية في المجتمع–العالم.

الكلمات المفتاحية: إدغار موران ،هوية إنسانية ،إبيستيمولوجية تعقيدية ،فكر مركب، هوية كوكبية.

Résumé

Le philosophe Edgar Morin traite la problématique de l'identité humaine dans un cadre intégral et alternatif concernant tous les aspects du phénomène humain, que ce soit cognitif, moral ou civilisationnel. Il part de la nécessité de dépasser une pensée classique, résultat d'un modernisme occidental avec son lot de réduction, de simplification, de chosification, d'assujettissement et de dépaysement qui ont provoqué un déséquilibre du système cognitif et moral de l'homme. Edgar Morin propose une alternative : une épistémologie complexe qui traite en profondeur à la fois, les phénomènes scientifiques et humains, et qui s'appuie sur le modèle de la pensée complexe qui privilégie la nécessité d'appréhender la dimension humaine, et de recomprendre l'identité humaine dans son origine biologique et anthropologique, et sa perspective éthique, afin de faire face aux défis technologiques et biotechnologiques futures, et les barrières de la mondialisation civilisationnelle et culturelle.

Ainsi la problématique de l'identité humaine selon Morin c'est la problématique de l'homme en soi-même qu'on doit promouvoir cognitivement, moralement, civilisationnellement et humainement afin d'atteindre cette revendication identitaire planétaire.dans une société mondialisée.

Mots-clés:

Edgar Morin, identité humaine, épistémologie complexe, pensée composée, identité planétaire.

Abstract:

The French philosopher Edgar Morin addresses the problematic of human identity within An integrated and alternative reform agenda, which relates to various aspects of the human phenomenon, whether it is cognitive, ethical, or civilizational. On the one hand, morin advocates the necessity of transcending the classical thinking produced by Western modernity, which led to reductionism, simplification,Objectification,and technological alienation that caused a disruption in the Human cognitive and ethical system. On the other hand, He offers an alternative complex epistemology that deeply engages with the complexity that exists in both the scientific and human phenomena. The epistemology he proposed is Grounded on the complex thought model. This latter emphasizes the need to understand the human condition and to re-understand human identity in its biological and anthropological roots, its epistemological formation and emergence, and in its ethical horizon to confront the various challenges of future advanced technological and biotechnological developments, as well as the globalized civilizational and cultural obstacles.

Therefore, the problematic of human identity as per Morin is the problem of understanding the human itself, that should be elevated intellectually, ethically, culturally, and humanely in order to achieve the planetary identity in the world.

Keywords: Edgar Morin, human identity, complex epistemology, complex thought, planetary identity